عالم المعرفة

الإسلام والشعر

د. سامي مكي العاني

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

المستشار

كمال المغربي

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب/ ٢٣٩٩٦ - الكويت.

الإسلام والشعر

مقـــدّمة

انّ النقلة التي أحدثها الاسلام في الحياة العربية ، بكل جوانبها ، كان لها أبلغ الأثر في الشعر العربي آنذاك .

ولا غرابة في ذلك ، لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر النـاس ، والتجسيد لأفكارهـم .

وقد تمثل تأثير الاسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسـود عصر صدر الاسلام والدولة الاموية ، وفي خصائص الشعر الفنية ، من حيث الالفاظ والمعاني والافكار والصور والأخيلة .

وكان الاسلام العامل الاول في ازدهار ذلك الشعر وتكامله ، لا كما يشيع بعض الباحثين من ضآلـة تأثـير الاسـلام في الشعـر ، أو اضعافه له .

ولا يمكن أن يتحدث الباحث عن هذا التأثير ما لـم يقدم له بموقف الاسلام من الشعر .

ومن هنا كانت دراستنا لموضوعي « القرآن والشعر » و « الرسول ﷺ) والشعـر » . لأن القـرآن والحـديث هما مصـــدرا التشريع ، والعروة الوثقى التي تمسك بها المسلمون على مر العصور .

فجعلنا دراستنا لتلك المواقف المدخل الطبيعي للولوج الى الشعر في ظل الاسـلام بعـد ذلك ، من حيث الاغـراض أو الخصـــائص الفنية .

إن هذه الدراسة ليست أكثر من لبنة صغيرة الى جانب لبنات كثيرة ، وضعها الباحثون في هذا الميدان ، وتكوّن منها صرح ثقافتنا العامة .

وقد يلحظ المختصون ما في هذه الدراسة من نقص في بعض جوانبها , لأنها اعتمدت النصوص في كل نقاط هذا البحث .

وقد تغيب عن الباحث بعض تلك النصوص ، أو لا يلتفت اليها ، ويجدها غيره ، فتتغير الأحكام ، وتتبدل الآراء .

واسأل الله أن يلهمني الصواب ، ويهديني سواء السبيل .

تمهيد

مكانة الشعر قبل الإسلام

قامت الحياة العربية قبل الاسلام على نظام القبيلة التي كانت تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد اقتضى هذا النظام القبلي من ينطق باسمه ويحميه ، فكان الشاعر هو الذي يسجل مآثر قومه ، ويذيع مفاخرهم ، وينشر محامدهم ، ويخوف اعداءهم ويخذل خصومهم .

ومن هنا كانت أهمية الشاعر الذي يعبر عن وجهات نظرهم بأسلوب شعري ، تتناقله الرواة ، وتحفظه الحداة ، وضرورة شعره للحياة العربية آنذاك ، بحيث صارت القبائل يهنىء بعضها بعضاً اذا نبغ بينهم شاعر ، وكانوا لا يهنئون الا بثلاث : غلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج .

ومعروف أن هذه الثلاثة كانت مصادر قوة الحياة العربية .

قال ابن رشيق : كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج [1] .

(١) العمدة ١/ ٦٥

وكان الشعراء ألسنة قبائلهم ، وذوي الرأي فيهم ، يندبونهم عند الملمات ، ويستعينون بهم وقت الشدائد ، ويلجؤ ون اليهم في الحروب ، فقد ورد أن سعدا أرسل يوم (أرماث) الى ذوي الكلام من رجال الشعر والنثر ، يدعوهم الى استخدام سلاح الحرب فحضر عنده خطباؤهم وشعراؤهم ، مثل الشماخ والحطيئة ، وأوس بن مغراء وعبدة بن الطبيب ، وكلهم شعراء ، فخاطبهم قائلا :

انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ، ويحق عليهم عند مواطن البأس .

فانكم من العرب بالمكان الذي انتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرضوهم على القتال ، فساروا فيهم [1] .

والعرب تنشد الشعر للغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها ألأمجاد ، وسمحائها الأجواد ، لتهزّ نفوسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم .

ولولا خِلال سنَّها الشعر ما درى بغاة الندى من اين تؤتي المكارم [2]

نعم كان الشعر ديوان فضائل العرب ، وسجل مفاخرها ، ووسيلة تخليد مآثرها ! يقول الجاحظ : فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من.

---

(١) الطبرى ٣/ ٥٣٣

(٢) ديوان أبي تمام ٢٥٥

الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها [1]

ويقول ابن سلام : وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون [2]

ويؤكد ابن قتيبة مهمة الشعر عند العرب حين يقول : وللعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها ، وجعله لعلومها مستودعاً ، ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مقيّداً ، ولأخبارها ديواناً ، لا يرثّ على الدهر ، ولا يبيد على مرّ الزمان ، وحرسه بالوزن والقوافي وحسن النظم ، وجودة التحبير من التدليس والتغيير [3] .

وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام ، يقولون فيرضى قولهم ، ويحكمون فيمضي حكمهم ، وصار ذلك فيهم سُنّة يقتدى بها ، وأثارة يحتذى عليها .

وكان العرب اذا أحوجوا الى معرفة معنى حرف مستصعب ، ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم ، متفّق عليه ، مرضّى بحكمه ، مجتمع على صحة معانيه وأحكام أصوله ، محتجٌّ به على ما اختُلف فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة [4] .

ويفخر العرب بما وهبهم الله من الأشعار ، ويعدّون ذلك من أبرز

---

(١) الحيوان ١/ ٧١

(٢) طبقات الشعراء ١ / ٢٤

(٣) تاويل مشكلة القرآن ١٤

(٤) الزينة ١/ ٩٢ و٨٣

مفاخرهم ، وأجلى محاسنهم ، فعندما قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، ولم يستثنِ فارس ، ولا غيرها .

ومما قال : وأما حكمة ألسنتهم ، فان الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم ، وحسنه ووزنه وقوافيه ، مع معرفتهم الأشياء ، وضربهم للأمثال ، وابلاغهم في الصفات ، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس (١) .

وكانوا يخافون لسان الشاعر ويتحامون هجاءه ، ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربما شدّوا لسانه بنسعة ، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب فقال :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة
أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

في أبيات

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ، ففعلوا ، فكان ينوح بهذه الأبيات ، فلما أنشد قومه هذا الشعر ، قال قيس : لبيك ، وان كنت أخرّتني (٢) .

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من أول كرمها ، كما بكى مخارق بن شهاب ، وكما بكى علقمة بن

(١) العقد الفريد ١ / ١٠١

(٢) البيان والتبين ٤ / ٤٥ والنسعة : قطعة من سير يضفر على هيئة أعنة النعال ، تشد به الرحال .

علاثة ، وكما بكى عبدالله بن جدعان من بيت لخداش بن زهير [1] .

ونهوا عن أن يتعرّض أحد لشاعر ، خشية لسانه ، قالوا : لا ينبغي لعاقل أن يتعرض لشاعر ، فربما كلمة جرت على لسانه ، فصارت مثلا آخر الأبد [2] .

ويروي المؤرخون أخباراً كثيرة عمنّ رفعهم الشعر في الجاهلية وعمّن أزرى بمكانتهم . فممن رفعه الشعر بعد الخمول المحلّق ، وذلك ان الأعشى قدم مكة ، وتسامع الناس به ، وكانت للمحلق امرأة عاقلة . وقيل : بل أم ، فقالت له : إن الاعشى قدم ، وهو رجل مفوّه ، مجدود في الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعه ، ولا هجا أحداً إلاّ وضعه وأنت رجل ـ كما علمت ـ فقير خامل الذكر ، ذو بنات ، وعندنا لقحة نعيش بها ، فلو سبقت الناس إليه ، فدعوته الى الضيافة ونحرت له ، واحتلت لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه ، لرجوت لك حسن العاقبة ، فسبق إليه المحلّق ، فأنزله ونحر له ، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً ، وأخرجت نحياً فيه سمن ، وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الاعشى وأصحابه ، وكان في عصابة قيسية . . . سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه ، وذكر البنات ، فقال الأعشى : كفيت امرهن . وأصبح في عكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق   وما بي من سقم وما بي معشق

ورأى المحلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدري اين

(١) الحيوان ١ / ٣٦٤

(٢) الممتع في علم الشعر وعمله ٢٧٩

يريد الأعشى بقوله ، الى أن سمع :

نفى الذم عن آل المحلّق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دردق

فما أتمَّ القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلّق يهنئونه ، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً بخطبون بناته ، لمكان شعر الأعشى ، فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (١) .

وكان العرب ربما يلقبون بلقب فيغضبون منه ، فيحسّنه الشاعر بشعره فيستحسنونه بعد ذلك ويرضون به ، من ذلك أن بني جعفر ابن قريع كانوا يقال لهم : بنو أنف الناقة ، وكان سبب ذلك أن قريعاً أباه نحر جزوراً فقسمه بين نسائه ، فقالت أم جعفر وهي الشموس ، لابنها جعفر : انطلق الى أبيك فانظر هل بقى عنده شيء ؟ فأتاه فلم يجد عنده الا رأس الجزور ، فأخذ بأنفه وكان صبياً صغيراً ، فجعل يجره فقيل له : ما هذا ؟ قال : أنف الناقة ، فلقب بذلك ، وكانوا يغضبون اذا قيل لهم بنو أنف الناقة ، فلما مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنَبا

رضوا بذلك ، وصار مدحا بعد أن كان هجاء (٢) .

ولمكان الشعر من قلوب العرب ، وسرعة ولوجه آذانهم ، وتعلّق أنفسهم به جعلوا بعض كلماته ألقاباً لشعرائهم ، يفخرون بها ،

---

(١) العمدة ١ / ٤٨

(٢) الزينة ١ / ٩٤

كالأسعر ومعوّد الحكماء ، ومعوّد الفتيان ، أو يتأذون منها كالهجف « الثقيل » وتأبط شراً ، وعائد الكلب [1] .

وكان الشعر يرفع من مكانة الشاعر بين الناس ، وينسى عيوبه في نظر السامعين .

فلما قال الحارث بن حلزة قصيدته التي فخر فيها لبكر على تغلب ، والتي أولها :

آذنتنا ببينها أسماء　　　　رب ثاوٍ يُمَلّ منه الثواء

ثم أتى الملك عمرو بن هند فانشده اياها ، وكان الحارث أبرص وكان الملك لا يملأ عينه من رجل به بلاء ، فأنشده من وراء الستر ، فلما سمعها الملك استخفّه الطرب ، وحمله السرور على أن أمر برفع الحجاب . وقيل كان بينه وبين الملك سبعة حجب ، فما زال يرفعها حجاباً فحجاباً لحسن ما يسمع من شعره ، حتى لم يبقَ بينهما حجاب ، ثم أقعده على طعامه ، وصيرّه في سمّاره [2] .

وقد انتشر الشعر بين الناس ، فلا نكاد نجد بيتاً من بيوت العرب إلا وفيه من ينظم الشعر أو ينشده ، حتى قال ابن سلام : والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط . ثم قال : ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر إلا الشذّ اليسير لذكرنا أكثر الناس [3] .

(١) انظر معجم القاب الشعراء للمؤلف ، حيث ورد فيه أكثر من سبعين شاعراً لقّب ببيت شعر .

(٢) البرصان والعرجان ٢٤ وانظر شرح القصائد السبع الطوال ٣٦٩ .

(٣) طبقات الشعراء ٣ .

ويُعدّ الشعر من أشرف الكلام عند العرب وأقدسه ، كما قال ابن خلدون : اعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفاً عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحِكَمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده ، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر ، لتمييز حوله (مقدرته) حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام ، موضع حجّهم ، وبيت إبراهيم [1] .

وقضية تعليق الشعر بأستار الكعبة ، وإنْ كانت مما ثارت حولها مناقشات طويلة ، إلا أن إقرارها من قِبل بعض العلماء يدل على المكانة السامية التي كان يحظى بها الشعر في ذلك العصر ، وقد قال بهذا الرأي قبل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) الذي اثبتنا رأيه آنفا بعض العلماء الموثوقين أيضا كابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) وابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) .

وثَمَّة أخبار تدل على أن العرب كانوا يقدسون الشعر ، ويعتقدون بأن هذا التقديس مستمد من أصله الديني ، ولذا كانوا ينشدونه على موتاهم [2] .

ومما يؤكد هذه القدسية أيضاً ، انهم كانوا في بعض الأحوال لا ينشدونه إلا وهم على وضوء ، كما فعلوا مع قصيدة المتلمس الميمية [3] وكالخبر الذي يذكر أن الملك عمرو بن هند أمر الحارث بن حلزة ألاّ

---

(١) المقدمة ٥٣٥ و ٥٤٧

(٢) انظر الفرست ١٣٨ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب ٩ / ٦٩ .

ينشد قصيدته الهمزية إلا متوضئا [1] .

وكانوا يتخذون فن الشعر وسيلة للتقرب الى الله في موسم الحج ، فيلبّون بأشعار معينة ، وهم يطوفون حول الكعبة .

وكان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس ومشاعرهم ، لما يستعملونه من كلام مؤثر ساحر ، يترك اثراً خطيراً في نفس سامعه ، ولهذا عدوا السحرة في جملة اوائل من كان ينظم الشعر من القدماء [2] .

وروى عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم ، حتى خالطهم أهل الحضر ، فاكتسبوا بالشعر ، فنزلوا عن رتبتهم [3] .

وكان الرجل لا يُسمى الكامل إلا إذا كان يكتب ، ويحسن الرمي ويحسن العلوم ، ويقول الشعر [4] .

وكانوا يسمون الشاعر العالم والحكيم ، حتى ان عمر بن الخطاب (رض) سأل كعب الأحبار : يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب . [5] وهكذا جعل كعب الأشعار كالأناجيل لقدسيتها .

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ٣٧٠ .

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب ٩/ ٦٩ .

(٣) الزينة ١ / ٩٥

(٤) ابن قتيبة ١٦٨ .

(٥) العمدة ١ / ٢٥

وكانت القبائل تحفظ اشعار شعرائها ، ويرويها أبناؤها ، ويدونونها لأجيالهم التالية ، فبنو تغلب كانت تحفظ قصيدة شاعرها عمرو بن كلثوم المعلقة ، ويرويها كل أفراد قبيلتهم ، صغاراً وكباراً ، يرددها الآخر عن الأول ، حتى قيل فيهم :

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مذ كان أولهم   يا للرجال لشعر غير مسؤوم [1]

ولم تقتصر العناية بالشعر على أقارب الشاعر وأبناء قبيلته ، فقد عني به الملوك أيضا ، وأنزلوه مكانة رفيعة ، فكان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون في خزائنه [2] .

ويروي أن النعمان بن المنذر أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج (الكراريس) فكتبت له ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي ، قيل له : إنّ تحت القصر كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الأشعار ، فمن ثَمَّ فأهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة [3]

---

(١) الأغاني ٩/ ٣٦٨ (طبعة بيروت) .

(٢) العمدة ١ / ٩٦

(٣) اللسان (طنج) .

الباب الأول
الشعر في فجر الإسلام

(١)

دعوى ضعف الشعر الاسلامي

يشيع بعض الباحثين من عرب ومستشرقين ، فكرة ضعف الشعر العربي بعد الاسلام ، ويرددون أحكاما وآراء أطلقها بعض النقاد في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، عندما قرروا ضعف الشعر بعد الاسلام ، وانصراف الشعراء عن قوله ، وبعد الناس عن الاهتمام بالشعر منذ ان نزلت الآيات الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون . . . » .

وتناقلوا حديث الرسول (ص) : لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلىء شعرا .

وقالوا : ان عمر بن الخطاب قال : كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصح منه ، فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته .

ورددوا قوله الأصعي : ان الشعر نكد بابه الشر .

وقولة ابن خلدون : انصرف العرب عن الشعر اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي ، وبما ادهشهم في اسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا .[١]

(١) المقدمة ٥٤٧

ان هذه النصوص المبثوثة في كتب الأقدمين كان لها صدى كبير في دراسات المحدثين ، فاستندوا اليهـا ، وبنـوا عليهـا نظـرية ضعف الشعر الاسلامي .

ويمكن اجمال ذلك الصدى في كتب المحدثين بالآتي :

١ ـ إن المسلمين شغلوا بالقرآن ، وسكت شعراؤهـم ليستمعـوا الى كلمة الله . [١] ذلك الصدى القوي الذي رنّ في أسماع العالمين بكنه الرسالة الجديدة وفلسفتها ، كان جديراً بأن يوقف أسـاليب القـول والتفكير الا في هذه الرسالة نفسها . [٢]

٢ ـ إن طريق الاسلام غير طريق الشعـر ، ومذهبـه غـير مذاهـب الشعراء ، فالشعراء إنما كان أكثر قولهم عصبية جاهلية وفخرا وحماسة بما بين قبائلهم من تنازع ومطاولة بالأنساب والأحسـاب ، وهجـاء ومدحا باطلا ، وهي مذاهب حاربها الاسلام .

وان الشعر نكد لا يقوى الا في الشر ، فاذا ادخلته في باب الخير لان . [٣]

٣ ـ ان بعض الشعراء شغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله . [٤]

٤ ـ إن النبي (ص) لم يهيىء لعامة الشعراء مكانا رحيبا في كنفه ، لما

(١) د . البهبيتي ـ تاريخ الشعر العربي ١١٣

(٢) د . الشكعة الادب في موكب الحضارة الاسلامية ٩١ ، ومحمد ابراهيم جمعة ـ حسـان بن ثابت ١٧ ،

(٣) د . درويش حسان بن ثابـت ـ ٧٧ ـ وانظـر د . خفاجـي ـ الحياة الأدبية في عصر صدر الاسلام ١٦٣

(٤) م . ن ٧٧

كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرها الدين ، فكف بعضهم عن قول الشعر .[1]

٥ ـ ان الضعف الذي يبدو على الشعر الاسلامي انما كان بدأ في الحقيقة قبيل الاسلام لا بعده ، كان قد انقضى عصر الفحول ، ولم يبق الا الأعشى الذي مات ـ كما تقول الرواية ـ وهو في طريقه الى النبي (ص) ليمدحه ، ويعلن اسلامه ، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين ، اوشك ان يكف عن قول الشعر ، ولم يبق عند ظهور الاسلام الا شعراء مقلون ، بعضهم مجيد في قصائد مفردة ، ولكن لا يبلغون شأو هؤلاء الفحول ."[2]

ولتأكيد مقولة ضعف الشعر الاسلامي يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الاسلام ، وان بعض الشعراء قد انصرفوا تماما عن قول الشعر بعد الاسلام ، مثل لبيد بن ربيعة .

وفي الجانب الآخر ظهر فريق من الباحثين ، رفضوا القول بضعف الشعر الاسلامي ، وأكدوا ان نهضة الشعر قد استمرت بعد الاسلام ، ان لم تكن قد تقدمت خطوات ، بما هيأ لها الاسلام من أسباب التقدم والنهوض .

فابن خلدون مثلا يفضل شعر الاسلاميين على شعر الجاهليين فيقول : ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم ، فانا نجد شعر

---

(١) م . ن

(٢) د . عبدالقادر القط في الشعر الاسلامي والاموي ص ١٣

حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة . . . أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير . . . . والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث ، اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما ، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ، ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة ، واصفى رونقا من أولئك ، وارصف مبنى واعدل تثقيفا ، بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة .[1]

وممن قال بنفي مقولة ضعف الشعر الاسلامي من المحدثين الدكتور عمر فروخ [2] والدكتورة بنت الشاطىء [3] ونالينو .[4]

واتخذ بعض الباحثين طريقا وسطا بين القائلين بضعف الشعر الاسلامي ، والقائلين بأن الاسلام قد فجر طاقات الشعراء ، وبعث الروح في اشعار تلك الفترة .

يقول الدكتور يوسف خليف : ولسنا ندعي ان القرآن صرف العرب جميعا عن قول الشعر ، او انه اخرس السنتهم حتى لم تعد تنطق به ، وانما الذي نقرره هو انه اضعف من سيطرته على المجتمع الأدبي الاسلامي ، بعد ان كان هو اللون الأساسي في الحياة الأدبية

---

(١) المقدمة ٥٤٤

(٢) تاريخ الأدب العربي ١/ ٢٥٧

(٣) قيم جديدة للادب العربي ٦٦

(٤) تاريخ الأداب العربية ١٠٤

الجاهلية . واذا كان لبيد قد فكر في ان يحطم قيثارته فقد كان هناك غيره . . . احتفظوا بقيثاراتهم دون ان يحطموها .

إن الرجة الدينية والأدبية التي اثارها القرآن في نفوسهم وفي المجتمع الاسلامي من حولهم كادت تزلزل الأوتار في ايديهم ، وتجعل الناس لا يجدون في فنهم تلك المتعة الآسرة التي كان القدماء يجدونها في الشعر القديم . او على أقل تقدير لا يجدون في وقتهم ما يجعلهم يلتفتون حولهم ليستمعوا لهم كما كان اسلافهم يفعلون .(١)

فأين الصواب في هذه الآراء ؟

أما ان القرآن قد حط من الشعر ، وقلل من قيمته ، فهذا غير صحيح ، وقد عالجنا هذه المسألة في فصل « القرآن والشعر » .

ونود ان نورد هنا التوجيه الطريف الذي ذهب اليه العسكري في آيات الشعر والشعراء ، حيث يقول : واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على ان المذموم من الشعر انما هو المعدول من جهة الصواب الى الخطأ ، والمصروق من وجهة الانصاف والعدل الى الظلم والجور ، واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم .

ولو كان الذم لازما لكونه شعرا لما جاز ان يزول على حال من الأحوال .(٢)

أما حديث الرسول (ص) عن الشعر فقد استشهد به هؤلاء ناقصا ، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها رفضت هذه الرواية ،

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ٦٥٦

(٢) الصناعتين ١٣٢

وارتاعت لها عندما سمعتها ، وقالت : لم يحفظ ابو هريرة الحديث ، انما قال رسول الله (ص) : لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا ودما خير له من ان يمتلىء شعرا هجيت به .[1]

ومن هذا الاستدراك يتضح جليا موقف الرسول (ص) من الشعر ، فقد نهى عن لون معين منه ، وعن موضوعات خاصة ، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة ، أما فيما عدا ذلك فان الرسول (ص) اقر قول الشعر ، وطلب من الشعراء ان يردوا على قريش ، وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم ، وسمح لهم بنظمه في معظم الأغراض الشعرية ، وقد فصلنا هذه المواقف في فصل « الرسول (ص) والشعر » .

أما الحجج التي استند عليها المحدثون لتعليل القول بضعف الشعر الاسلامي فتقول :

١ ـ القول بانبهار الشعراء بالقرآن ومعاني الاسلام الجديدة . فنقول ان الاسلام لم يكن قد اتى مفاجأة بلا ارهاصات او مقدمات دينية ، وقد افاضت كتب السيرة والتاريخ في تعداد تلك الارهاصات التي كانت تعم الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية .

وكانت الاشعار تمثل تلك الارهاصات في اواخر العصر الجاهلي كشعر امية بن ابي الصلت ولبيد وزهير وغيرهم من المتحنفين .

ولا وجه للانبهار ، فالمسلم همه ان يقتبس من القرآن في افكاره واسلوبه ، وحقق ذلك فعلا ، لا ان ينبهر به ، ويتوقف عن الابداع

(١) الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة ٦٧ .

الشعري ، وسبق ان اثبتنا رأي ابن خلدون في هذه المسألة حين فضل شعر الاسلاميين على شعر الجاهليين بسبب سماعهم القرآن والحديث .

٢ ـ أما القول بان طريق الاسلام غير طريق الشعر ، الى آخر هذه الحجة ، فنقول : ان الاسلام قد نهى عن بعض الوان الشعر ، وهي مع قلتها ، فانه قد اوجد بديلاً عنها ، وشجع كثيرا من الألوان الاخرى ، ووجه بعضها الآخر كما هو موضح في اثر الاسلام في الأغراض الشعرية .

وغير صحيح ان الشعر نكد لا يقوى الا في الشر . . . الخ وهو ما ذهب اليه الأصمعي ، ورده بعض المحدثين ، فهذا الرأي يخالف رأي النقاد الذين يجمعون على ان القوة والضعف مردهما الى طبيعة الشاعر وموهبته ، وصدق عاطفته ، وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر تنفعل بعوامل الخير ، وقد يصل انفعالها بأسباب الخير اقصى درجاته ، فيرتفع شعرها فيه الى اسمى ذرواته ، وقد يكون انفعال الشاعر بحب الرسول (ص) مثلا اشد واقوى من انفعال شاعر بحب غادته اللعوب .[1]

٣ ـ وحجة انشغال المسلمين بالجهاد مردودة ايضا ، فالجهاد في سبيل الله والفتوحات الاسلامية اكثر الروافد التي أمدت الشعر الاسلامي بالمعاني الجديدة والافكار البديعة والأغراض الطريفة .

ويجب ان نفرق بين العمل المادي الذي قد ينشغل عنه الانسان بعمل آخر ، وبين الانفعال الذي لا يمنعه مكان او زمان ، فحيثما

---

(١) انظر حسان بن ثابت ٥٠٥

انفعل الشاعر تفجرت قريحته وسال لسانه بكلمات الشعر .

٤ ـ أما ان النبي (ص) لم يهيء للشعراء مكانا رحيبا في كنفه ، فانصرف بعض الشعراء عن قول الشعر ، فهو قول غير مقبول ، فمن يتتبع مواقف رسول الله (ص) من الشعراء وتأييده الكبير لهم يعلم ما في هذا القول من بعد عن الحقيقة ،ويكفي انه نصب لحسان منبرا ينشد من فوقه الشعر في مسجده وفي حياته . وانه زوجه من اخت زوجته مارية القبطية ، لا لشيء الا لمواقفه الشعرية ، وفيما اوردنا من اكرام رسول الله (ص) للشعراء قولا وفعلا دليل يغنينا عن التفصيل في هذا الرد .

٥ ـ والقول بان الضعف قد بدأ قبل الاسلام فيه تعميم ، فحسان وكعب بن زهير ولبيد والعباس بن مرداس والحطيئة والهذليون وغيرهم من المخضرمين ، ومن تلاهم في العصر الاموي من الفحول المعروفين ، كلهم شاركوا في النهضة الشعرية التي امتدت بعد الاسلام ولم تنقطع او تفتر .

أما ان شعر حسان قد ضعف وتراجع بعد الاسلام ، لأن شيطانه قد تبدل ملكا ، فهذا غير صحيح ايضا ، لأن معظم النقاد يرون ان ما وجد في شعره من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح بل هو فيما وضع عليه من اشعار .

قال الأصمعي مرة : حسان احد فحول الشعراء ، فقال ابو حاتم له اشعار لينة . فقال الاصمعي : تنسب له اشياء لا تصح عنه . [1]

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٣٨

ومن يتعمق في ديوان حسان يجد ان فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته واسلامه ، وفي فخامته وعذوبته ، ولا شك في ان ما يظهر من لين وضعف في بعض اسلامياته ليس اصيلا في فنه ، وانما هو عارض ، ساقته ظروف طارئة ، او منحول دس عليه لغرض ديني او فكاهي .[1]

ورأي الأصمعي الذي ردده معظم من قال بضعف شعر حسان بعد الاسلام انما ينبع من ولعه بالغريب ، الذي جعله مقياسا لقوة الشعر وضعفه ، وهو مقياس شخصي قد لا يوافقه عليه الكثير من النقاد .

ولبيد الذي يستشهدون به على ترك الشعر بسبب الاسلام لم ينصرف عن قول الشعر بعد الاسلام ، ومن يتصفح ديوانه يجد له نصوصا اسلامية كثيرة ، فكيف يقال انه هجر الشعر بعد اسلامه وفي ديوانه قصيدته الاسلامية :

قضي الأمور وانجز الموعود والله ربى ماجد محمود

وقصيدته التي فيها :

إنما يحفظ التقى الأبرار والى الله يستقر القرار[2]

وحتى الخبر الذي رووه وهو كتابة عمر (رض) الى المغيرة بن شعبة والى الكوفة ان يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الاسلام ، وجواب لبيد بأن كتب سورة البقرة ، وقوله : ابدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر .[3] الذي علق عليه الدكتور طه حسين

(١) حسان بن ثابت ٣٧

(٢) الديوان ٤٦ و ٧٩ وانظر ٤٤ و ٩٥ و ١٢٦ و ١٣٩

(٣) الأغاني ١٤/ ٩٤ وخزانة الادب ٢/ ٢١٥

بقوله : وأكبر ظني أن لبيداً أعرض عن الشعر في الاسـلام ، فلـم يتخذه صناعة ، ولم يكثر من إنشائه وإنشـاده ، وانصرف عنـه الى القرآن ، ولكنه قال في الاسلام غير بيت [1] .

حتى هذه الحادثة ـ لو صحت ـ لما امكننا تعميمها على كل شعراء صدر الاسلام ، فهي حادثة فردية ، لم تتكرر مع غيره من الشعراء في ذلك العصر .

وفي الخبر نفسه ما يثبت اهمية الشعـر في تلك الفتـرة ، والا لما طلب الخليفة عمر (ر ض) من واليه ان يوافيه بما قال الشعراء بعد الاسلام .

ومما سبق نخلص الى بطلان دعوى ضعف الشعـر الاسلامـي ، ونؤكد ان ما استنـد اليه القائلون بهـذه الدعـوى يرجـع ال قلـة اطلاعهم على النصوص الشعرية او الى تقليد مقولة الاقدمـين ، او تحميل بعض نصـوص القـرآن او الحـديث او النقـاد القدامى ، اكثر مما تحتمل ، وتوجيهها الى غير ما اريد منها .

(١) حديث الأربعاء ١/ ٤٦ .

٢

الصراع الشعري بين مكة والمدينة

حين اشتد الصراع بين الاسلام والكفر ، وانقسم العرب الى فريقين ، فريق تفتحت قلوبهم للاسلام ، وعقولهم للاستنارة بهديه ، وفريق صدوا عن سبيله ، واصروا على الكفر به ، جرد كل فريق ما يملك لمحاربة الفريق الآخر .

وطبيعي ان يشارك الشعر في هذا الصراع ، وان يواكبه في جميع مراحله ، فوقف فريق من الشعراء الى جانب الرسول (ص) ، وفريق آخر الى جانب قريش .

ولم يشهر سلاح الشعر خلال الفترة المكية ، لان المسلمين كانوا آنذاك افرادا قلائل ، وليسوا معسكرا يهدد قريشا .

وعندما انتقل الرسول (ص) الى المدينة ، وقامت للاسلام دولة ، شعرت قريش بما يهدد مركزها من خطر ، فلم تبق وسيلة لمحاربة الاسلام الا سلكتها ، ولا سلاحا الا شهرته ، وبدأت شاعريتها تستيقظ وتقوى ، بعد ان كانت قليلة الشعر في جاهليتها ، خاملة الذكر فيه .

قال ابن سلام : والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة ، ولم يحاربوا .[1]

لكن عدواتها للاسلام حلت من عقد ألسنة ابنائها ، ومحاربتها له انطقتهم بالشعر ، فبرز منهم شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الاسلام ،

---

(١) طبقات الشعراء ٢١٧ . والنائرة : الحقد والعداوة .

كأبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، ابن عم الرسول (ص) ، واخيه في الرضاعة ، بقي في صفوف المشركين ، يدافع عنهم ، ويحرضهم على الاسلام والمسلمين ، ويؤذي الرسول (ص) ويهجوه ، والى ذلك يشير حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

حتى تم فتح مكة ، فلقي ابو سفيان وعبدالله بن أبي امية بن المغيرة رسول الله (ص) بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه فكلمته ام سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لي بهما ، اما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر اليهما بذلك ، ومع ابي سفيان ابن له ، فقال : والله ليأذنن لي او لآخذن بيدي بني هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا .

فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) رق لهما ، ثم اذن لهما ، فدخلا عليه فأسلما .(١)

وله اشعار كثيرة في هجاء الاسلام والرد على شعرائه كحسان وكعب .(٢)

ومنهم عبدالله بن الزبعري السهمي القرشي ، كان من اشد الناس على رسول الله (ص) ، وعلى اصحابه ، بلسانه ونفسه ، وكان اشعر قريش وابلغها ، ومن اشعاره الكثيرة في محاربة الاسلام

(١) ابن هشام ٢/ ٤٠٠

(٢) انظر ابن هشام ٢/ ٢١٢ و ٢٧٢

قوله في غزوة احد : [1]

كم قتلنـــا من كريم سيد ما جد الجـــدين مقـــدام بطل
صادق النجـــدة قرم بارع غـير ملتـــاث لدى وقـــع الأسل

الى ان يقول :

فقتلنـــا الضـــعف من اشرافهم وعدلنـــا ميل بدر فاعتدل
لا ألــوم النفس الا اننا لو كررنـــا لفعلنـــا المفتعل

ولما فتح المسلمون مكة لم يطق البقاء فيها ، وهرب الى نجران ، فرماه حسان ببيت واحد ، ما زاده عليه ، وهو :

لا تعدمَـنْ رجــلا احلك بغضه نجــران في عيش احــذّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعري خرج الى رسول الله (ص) فأسلم واعتــذر الى الرســول ، فقبــل عذره ، فنظــم اكثــر من قصيدة اعتذارية ، منها قوله :

يا رســول المليك إنّ لساني راتــق ما فتقــت إذ أنــا بور
إذا أباري الشيطان في سَنن الغي ومن مال ميلــه مثبور
آمــن اللحــم والعظــام لربي ثمّ قلبـي الشـهيد انـت النذير[2]

ومنهم ضرار بن الخطاب الفهري ، من شعراء قريش المعدودين وفرسانها الشجعان ، قاتل المسلمين في الوقائع اشد القتـال ، وكان يقول : زوَّجتُ عشرة من اصحاب النبي (ص) بالحور العين ثم في الفتح . وكان يقول لأبي بكر : نحن خير لقريش منكم ، ادخلناهم الجنة ، وانتم ادخلتموهم النار .

ومن شعره في محاربة المسلمين :

(١) م . ن ٢/ ١٣٦

(٢) م . ٢٥/ ٤١٨

كأنهم اذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيدا وقد قالوا ألسنا راشدينا[1]

والحارث بن هشام بن المغيرة ، اخو أبي جهل ، حارب المسلمين بسيفه ولسانه ، ومن شعره قصيدة توعد فيها محمداً (ص) بعد قتل اخيه ابي جهل ، منها :

فيال لؤي ذببوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها لذي الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم أواسيهاوالبيتَ ذاالسقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتم وتوازروا وكونوا جميعا في التأسي وفي الصبر
لعلكم أنْ تثأروا بأخيكم ولاشيء ان لم تثأروا بذوي اعمرو[2]

حتى اذا تم فتح مكة استأمنت له ام هانىء بنت ابي طالب النبي (ص) ، فأمنه وصفح عنه ، ومنهم هبيرة بن ابي وهب المخزومي ، وابو عزة الجمحي ، وعمرو بن العاص وابو سفيان بن حرب ، وقد رويت لهم اشعار في المعارك الكلامية التي كانت تدور بين مكة والمدينة .

ودخل هذه المعركة الى جانب قريش بعض الشعراء الذين لم يكونوا من مكة ولا يثرب ، ومن هؤلاء امية بن ابي الصلت ، وهو من ثقيف كان يتوقع ظهور رسول بين العرب ، وكان يتمنى ان ينزل عليه الوحي ، ولما نزل على محمد (ص) حقد عليه وعلى المسلمين ،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٥٥
(٢) م . ن ٢/ ١٠

وراح يحرض قريشا على حرب المسلمين ، ورثى قريشا بقصائد تفيض حقدا وانفعالا ضد المسلمين ، حتى قيل : ان الرسول (ص) نهى عن روايتها .

والعباس بن مرداس السلمي ، من سُليم بن منصور ، وكان فارسا شجاعا ، وقف في صف المشركين حيث مدح بني النضير حين اجلاهم الرسول ، وتأسف لذلك ، واظهر المه في قصيدة مطلعها :(١)

لو ان اهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهى وملعبا

وناقض الشعراء المسلمين الذين هجوا اليهود ، ومرد ذلك الموقف الى علاقته التجارية ، ومصالحه الخاصة المرتبطة باليهود .

كما آزر قريشا كعب بن زهير من مزينة بسبب اسلام اخيه بجير ، وقصته في ذلك معروفة اوردناها في موضع آخر من هذا الكتاب .

وقد روت كتب التأريخ والسيرة لهؤلاء الشعراء الكثير من القصائد التي كانوا يهجون بها الرسول والدين ، وينالون منه ومن اتباعه ودعوته اشد النيل واقساه .

وآزر يهود يثرب قريشا في حربها ضد المسلمين ، ووقف شعراؤهم الى جانب شعراء قريش ، يحرضون العرب ويؤلبونهم على رسول الله ، وكان المفروض ان يقفوا الى جانب رسول الله ويعترفوا برسالته ، لأنهم اصحاب كتاب سماوي مثله ، ولكن حقدهم وطبيعة اخلاقهم ، جعلهم يؤيدون الكفر والشرك ضد الايمان والتوحيد .

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٠٠

ومن شعرائهم الذين حاربوا الاسلام ، وهجوا رسول الله سلام ابن ابي الحقيق ، واضاف كعب بن الأشرف الى هجاء الاسلام التشبيب بنساء المسلمين .

وكان جبل بن جوّال ممن بكى بني النضير وبني قريظة وهجا المسلمين في مثل قوله :

ألا يا سعد سعد بني معاذ لما لقيت قريظة والنضير
وأقفرت البويرة من سلام وسعية وابن أخطب فهي بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا كما ثقلت بميطان الصخور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه بمجد لا تغيبه البدور
اقيموا يا سراة الأوس فيها كأنكم من المخزاة عور
تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور[1]

فانبرى له حسان بن ثابت يسفه قوله ، ويعيب على اليهود نصرهم لقريش المشركة ، وهم اصحاب كتاب فقال :

تفاقد معشر نصروا قريشا وليس لهم ببلدتهم نصير
هم اوتوا الكتاب فضيعوه وهم عمي من التوراة بور
كفرتم بالقران وقد اتيتم بتصديق الذي قال النذير[2]

وقد كان للنساء دور بارز في هذه المعارك الشعرية ، فشاركن فيها بالبكاء على القتلى ، وبالتحريض على الانتقام ، وبالتشفي حين يقتل رجال الأعداء .

ظهر منهن الى جانب قريش هند بنت عتبة بن ربيعة ، ومن شعرها قولها شامتة بقتل حمزة (رض) :

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٧٢

(٢) ديوان حسان ١٩٤

نحـــن جزينـــاكم بيوم بدر والحرب بعـد الحـرب ذات سعر
ما كان عن عتبـة لي من صبر ولا اخـــي وعمـــه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيتَ وحشّي غليل صدري[1]

ومنهن قتيلة بنت الحارث التـي بكت اخاهـا النضر ، وعاتبت رسول الله (ص) لانه لم يمن عليه ويطلقه .[2]

وصفية بنت مسافر التي بكت اهل القليب الذين اصيبوا يوم بدر من قريش .[3]

ومن الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبدالله التي ردت على كعب ابن الأشرف في تحريضه على الرسول ، وبكائه قتلى قريش .[4]

وصفية بنت عبدالمطلب التي بكت اخاها حمزة بن عبدالمطلب (ر ض) بأبيات تفيض لوعة وحزنا ، ونعت فيه شمائل الاسلام[5] وهند بنت اثاثة التي رثت عبيدة بن الحارث حين استشهد من مصابه ببدر ، وناقضت هند بنت عتبة حين اعلنت تشفيها بقتل مسلمي احد .[6]

وكان رسول الله (ص) من وراء الشعراء المسلمين ، يؤ يدهم ويشد ازرهم ، ويوجههم الى ما يوافق الاسلام ، ويرد عن المسلمين هجاء المشركين واذاهم .

---

(١) ابن هشام ٢/ ٩٠

(٢) انظر ابن هشام ٢/ ٤٢

(٣) م . ن ٢/ ٤٠

(٤) م . ن ٢/ ٥٢

(٥) م . ن ٢/ ١٦٧

(٦) م . ن ٢/ ٤١ و ٩١

لقد كان يدرك اثر الشعر في تلك المعارك ، وتأثيره في نفوس العرب ، فحث شعراءه على هجاء الكافرين ، والتصدي لهم ، ليشفي صدور المسلمين ، ويرفع عن كواهلهم ما يثقلها من تلك الاشعار ، فكان يقول لهم : قولوا لهم مثل ما يقولون لكم .[1]

وقد فصلنا الحديث عن اتخاذ رسول الله الشعر سلاحا في المعركة في فصل (الرسول والشعر) .

وهكذا وقف شعراء الاسلام يذبون عن دينهم سهام اشعار المشركين واذاهم ، وطالما توجهوا بأشعارهم من يثرب الى المشركين في مكة ، ولذلك تكررت لفظة (أبلغ) و (من مبلغ) في مطالع قصائدهم ، لبعد المشركين عنهم ، ولطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على شعراء تلك الفترة .

فحين هاجر بنو جحش الى المدينة ، عدا ابو سفيان بن حرب على دارهم في مكة فباعها ، فقال عبدالله بن جحش[2] :

أبلغ ابا سفيان عن امر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها تقضي بها عنك الغرامه

وقال كعب بن مالك في احد [3] :

أبلغ قريشا على نأيها أتفخر منا بما لم تلي ؟

ونتيجة هذا الصراع الشعري تبلور فن النقائض التي وجدت بذرتها الأولى قبل الاسلام بين شعراء هذيل وبين شعراء الأوس والخزرج وغيرهم من الشعراء الجاهليين .

---

(١) العقد الفريد ٦/ ١٤٥

(٢) ابن هشام ١/ ٥٠٠

(٣) الديوان ٢٥٤ .

فكان ينقض شاعر ما قاله شاعر آخر ، بضد ما جاء به الأول ، ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول .

لقد اتخذ الصراع بين شعراء مكة والمدينة في اكثر الاحيان صورة المناقضات الشعرية ، وفي بعض الأحيان صورة المراجزات .

وقد تميزت المناقضات الاسلامية بسمو الموضوعات التي عالجتها ، ونبل الغاية التي قصدت اليها ، فموضوعاتها هي الاسلام ودعوته ، وغايتها اخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن ضيق الكفر الى سعة الاسلام .

أما معاني تلك المناقضات فكانت على نوعين :
اسلامية جديدة ، كالايمان والكفر ، والجنة والنار ، والوحي والملائكة ، واخرى قريبة من المعاني الجاهلية ، تعالج المآثر والأحساب ، والمثالب والأيام ، والتهديد والوعيد .

ومما يلاحظ ان الشعراء المسلمين لم يلتزموا بجميع القيود التي فرضت في العصر الأموي ، حيث وصل فن النقائض الى اوج كماله ، وانما كان يلتزم الشاعر ان يقول في موضوع الشاعر الذي يناقضه نفسه ، وقافيته وبحره ، اما الروي فلم يكن يلتزم به ، وكذلك لم يكن يلتزم بنقض معاني القصيدة ، الواحد تلو الآخر ، وانما كان يكتفي بمحاولة نقض المعاني العامة التي ترد في قصيدة شاعر قريش .

ومعظم تلك النقائض ظهرت في ظل الايام الاسلامية ، وابرز شعراء المسلمين الذين شاركوا في تلك النقائض هم حسان وكعب بن مالك .

أما شعراء قريش فهم ابو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص وهبيرة بن ابي وهب وضرار بن الخطاب .

ومعروف ان اهم ما يعتمد عليه الشاعر في نقائضه نقض المعاني التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر ، وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر للوصول الى هذا الغرض ، منها التكذيب والمقابلة والقلب والتوجيه والوعيد والشماتة .

وقد سلك الشعراء المسلمون جميع هذه الطرق ، مع غلبة عنصر الوعيد ، لأنه اكثر تلك الطرق تأثيرا في المشركين .

وهكذا كان هذا الصراع سببا في تفجر شاعرية قريش ، وظهور اكثر من جهة ساندت قريشا ضد معسكر المسلمين ، كشعراء القبائل وشعراء اليهود ، وكان للمرأة دور بارز في تلك المعارك الكلامية ، واخيرا فقد اسفر هذا الصراع عن تبلور فن النقائض الشعرية وازدهار بذورها الصغيرة التي كانت موجودة قبل الاسلام .

(٣)
القرآن والشعر

لو تتبعنا لفظة الشعر او الشعراء في القرآن الكريم لوجدنا انها وردت في ستة مواضع .

في خمسة منها يحكي القرآن ما حاول كفار قريش ان يلصقوه برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اتهامات باطلة ، وصفات طائشة كاذبة .

فبعد ان استمعوا الى آياته ، احسوا بروعة بيانه ، وبما له من تأثير في العقول ، وسيطرة على النفوس .

وراحوا يتخبطون في وصفه ، ولم يثبتوا على صفة معينة ينعتون بها من نزل عليه القرآن .

وحاولوا ان يعللوا اثره المزلزل في النفوس ، ولكنهم عجزوا فبدءوا يتنقلون من ادعاء الى ادعاء ، ومن تعليل الى تعليل آخر ، حائرين غير مستقرين . « بل قالوا اضغاث احلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » .[1]

ورد القرآن على هذه الافتراءات التي حاول المشركون ان يفسروا الوحي بها ، فنفى ما ادعوه من وصف النبي بأنه شاعر ، ووصف القرآن الذي نزل عليه بأنه شعر .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥

« وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين »(١) يعني ان القرآن هو كلام الله ـ عز وجل ـ ، وهو الحق الذي لا يشوبه باطل ، والصدق الذي لا يخالطه كذب ، حكمة بالغة منزهة عن قول الشعراء .(٢)

وما كان ليخفى على كبراء قريش ، وهم ائمة القول والبيان ، ان الأمر ليس كذلك ، وان ما جاءهم به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول غير معهود في لغتهم ، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر .

فحين قال المشركون للوليد بن المغيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : نقول انه كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه وبسيطه ، فما هو بالشعر .(٣)

وقد روي في اسلام ابي ذر الغفاري انه قال له اخوه انيس ، وكان شاعراً : لقد لقيت رجلا على دينك ، يزعم ان الله قد ارسله ، يسمونه الصابي ، قال ابو ذر : ما يقول الناس ؟ قال يزعمون انه كاذب ، وانه ساحر ، وانه شاعر ، وقد سمعت قوله ، فوالله ما هو

---

(١) سورة يس آية ٦٩ ـ ٧٠

(٢) الزينة في الكلمات الاسلامية ١/ ٩٨ .

(٣) الروض الأنف ١/ ١٧٣

بقولهم ، وقد سمعت قولهم ، ووالله اني لأراه صادقا . [1]

وفي رواية : لقد وضعت قوله على أقراء الشعر (قوافيه) فلا يلتئم على لسان احد ، اي على طرق الشعر وبحوره . [2]

فوصف الرسول بالشعر انما كان طرفا من حرب الدعاية التي شنوها على الدين الجديد وصاحبه في أوساط الجماهير ، معتمدين فيها على جمال النسق القرآني المؤثر ، الذي قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعر اذا وجهت هذا التوجيه . [3]

وهكذا جاءت لفظة الشعر هنا في معرض نفي ادعاء المشركين ونفي لياقته برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاختلاف منهجه عن منهج النبوة .

ووردت هذه اللفظة في موضع آخر في القرآن على لسان المشركين ايضا ، حين تقولوا على رسول الله فنعتوه ـ بلا بينة ـ بالشعر والجنون « ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدّق المرسلين » .[4]

ووصفوه بالشعر مرة اخرى ايضا « ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » . [5]

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ١/ ٨٨

(٢) لسان العرب . مادة (قرأ)

(٣) في ظلال القرآن ٢٣/ ٣٤

(٤) سورة الصافات : آية ٣٦ و ٣٧

(٥) سورة الطور : آية ٢٩ و ٣١

ويأتي رد القرآن حاسما على هذه التخرصات وتلك التقولات ، فينفي عن القرآن شبهة الشعر التي اثاروها « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون » . [1]

ان هذه الآيات التي اوردناها انما جاءت لتصور موقف المشركين ازاء القرآن وتأثيره في النفوس ، ثم للرد على تفسيراتهم ، ولتأكيد ان القرآن وحي من الله تنزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فجميعها اذن مسوقة لتنزيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ان يكون من الشعراء ، ولابطال زعم المشركين ان القرآن من قبيل الشعر كما اوضح جميع المفسرين .

ان القرآن لم يتحدث في هذه الآيات عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم ان يتعاطاه او يحرم ذلك عليه ، وانما اورد لفظة الشعر او الشاعر للتعريف بنفسه ، وللتفريق بينه وبين الشعر فحسب .

ومن واديه تماما ، تأكيد القرآن لأمية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دفعا للاتهام بأنه قرأ الكتب السماوية ، ونسج على غرارها « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون » [2] ولم تعن امية الرسول ، وتقرير القرآن لهذه الامية ان الدين الاسلامي يحض على الأمية ، ويكره العلم . [3]

---

(١) سورة الحاقة : آية ٣٩ و ٤٢

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٨

(٣) قيم جديدة : ٦٨

وموقف الاسلام من تشجيع العلم معروف لا يحتاج الى تفصيل .

أما الموضع الذي تناول فيه القرآن كلمة الشعر من حيث هو فن يمكن ان يستخدم في مواطن الخير او الشر ، فقد جاء ذلك في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .[1]

إن القرآن لم يحارب الشعر لذاته في هذه الاحكام ، وانما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الاحلام المهومة التي تشغل اصحابها عن تحقيقها .[2]

لذلك جاء وصف الشعراء في القسم الأول من هذه الاحكام بأنهم يجاريهم ويسلك مسلكهم ، ويكون في جملتهم الغاوون الضالون عن سنن الحق ، الحائرون فيما يأتون ويذرون ، ولا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والأقوال ، وانهم في كل لغو يخوضون « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » وفي كل فن ينظمون ، وهم يعملون خيالهم في كل الموضوعات بدون تمييز .

قال الحسن البصري : قد والله رأينا اوديتهم التي يخوضون فيها ، مرة في شتيمة فلان ، ومرة في مديحة فلان .

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ١٩/ ١٢٠

وقال قتادة : الشاعر يمدح قوما بباطل ، ويذم قوما بباطل « وانهم يقولون ما لا يفعلون » فهم يتبجحون بأقوال وافعال لم تصدر عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم .

ولهذا اختلف العلماء فيما اذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حداً ، هل يقام عليه الحد بهذا الاعتراف ام لا ؟ لأنهم يقولون ما لا يفعلون .

وقد روي ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استعمل النعمان ابن عدي على ميسان من ارض البصرة ، وكان يقول الشعر ، فقال :

من مبلغ الحسناء ان حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تجثو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم[1]

فلما بلغ ذلك الخليفة عمر قال : أي والله اني ليسوؤني ذلك .

ومن لقيه فليخبره اني قد عزلته ، وكتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من العزيز العليم . غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب . ذي الطول . لا اله الا هو . اليه المصير .

أما بعد : فقد بلغني قولك :

لعل امير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

وأيم الله . انه ليسوؤني وقد عزلتك .

---

(١) حنتم آنية خضر من نوع جيد من الفخار . الدهقان : رئيس الفلاحين بين الاعاجم وتستعمل بمعنى الماهر الحاذق . المنسم : القدم . الجوسق : القصر .

فلما قدم على عمر بكّته بهذا الشعر . فقال : والله يا امير المؤمنين ما شربتها قط . وما ذاك الشعر الا شيء طفح على لساني .

فقال عمر : اظن ذلك ، ولكن والله لا تعمل لي عملا ابداً ، وقد قلت ما قلت ، فلم يذكر انه حده على الشراب مع تصريحه بذلك في شعره ، لأن الشعراء يقولون ما لا يفعلون .[1]

وقيل : ان هذه الآية نزلت في شعراء المشركين عبدالله بن الزبعري ، وهبيرة بن ابي وهب ، ومسافع بن عبدمناف ، وابي عزة الجمحي ، وامية بن ابي الصلت ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ، ويجتمع اليهم الأعراب ، يستمعون الى اشعارهم واهاجيهم ، ولذلك فهم الغاوون الذين يتبعونهم .[2]

وبعد ان ينتهي القرآن من تقرير هذه الصفات للشعراء المشركين ومن والاهم ، يعود ليستثني الشعراء المؤمنين الصالحين ، فبعد ان نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون » توجه حسان بن ثابت وعبدالله ابن رواحة وكعب بن مالك الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يبكون . قالوا : قد علم الله حين انزل هذه الآية ، انا شعرا ، فتلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قال : انتم . « وذكروا الله كثيرا » قال : انتم . « وانتصروا من بعد ما ظلموا » قال : انتم .[3]

ويمكن ان ينسحب حكم هؤلاء الثلاثة على كل من كان على صفتهم التي وصفهم الله بها .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ ق ١/ ١٠٣

(٢) تفسير الكشاف ٢/ ٤٤٠

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٢

وأوضح الزمخشري المرادين بهذه الصفات فقال : هم المؤمنون الصالحون الذين يكثرون ذكر الله ، وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر ، واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ، ومدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة وصلحاء الأمة ، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم [1] ، وليس لمصلحتهم الذاتية وأهوائهم الشخصية ، ولا انتصارا لقبائلهم او جنسهم ، وانما هو انتصار للحق وللقيم التي ينبغي ان يسخروا لها قابلياتهم ويجندوا اقلامهم ، فالمؤمن من يجاهد بسيفه ولسانه .

وبعد هذا العرض يمكن ان نستنتج ان القرآن قد ميز بين فريقين من الشعراء .

فريق استغل فنه فيما ينافي هدى الدين وآدابه ، فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن ، وفريق اتجه بشعره الى العمل الخير الجميل ، والى نصرة الحق أنى وجد ، فهو الفريق الذي اخرجه من ذلك الوصف العام ، وأيده بكل قوة .

فالقضية اذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والأغراض ، وليست في الشعر ذاته ، لأنه سلاح ذو حدين .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه . [2]

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤١

(٢) العمدة ١/ ٢٧

(٤)

الرسول (ص) والشعر

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية ، ونشأ وترعرع بين قوم يعدون الشعر ديوان فضائلهم ، وسجل مفاخرهم ، ووسيلة تخليد مآثرهم ، قوم يتعشقون الكلمة الحلوة ، ويطربون لسماع اللحن العذب ، ويقيمون الأسواق والمواسم تحقيقا لمتعة سماع الشعر .

فهو لهم جبلة فُطروا عليها ، وسجية متأصلة في نفوسهم ، يولد معهم ويعيش في داخلهم ويجري على ألسنتهم ، فلا غرو ان يقول هذا الرسول صلى الله عليه وسلم : لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين .(١)

ومن هنا كان تأثر محمد ـ صلى الله عليه وسلم بالشعر ، وعنايته به ، واستماعه له ، شأنه في ذلك شأن اي عربي آخر ، اذ لا تناقض بين الرسالة وبشرية الرسول من حيث استجابته للشعر « قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ » .

وقد كان قبل النبوة يحضر مع لداته سوق عكاظ ليسمع الشعر ، فقد روى انه سمع الشاعر عمرو بن كلثوم وهو بعكاظ ينشد معلقته المشهورة .(٢)

---

(١) العمدة ١/ ٣٠

(٢) الأغاني ٩/ ١٧١ (طبعة ساسي)

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي : كان الشعر احب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كثير من الكلام .[1]

ولذلك كان ادق فهما ، واكثر ادراكا لمقاصد الشعراء فقد روى السكري ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما سمع قول كعب بن زهير :

وجناء في حرّتَيْها للبصير بها عتق مبين وفي الخدّين تسهيل

قال لأصحابه : ما حرّتاها ؟ فقال بعضهم : العينان . وسكت بعضهم . فقال النبي : هما اذناها ، نسبهما الى الكرم .[2]

وكان يتوق الى معرفة كيفية جريان الشعر على لسان الشعراء ، ولذلك نراه يسأل شاعره عبدالله بن رواحة : ما الشعر ؟ فيْجيبه ابن رواحة : شيء يختلج في صدر الرجل ، فيخرجه على لسانه شعراً .[3]

الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء :

وقد وصل الينا كثير من ألأحاديث النبوية ، يتحدث فيها النبي عن الشعر والشعراء ، من ذلك قوله : « إن من البيان لسحراً ، وان من الشعر لحكما » تعليقا على ابيات العلاء بن الحضرمي التي قال فيها :

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٥٢

(٢) شرح بانت سعاد ١٣١

(٣) شرح شواهد المغنى ١/ ٢٩٣

وحـي ذوي الأضغـان تسـب قلوبهم
تحيتـك الحسنـى فقديرقـع النعل
فان دحسـوا بالـكره فاعف تكرما
وان اخنسـوا عنـك الحـديث فلا تسل
فان الـذي يؤذيك منـه استماعه
وإن الـذي قالـواوراءك لم يقل[1]

وفي تعليق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعجاب بحكمة الشاعر ، واقرار بسحر بيانه ، وتوضيح لتأثير الشعر واسره .

وقد روي الحديث بصورة اخرى تعطي الشعر قيمة توضيحية لمواطن استعمال الكلمات ، فقد روي « إن من الشعر لحكمة ، فاذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر ، فانه عربي » .[2]

وثمة حديث يبين منزلة الشعر ، حيث يقول : الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .[3]

وانطلاقا من هذا الحديث وصلت الينا اكثر من حادثة تبين سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان يرى خروج الشعراء على القيم والمفاهيم الاسلامية الجديدة ، او أي عودة منهم الى ما كانوا عليه من قيم ومفاهيم الجاهلية ، حيث كان ينكر عليهم ذلك ، ويوجههم نحو الصحيح من القول ، والحسن من الكلام ، بمقياس اسلامي جديد .

---

(١) كنز العمال ٢/ ١٧٨ وعيون الأخبار ٢ / ١٨

(٢) اللسان مادة (شعر)

(٣) الأدب المفرد ١٢٥ والدارقطني ٤٩٠

فعندما يسمع كعب بن مالك يقول :

مدافعنا عن جذمنا كل فخمة   مدربة فيها القوانس تلمع

ينكر عليه اتجاهه نحو العصبية القبلية ، التي هي من آثار الجاهلية ، ويطلب اليه ان يبدل كلمة (جذمنا) بكلمة (ديننا) ، ويفعل ذلك كعب ، وينشرح صدره فرحا لهذه الملاحظة القيمة .(١)

وحين يفد النابغة الجعدي وينشده قوله :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ويحس النبي صلى الله عليه وسلم بتوجه الشاعر نحو الاسلوب الجاهلي في الفخر ، يقول له : الى اين يا أبا يعلي ؟ فيقول النابغة : الى الجنة . فيقول له النبي مغتبطا بهذه الروح الجديدة : إن شاء الله .(٢)

ولما انشده ابن رواحة قوله

فخبروني اثمان العباء متى   كنتم بطاريق او دانت لكم مضر

قال ابن رواحة : فكأني عرفت في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكراهية ، ان جعلت قومه اثمان العباء ، فقلت على الفور :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل الصور(٣)

---

(١) انظر ديوان كعب ٢٢٣

(٢) العقد الفريد ١/ ٢٥٦ وشعر النابغة ٥١

(٣) طبقات الشعراء ١٨٧

فعاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى طبيعته ورضاه .

ولما انشد كعب بن زهير لاميته المشهورة ووصل الى قوله :

إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

قال له : من سيوف الله . فأصلحها كعب .[1]

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة على اسلوب توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لشعرائه ، لينسجموا في ألفاظهم واساليبهم مع الاسلام ، وننتقل الى لون آخر من توجيهاته لهم ، حيث كان يوجه شعراء الهجاء الى اسلوب يجنبهم تعميم الهجاء على قوم المهجو وقبيلته ، ويجعلهم يلتزمون الدقة فيما يقولون حيث يقول لهم :

ان اعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها .[2]

ويقول لهم في توجيه آخر شبيه بهذا التوجيه : اعظم الناس فرية اثنان ، شاعر يهجو القبيلة بأسرها ، ورجل انتفى من ابيه .[3]

ومن الألوان الأخرى لتوجيهاته شعراء الاسلام عندما كان يجيد هؤلاء الشعراء في قولهم ويحسنون في منطقهم ، يجد ذلك صداه عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، ويعبر لهم عن استحسانه ، بأساليب مختلفة ، فحين انشده النابغة الجعدي قوله :

---

(١) شرح بانت سعاد ١٦٦

(٢) صحيح الجامع الصغير ٢/ ٥٠

(٣) م . ن ١/ ٣٥٢

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفـوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الأمر اصدرا

دعا له بالخير بعد ان استجاد قوله فقال له : اجدت ، لا يفضض الله فاك . ويقال : انه عاش مائة وثلاثين سنة لم تفضض له سن . (1)

وينشده كعب بن مالك قوله :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغَلاّب

فيستحسن منه ذلك ، ويقول له : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا . (2)

وفي رواية : يا كعب ، ما نسي ربك ، او ما كان نسيا بيتا قلته ، قال كعب : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : انشد يا ابا بكر ، فانشده البيت السابق . (3)

وجاء رجل من بني ليث ، فقال : ألا أنشدك ؟ قال : لا .

فأنشده بعد الرابعة مدحة له ، فقال : ان كان أحد من الشعراء أحسن فقد أحسنت (4) .

وقال الشاعر ضرار بن الأزور : اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنشدته :

(1) معجم الشعراء ١٩٥ والعقد الفريد ١/ ٢٥٦
(2) ابن هشام ٢ / ٢١٦
(3) ربيع الابرار ٢/ ٢٦١ (المخطوط)
(4) الاصابة ٢/ ٢٥٧

خلعت القداح وعزف القيا ... ن والخمر اشربها والثمالا
وكري المجبّر في غمرة ... وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة بدّدتنا ... وطرحت اهلك شتى شمالا
فيا رب لا أغبنن صفقة ... فقد بعت اهلي ومالي بدالا

فقال النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ : ربح البيع . وقيل : ما غبنت صفقتك يا ضرار .[1]

وقال ابن حبيب : انشدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمد لله حمداً لا انقطاع له ... فليس احسانه عنا بمقطوع

فقال : احسن وصدق . وان الله ليشكر مثل هذا ، وان سدد وقارب انه لمن اهل الجنة .[2]

ولم يقتصر استحسان الرسول على اشعار المسلمين ، بل تجاوزها الى ما كان أمامه من أشعار الجاهليين التي تتفق ومثل ومبادىء الاسلام . فحين أنشد منشد قول سويد بن عامر المصطلقى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تأمنن وان امسيت في حرم ... إن المنايا بجنبْي كل انسان
فكل ذي صاحب يوماً يفارقه ... وكل زاد وإن ابقيته فان

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لو ادرك هذا الاسلام

---

(١) اسد الغابة ٣/ ٥٢

(٢) الاصابة ٢/ ١٠٩

لأسلم . (١)

وقال الحسن البصري : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كلمة نبيّ ألقيت على لسان شاعر : إن القرين بالمقارن مقتدى . (٢)

يريد البيت الذي صدره : عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد . وفي رواية : اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألاكل شيء ما خلا الله باطل . (٣)
وكان يعجب بقول عنترة :

ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به كريم المأكل

حتى انه جسّد اعجابه بهذا الشاعر الجاهلي البطل بأن قال : ما وصف لي اعرابي قط ، فاحببت ان أراه الا عنترة .(٤)

وعندما انشد لديه قول امية بن ابي الصلت :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث يرصد

قال : صدق ، هكذا صفة حملة العرش . (٥)

وكثيرا ما كان يقول للسيدة عائشة رضي الله عنها : ما فعل بيتك ؟ او بيت اليهودي ؟ فتقول :

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٤٠٠

(٢) المرزباني ٨٢

(٣) صحيح الجامع الصغير ١ / ٣٣٦ ، ٣٣٨

(٤) الاغاني ٨/ ٢٤٣ (طبعة الدار)

(٥) الاصابة ١/ ١٣٤

يجزيك او يثني عليك وان من　　اثنى عليك بما فعلت كمن فعل

فيقول الرسول (ص) : صدق يا عائشة ، ان الله عز وجل اذا اجرى لرجل على يدي رجل خيرا فلم يشكره ، فليس لله بشاكر . [1]

ولعل في حكمه على شعر امرىء القيس دليل على ما كان يتمتع به من قدرة نقدية ، وموهبة لتذوق الشعر الحسن ، اذ عرف فضله ، وادرك مكانته بين الشعراء ، فجعل له زعامة الشعراء الجاهليين حين اقبل وفد من اليمن ، فقالوا : يا رسول الله ، لقد احيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس . . . فقال : ذاك رجل مذكور في الدنيا ، منسي في الآخرة ، شريف في الدنيا ، خامل في الآخرة ، يجيء يوم القيامة في يده لواء الشعراء .

وفي رواية : وبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار . [2]

ويروى انه سئل يوما : من اشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

ألم تریاني كلما جئت طارقا　　وجدت بهاوان لم تطيب طيبا[3]

ويظهر ان ذوقه في هذا البيت فني خالص ، لا سلطان لمقياس الدين او الاخلاق عليه .

---

(١) المحاسن والمساوىء ١٢٤

(٢) الاصابة ٢/ ٤٨١ والعقد الفريد ٣/ ٩٣

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٥١ وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرىء القيس في ديوانه ٤١ وقد رواه الرسول (ص) مكسوراً حيث قدم فيه واخر، واصله :

ألم ترياني كلما جئت طارقا　　وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وعرف رسول الله مكانـة الشعـر في الحياة العـربية الاجتماعية ، فأراد ان يوجه هذه الأداة التي يحسن العرب استعمالهـا ، الى حيث يخدم المجتمع ، ويبعث الفضائل الكامنة في نفوسهم ، فقـال : ان هذا الشعر سجع من كلام العرب ، به يعطى السائل ، وبه يكظم الغيظ ، وبه يؤتى القوم في ناديهم .[1]

إنشاد الرسول (ص) الشعر :

تحدثنا في فصل سابق عن امتناع الشعر على رسول الله (ص) ، ونفى القرآن عنه الشعر في قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » .

ولما سئلت السيدة عائشة : هل كان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل ببيت اخي بني قيس (طرفة بن العبد) فيجعل آخره أوله ، واوله آخره . فقال له ابو بكر : ليس هكذا . فقال النبي (ص) اني والله ، ما انا بشاعر ، ولا ينبغي لي .[2]

وقال الحسن البصري : إن النبي (ص) كان يتمثل بصدر هذا البيت على هذه الصورة : كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا .

فقال أبو بكر : انما قال الشاعر : كفى الشيب والاسلام للمـرء ناهيا .

فقال عمر : اشهد انك رسول الله ، يقـول الله : ومـا علمنـاه الشعر وما ينبغي له .[3]

---

(١) طبقات الشافعية ١/ ١٣٤

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٣ وتفسير الرازي ٧/ ١١١

(٣) السراج المنير ٣/ ٢٩٤

وقد علل العلماء امتناع رسول الله عن قول الشعر ونظمه ، بأنه لنفي الظنة التي حاول المشركون الصاقها به .

قال الخليفة المأمون لأبي علي المنقري : بلغني انك اميّ ، وانك لا تقيم الشعر ، وانك تلحن في كلامك .

فقال : يا امير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ، واما الامية وكسر الشعر فقد كان النبي أميا ، وكان لا ينشد الشعر .

قال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني فيك عيبا رابعا ، وهو الجهل ، يا جاهل ان ذلك في النبي فضيلة ، وفيك وفي امثالك نقيصة وانما منع ذلك النبي لنفي الظنة عنه ، لا لعيب في الشعر والكتابة ، وقد قال الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون .[1]

وعلله آخرون بأن الشعر ضرب من الملاهي التي لا تصلح لرسول الله (ص) . قال السيوطي : إن علماء العروض مجمعون على انه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع ، الا ان صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع ، والايقاع ضرب من الملاهي ، لم يصلح ذلك لرسول الله (ص) : ما انا من دَدٍ ، ولا الددُ مني .[2]

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٩٨

(٢) الدد : اللهو واللعب . انظر المزهر ٢/ ٢٩١

وتجسيدا لكل ذلك نجد الرسول (ص) اذا اراد التمثل بالشعر رواه مكسوراً ، فحينا اتاه العباس بن مرداس قال له : أأنت القائل ؟

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال ابو بكر : بين عيينة والأقرع ، فقال الرسول (ص) : هما واحد ، فقال ابو بكر : اشهد انك كما قال الله : « وما علّمناه الشعر وما ينبغي له » .(1)

وكما مرّ بنا في انشاده بيت طرفة وبيت عبد بني الحسحاس مكسورين ايضا .

وقد يكتفي بذكر الكلمة او الكلمتين من البيت ، ليتمه الشاعر بعده ، فحين استأذنه عبدالله بن رواحة في هجاء ابي سفيان بن الحارث ، قال له : أأنت الذي تقول : فثبّت الله ؟ قال عبدالله : نعم ، يا رسول الله ، أنا الذي اقول :

فثبت الله ما اعطاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له : وانت فعل بك مثل ذلك . ثم وثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله ، ائذن لي ، فقال انت الذي تقول : همّت ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي اقول :

همّت سخينة ان تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

---

(1) ابن هشام ٢/ ٢٩٤

فقال : إن الله لم ينس ذلك لك .[1]

أو قد يكتفى بشطر واحد من البيت ، روى انه قال : اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل .

ثم سكت عن عجز البيت .[2]

أو قد يطلب ممن يحضره ان يروي الشعر الذي يريد ، فحين بلغه ان قوما نالوا ابا بكر بألسنتهم ، صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ليس احد منكم أمنّ عليّ في ذات يده ونفسه من ابي بكر ، كلكم قال لي كذبت . وقال لي ابو بكر صدقت ، فلو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت ابا بكر خليلا . ثم التفت الى حسان فقال : هات ما قلت فيّ وفي ابي بكر، فقال حسان : قلت يا رسول الله :

إذا تذكرت شجواً من اخي ثقة   فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا

الى آخر الابيات .

فقال رسول الله (ص) : صدقت يا حسان ، دعوا لي صاحبي . قالها ثلاثا .[3]

وقالت السيدة عائشة : كان رسول الله كثيراً ما يقول :

ما فعلت ابياتك ؟ فأقول : أي ابياتي تريد ، فانها كثيرة ؟

فيقول : في الشكر فأقول : نعم بأبي وامي . قال الشاعر :

---

(١) الأغاني ١٥/ ٢٨

(٢) اللؤلؤ والمرجان ٥٨٦

(٣) الديوان ٣٥٥ (طبعة البرقوقي) ٣٩٥ (طبعة د . حنفي)

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه   يوما فتدركه عواقب ما جنى

الى آخر الابيات .[1]

وكان الرسول (ص) يختزن في ذاكرته بعضا من اشعار الجاهليين التي تدعو الى الفضائل ، ويتذكرها حين تنشد امامه . فقد جاء عن ابي وداعة قوله : رأيت رسول الله (ص) وابا بكر عند باب ، فمر رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحوّل رحله   ألاّ نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم   منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله الى ابي بكر قائلا : أهكذا قال ؟ قال ابو بكر : لا والذي بعثك بالحق ، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله   ألاً نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم   منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين فقيرهم بغنيهم   حتى يعود فقيرهم كالكافي[2]

وقد تحكي هذه الرواية أخذ رسول الله صحابته بالتدريب على رواية الشعر ومعرفتهم صحيحه من غيره .

ولم يجر على لسان رسول الله مما صحّ وزنه الا البيت من الرجز المنهوك والمشطور ، فقد ورد في كتب الحديث انه قال :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٥٩ والعقد الفريد ٥/ ٢٧٥

(٢) امالي القالي ١/ ٢٤١

وارجاز اخرى في بناء مسجد المدينة ، وفي حفر الخندق [1] ومعروف ان الرجز ليس شعراً ، بل هو وزن كأوزان السجع ، ومنزلته بين الشعر والنثر ، وان الشطرين منه كالشطر من الشعر ، حتى ان الخليل لم يعد المشطور منه شعراً [2]

إباحة الرسول نظم الشعر ، وسماعه له :

أباح رسول الله للشعراء نظم الشعر ، واستحسن منهم ذلك ، فكان يجالسهم ويصغي اليهم ، ويستمع الى ما ينشدون من اشعارهم او يروون من اشعار الجاهليين .

قال جابر بن سمرة : جالست النبي (ص) اكثر من مائة مرة ، فكان اصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون اشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت فربما تبسم معهم [3]

وكان يستنشد الصحابة اشعار الجاهليين ، ويستمع معهم الى ذلك فقد روي انه جلس في مجلس من الخزرج ، فاستنشدهم شعر قيس بن الخطيم ، فأنشدوه بعض شعره .[4]

ولم ير بأسا في ان يمتدحه الشعراء ، لأنهم في مدحه انما كانوا يجسدون المبادىء التي جاء بها .

قال حريم بن اوس الطائي : قدمت على رسول الله (ص)

---

(١) أنظر اللؤلؤ والمرجان ٤٧١

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٢

(٣) تفسير الخازن ٣/ ٣٧٤

(٤) الاغاني ٣/ ٧

منصرفا من تبوك فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله ، اني اريد ان امتدحك .

فقال النبي (ص) : قل لا يفضّض الله فاك ، فأنشأ يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

في أبيات طويلة . [1]

وقد وافق على ان ينظم الشعراء مواعظه واحاديثه شعرا ، تسهيلا لحفظها ، وطالما استأذنه الشعراء في ذلك ، فأذن لهم واستمع الى اشعارهم بعد نظمها .

روت السيدة عائشة قائلة : قال رسول الله (ص) لأصحابه : انما مثل احدكم ومثل ماله ومثل عمله ومثل اهله كمثل رجل له ثلاثة اخوة فقال لأخيه الذي هو ماله حين حضره الموت : قد نزل بي ما ترى فما عندك ؟ قال : مالك عندي غنى ، ولا نفع الا ما دمت حياً ، فان فارقتني ذهب بي الى غيرك .

فالتفت النبي (ص) فقال :

أي أخ ترونه ؟ قالوا : ما نرى طائلا . قال : ثم التفت لأخيه الذي هو اهله . فذكر نحوه فقال : اقوم عليك فأمرضك ، فاذا مت غسلتك ، وكفنتك وحملتك ودفنتك ، ثم ارجع فأخبر عنك من سأل . قال : فأي اخ هذا ؟ قالوا : ما نرى طائلا . ثم قال لأخيه الذي هو عمله نحوه فقال : اتبعك الى قبرك واقيم معك ، واونس

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٣٥٤

وحشتـك ، واقعـد في كفنـك فلا افارقـك . قال : فأي اخ هذا ؟ قالوا : خير أخ .

قال فقام عبدالله بن كرز الليثي ، فقال : اي رسول الله ، اتأذن لي ان اقول على هذا شعرا ؟ فقال : نعم . قال : فبات ليلته ، وغدا فقام على رأس سول الله (ص) ، فقال :

إني ومالي والـذي قدمـت يدي كراع اليه صحبـة ثم قائل
لأصحابـه اذهـم ثلاثـة إخوة اعينوا على امري الذي بي نازل

. . . . الأبيات

قال : فما بقي عند النبي (ص) ذو عين تطرف الا دمعت عيناه .[1]

وقال قيس بن عاصم : وفدت مع جماعة من بني تميم ، فدخلت على رسول الله (ص) ، وعنده الصلصال بن الدهمس . فقلت : يا رسول الله عظنا عظة ننتفع بها ، فوعظنا موعظة حسنة . فقلت : احب ان يكون هذا الكلام ابياتا من الشعر ، نفتخر به على من يلينا وندخرها نعلمها اولادنا فأمر من يأتيه بحسان .

فقال الصلصال : يا رسول الله قد حضرتني ابيات احسبها توافق ما اراد قيس . فقال : هاتها . فقال :

تجنـب خليطـا من مقـالك انما
قـرين الفتـى في القبرمـاكان يفعل

(١) الاصابة ٢/ ٣٥٤

ولا بد بعد الموت من ان تعده
ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وان كنت مشغولا بشيء فلا تكن
بغير الذي يرضى به الله تشغل
ولن يصحب الانسان من قبل موته
ومن بعده الا الذي كان يعمل
ألا انما الانسان ضيف لأهله
يقيم قليلا بينهم ثم يرحل(١)

وكان الرسول (ص) يستعين بسماع الشعر على قطع المسافات في السفر ، فيطلب من يحدو وينشده ، وهو يستمع اليه بكل جوارحه مطرباً .

كان في ليلة على سفر ، فقال : اين حسان ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله ، وسعديك . قال : احْدُ . فجعل حسان ينشد والنبي يصغي اليه ، فما زال يستمع له وهو يسوق راحلته حتى كاد رأس الراحلة يمس الورك ، طربا لنشيده ؛ فلما فرغ ، قال له الرسول : لهذا اشد عليهم من وقع النبل .(٢)

وكان يوما في مسير له ، فقال لسلمة بن الاكوع : انزل فهات من هناتك .(٣) فنزل سلمة يرتجز ويقول :

---

(١) م . ن ٢/ ١٨٦

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ١٢٩ والأغاني ٤/ ٦

(٣) هناتك : اخبارك واشعارك

لم يغذهــا مدٌّ ولا نصيف ولا تمــيرات ولا تعجيف[1]
لكن عذاهــا اللبــن الخريف المحض والقارص والصريف[2]

وروى عمــرو بن الشريد عن ابيه قال : ردفــت وراء النبــي (ص) ، فقال : هل معك من شعر امية بن ابي الصلـت شيء ؟ قلت : نعم . قال : هيه فانشدته بيتا ، قال : هيه . حتى انشدته مائة بيت ، فقال ، لقد كاد يسلم في شعره .[3]

وسمع رسول الله (ص) يومـا جارية لحسـان بن ثابـت تغنـي بالشعر وتلهو ، فتبسم ولم ير حرجا في ذلك .[4]

الاستشفاع بالشعر بين يدي الرسول (ص) :

وعرف الشعـراء ما للشعـر من تأثـير في نفس الرسـول (ص) وقلبه ، فاتخذوا منه وسيلة يستشفعون بها عنـده ، وكان يسـتجيب لهم ، فينصر مستنصرهم ويغيث مستغيثهم ، ويقبل من معتذرهم ، ويرق لمتألمهم .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على قبيلة خزاعة ، واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (ص) من العهد والميثاق ، بما استحلوا من خزاعة وكانت في عقـده وعهـده ، خرج

---

(١) المد : المكيال . والنصيف : نصفه . التعجيف : الأكل دون الشبع
(٢) شرح ادب الكاتب ٣٩١
(٣) تفسير الخازن ٣/ ٣٧٤
(٤) شرح شواهد المغنى ١/ ٣٣٤ .

عمرو بن سالم الخزاعي ، حتى قدم على رسول الله (ص) وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس ، فقال : ـ

يا ربِّ إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والدا ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً اعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فاستجاب له رسول الله ، وقال : نصرت يا عمرو بن سالم ، وفي رواية : لبيك لبيك ثلاثا . ثم عرض لرسول الله (ص) سحاب من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب .[1]

ومن صور الاستغاثة ما روي عن عبدالله بن الأعور المازني انه كانت له زوجة يقال لها : معاذة ، وحين خرج يمير اهله من هجر هربت زوجته ناشزة ، وعاذت برجل يقال له مطرف ، فجعلها خلف ظهره ، فلما قدم زوجها لم يجدها في بيته واخبر انها نشزت وعاذت بمطرف بن نهصل ، وكان مطرف أعز منه ، فخرج حتى اتى النبي (ص) فعاذ به ، وانشد يقول : ـ

يا سيد الناس وديان العرب اشكو اليك ذربة من الذرب
كالذئبة العسلاء في طل السرب خرجت ابغيها الطعام في رجب
فخالفتني بنزاع وهرب اخلفت الموعد ولظت بالذنب
وهنّ شرٌّ غالب لمن غلب .

فقال النبي (ص) : وهن شر غالب لمن غلب .

فكتب لهُ الى مطرف : انظر الى امرأة هذا معاذة فادفعها اليه .

---

(١) ابن هشام ٣/ ٢٩٤ والاصابة ٢/ ٥٢٩

فأتاه بكتاب النبي ، فقرىء عليه ، فقال لها : يا معاذة ، هذا كتاب النبي (ص) فيك ، وأنا دافعك اليه ، فقالت : خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي ، ان لا يعاقبني فيما صنعت . فأخذ لها ذلك ودفعها اليه . [1]

وهكذا استغاث الشاعر بتلك الأبيات الرقيقة المؤثرة ، فاستجاب له رسول الله لحسن اسلوبه ورقة شعره .

ومن صور الاعتذارات الشعرية حينما بعث رسول الله الى حي من احياء العرب ، يقال لهم حي ذوي الاضغان ، بشيء ليقسم في فقرائهم ، فكان فيهم شيخ مسن يقال له قيس بن الربيع ، فأعطوه شيئا قليلا ، فغضب فهجا ، ثم جاء الى النبي معتذرا ، فأنشده ابياته : ـ

وحي ذوي الأضغان تسب قلوبهم
تحيتك الحسنى وقد يرقع النعل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فطاب قلب النبي لحسن اعتذاره ، وقال : ـ يا قيس ، لم تقل ، يا قيس لم تقل . وأقبل على أصحابه ، فقال : من لم يقبل من متنصل عذراً ، صادقا او كاذبا ، لم يرد على الحوض . [2]

وقصيدة قتيلة بنت الحارث في عتاب الرسول على قتل ابيها مشهورة اذ قال الرسول (ص) بعد سماعها : لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته . [3]

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٢٥٦

(٢) الاصابة ٣/ ٢٣٦

(٣) النص والقصة في الممتع ص ١٧ وفيه مصادره الكثيرة .

الشعر في المعركة : -

تحدثنا في موضع آخر عن دور الشعر في الصراع الذي دار بين مكة والمدينة في عصر النبوة ، ونضيف هنا انه كان لشعر المشركين واليهود اثره الكبير في نفس الرسول ، ونفوس المسلمين ، وفي تعويق الدعوة ، والتنفير منها ، لما كان له من ذيوع وانتشار بين القبائل العربية ، ولم تكن معظم القبائل خارج المدينة لتسمع عن الاسلام ، اوتعرف عنه شيئا الا عن طريق ما يصل اليها من الشعر ، هذا اذا استثنيا بعض من كان يبعث بهم الرسول من دعاة الاسلام ، وحتى هؤلاء ، فان الشعر القريشي كان يفسد عليهم عملهم ودعوتهم ، لانه صادر عن مكة ، وهي مركز العرب الديني والتجاري والثقافي ، وعن قوم النبي ، والمفروض انهم اعرف به وبدعوته من القبائل الاخرى .

ودعاء رسول الله على عمرو بن العاص ، الذي كان يهجوه من قبل اسلامه ينم عن عمق الألم والمرارة التي كان يحس بها رسول الله من تلك الاشعار ، فقد توجه الى الله بقوله : اللهم ان عمرو بن العاص قد هجاني ، وهو يعلم اني لست بشاعر ، اللهم فاهجه والعنه عدد ما هجاني .(١)

لذلك قرر الرسول ان يفل من هذا السلاح الذي اراد المشركون أن يتخذوا منه سلاحا ماضيا يشهرونه في وجه الدعوة الاسلامية ، ويهدمون به كل ما يحاول ان يبنيه الرسول ، ليفوّت عليهم غرضهم الذي كانوا يرمون اليه ، ويوجهه الى غير ما استعمله المشركون .

---

(١) الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ١/ ١١٥

وانطلاقا من موقف القرآن الذي سبق ان وضحناه طلب الرسول (ص) من الشعراء ان يردوا على قريش وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم فقال : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم ؟

فأجابه الى ذلك حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ، فانشرح صدر رسول الله لذلك ، وطلب ان يردوا عنه شعراء قريش .

فعندما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء فقال لابن رواحة رد عني . فذهب في قديمهم وأولهم فلم يصنع شيئا ، فأمر كعب بن مالك ، فذكر الحرب بقوله : -

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا قدما ونلحقها اذا لم تلحق

فلم يصنع في الهجاء شيئا ، فدعا حسان بن ثابت فقال : اهجهم وائت أبا بكر يخبرك - أي بمعائب القوم - وكان ابو بكر علاّمة قريش في النسب .(1)

كما روي ان الرسول (ص) قال : ألا رجل يرد عنا ؟ قالوا : يا رسول الله حسان بن ثابت ، قال : اهجهم ، فوالله لهجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام ، اهجهم والق ابا بكر يعلمك الهنات .(2)

وكان الرسول يدرك صعوبة ان يهجو الشاعر قريشا ولا يصيبه من ذلك شيء ، فقال لحسان : اهجهم ، واني اخاف ان تصيبني معهم بهجو بني عمي .

---

(1) طبقات الشعراء ١٨٠

(2) الممتع في علم الشعر وعمله ٤٣

قال : لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين ، ولي مقول يفري مالا تفريه الحربة ، ثم أخرج لسانه ، فضرب به أرنبة انفه كأنه لسان شجاع . [1]

وأثنى الرسول على شعراء الاسلام ، وقدر دورهم في محاربة المشركين ليشد من ازرهم ، ويشجعهم على الاستمرار في ذلك النضال . فقال : هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل . [2]
وخاطب شعراء الاسلام : اهجوا بالشعر ، ان المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل . [3]

وخص حسانا بالعناية والرعاية اكثر من الشعراء الآخرين ، لأثر شعره الكبير في المشركين ، ولأنه كان اعظم شعراء الفريقين ، فكان المشركون يفرقون من لسانه ، ويفزعون من شعره .
قال الرسول : امرت عبدالله بن رواحة فقال واحسن ، وامرت كعب ابن مالك ، فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشتفى . [4]
وخاطب حسانا : اهج المشركين ، فان روح القدس معك ، وقال له : ان روح القدس لا يزال يؤ يدك ما نافحت عن الله ورسوله . [5]
وكان يقول له : هيّج الغطاريف على بني عبدمناف ، والله لشعرك اشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام . [6]

---

(١) سير اعلام النبلاء ٢/ ٣٦٨ والشجاع : الحية الذكر

(٢) العمده ١/ ٣١

(٣) مسند احمد ٣/ ٤٦٠

(٤) الأغاني ٥/ ١٤٣

(٥) صحيح الجامع الصغير ٢/ ٢٠٩ و ٣٣٩

(٦) البيان والتبيين ١/ ٢٧٣

واضطر كثير ممن هجاهم حسان الى الاستجارة برسول الله ، فراراً من شعره ، فلما هجا الحارث بن عوف المري وهو مشرك ، بقوله : -

وأمانـة المري حيث لقيته مثـل الزجاجـة صدعهـا لم يجبر

قال الحارث للنبي : يا محمد ، اجرني من شعر حسـان ، فوالله لو مزج به البحر لمزجه .[1] وظل الشعر سهاما يتداولها المتحاربـون في كل معارك الاسلام الأولى ، فحين انهزم المشركون في يوم الأحزاب قال الرسـول : ان المشركين لن يغـزوكم بعـد اليوم ، ولكنـكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمي اعـراض المسلمين ؟ .[2] فنهد اليه شعراء الاسلام ، وقاموا بتلك المهمة خير قيام ، مهتدين بقوله (ص) : قولوا لهم مثل ما يقولون لكم .[3]

وآتت أشعار المسلمين اكلها ، وقطف المسلمون ثمارهـا اليانعـة عندما ارهبت المشركين ، وادخلت الرعب والفزع في قلوبهم ، حتى اسلمت قبائل بأسرها فرقا من تلك الاشعار .

فقد قدم نفر من مزينة على رسول الله ، وفيهم خزاعى بن عبد نهم ، الذي بايعه على قومه مزينة ، ولما خرج الى قومه لم يجدهم ، كما ظن ، فأبطأ عن الرسول ، فدعا حسان بن ثابت ، وقـال له : اذكر خزاعيا ولا تهجه . فقال حسان ابياتا مطلعها : -

ألا ابلـغ خزاعيا رسولا بأن الذنـب يغسلـه الوفاء

فقام خزاعى فقال : يا قوم خصكم شاعر الرجل ، فأنشدكم الله .

---

(١) المحاسن والمساوىء ٤٣٠

(٢) الأغاني ١٦/ ٢٣٢

(٣) العقد الفريد ٦/ ١٥٤

قالوا : فانا لا نبو عليك ، واسلموا ووفدوا على النبي ، وكان عددهم اربعمائة . [1]

وأعلنت قبيلة دوس اسلامها فرقا من قول كعب بن مالك : ـ

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم اجمعنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن : دوساً او ثقيفا

فقالت دوس : انطلقوا ، فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف . [2]

الأشعار التي نهى رسول الله عن روايتها : ـ

وأخيرا ثمة اشعار بعينها يذكر المؤرخون ان رسول الله قد نهى عن روايتها . وهذه الاشعار لا تتجاوز نصين شعريين فقط ، هما قصيدة امية بن ابي الصلت التي يرثي فيها من اصيب من قريش يوم بدر ، وهي في واحد وثلاثين بيتا ، أثبتها ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق وعقّب عليها بقوله : تركنا منها بيتين نال فيهما من اصحاب رسول الله (ص) . ولم يذكر نهي رسول الله عن روايتها . ومطلعها : ـ

ألا بكيت على الكرا م بني الكرام اولى الممادح [3]

ولو كان الرسول قد نهى عن انشادها ، فكيف وصلت الى ابن اسحق ، فدونها ثم دونها من بعده ابن هشام ، ولماذا اهملا الاشارة الى هذا النهي لو كان موجودا ؟ علما انهما كانا يعلقان على النصوص في قضايا اقل بكثير من هذه القضية .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٥٧

(٢) نكت الهميان ٢٣١

(٣) ابن هشام ٢/ ٣٠

أما النص الثاني فهو قصيدة الاعشى في هجاء علقمة بن علاثة ، ومدح عامر بن الطفيل ، والتي مطلعها : ـ

علقـم ما أنـت الى عامر النـاقض الأوتـار والواتر

يقال : ان النبي (ص) قال لحسان : يا حسان ، أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله لنا فيه ، فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقمة . فنهى النبي حسان من تلاوتها . وقال له : لا تعد تنشدني هذه القصيدة . فقال : يا رسول الله ، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟

فقال : ان قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني ، وسأل علقمة فأحسن القول ، فان اشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى . [1]

قال البغدادي : ذكر ان النبي رخص في الاشعار كلها الا هاتين الكلمتين كلمة امية بن ابي الصلت في اهل بدر ، وكلمة الاعشى في علقمة بن علاثة . [2]

من أهدر رسول الله (ص) دمه من الشعراء :

روت كتب التاريخ والسيرة ان النبي (ص) اهدر دم بعض الشعراء من المشركين واليهود ، ممن حارب الاسلام بلسانه وسلاحه ، فآذى الرسول والمسلمين ، ومع ما لموقف رسول الله (ص) من هؤلاء الشعراء من دلالة على سلطان الشعر وتأثيره على العرب ، فان هؤلاء الشعراء لم تكن جريمتهم قول الشعر المناوىء للاسلام فحسب ، بل لمواقفهم العدائية من الدعوة ، ومحاربتهم لها

---

(١) الاصابة ٢/ ٤٩٦

(٢) خزانة الادب ٢/٤٣ (ط . بولاق)

بكل الوسائل ، مع ارتداد بعضهم الى الكفر بعد الاسلام ، او ارتكاب جريمة القتل من قبل البعض الآخر ، كما سنفصل ذلك في هذا الموضوع .

والشعراء الذين نفذ فيهم حكم رسول الله (ص) واريقت دماؤهم فعلا ، هم أبو عفك احد بني عمرو بن عوف ، وكان قد نجم نفاقه حين قتل الرسول (ص) الحارث بن سويد بن صامت ، فقال : -

لقد عشت دهراً وما ان ارى من الناس داراً ولا مجمعا
أبر عهودا وأفي لمن يعاقد فيهم اذا ما دعا
فصدّ عهم راكب جاءهم حلال حرام لشتى معا
من اولاد قيلة في جمعهم يهد الجبال ولم يخضعا
فلو ان بالعز صدقتم او الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله (ص) من لي بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير فقتله .(١)

وعبدالله بن خطل القريشي الأدرمي ، كان شاعرا ، وانما امر الرسول بقتله لأنه كان مسلما ، فبعثه الرسول مصدقا ، وبعث معه رجلا من الانصار ، وكان معه مولى يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وامر المولى ان يذبح له تيسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكان له قينتان ، فرتنى وصاحبتها ، وكان يأمرهما بأن تغنيا بهجاء الرسول فأهدر الرسول دمه ، فقتله ابو برزة الأسلمي .(٢)

(١) ابن هشام ٢/ ٦٣٦

(٢) الطبري ٣/ ٥٩ و العمده ١/ ٢٣

ومقيس بن صبابة الكناني ، قدم من مكة مسلما فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله جئتك مسلما ، وجئتك اطلب دية اخي ، قتل خطأ،فامر له رسول الله (ص) بدية اخيه هشام ، فأقام عند رسول الله (ص) غير كثير ، ثم عدا على قاتل اخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ، فقال في شعر له : ـ

شفى النفس ان قد مات بالقاع مسندا
تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله
تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وتري وأدركت ثؤرتي
وكنت الى الأوثان اول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله
سراة بني النجار أرباب فارع

فأمر الرسول بقتله ، لقتل الانصاري الذي كان قتل اخاه خطأ ، ورجوعه الى قريش مشركا .(١)

وأبو عزة الجمحي ، كان هجا رسول الله (ص) فأسر يوم بدر كافراً ، فقال : يا رسول الله ، اني ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن علي منّ الله عليك . قال : نعم . على ان لا تعين عليّ ـ يريد بشعره ـ قال : نعم . فعاهده واطلق سراحه ثم قال : ـ

ألا ابلغا عني النبي محمدا بأنك حق والمليك حميد
ولكن اذا ذكرت بدراً واهلها تأوه مني اعظم وجلود

(١) ابن هشام ٢/٢٩٣ الاخادع : عروق القفا . الثؤرة : الثار

فعاد في هجائه . ثم اسر بعد يوم احد ، فقال : يا رسول الله : منّ علي ، منَّ الله عليك .

فقال الرسول (ص) : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول :

إني خدعت محمداً مرتين . اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه .[1]

وعصماء بنت مروان ، كانت شاعرة ، ولما قتل ابو عفك نافقت وقالت اشعاراً تعيب الاسلام واهله ، ومن تلك الاشعار قولها : ـ[2]

باست بني مالك والنبيت وعوفٍ وباست بني الخزرج
اطعمتم أتاويّ من غيركم فلا من مراد ولا مذ حج[3]
ترجونه بعد قتل الرؤوس كما يرتجى مرق المنضج
ألا انف يبتغي غرّة فيقطع من أمل المرتجى

فقال رسول الله (ص) حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لي من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله عمير بن عدي الخطمي ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها ، ثم اصبح مع رسول الله (ص) فقال :

يا رسول الله ، اني قد قتلتها . فقال له الرسول : نصرت الله ورسوله يا عمير .[4]

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٠٤ ونسب قريش ٣٩٧

(٢) ابن هشام ٢/ ٣٦٧

(٣) الاتاوي : الغريب

(٤) ابن هشام ٢ / ٦٣٧ ومعجم الشعراء ٢٣١

وكعب بن الاشرف اليهودي ، كان يحرّض على رسول الله (ص) ، وينشد الاشعار في ذلك ، ويبكي قتلى المشركين ، ويشبب بنساء النبي ونساء المسلمين ، وكان يقول ، بعد قتل المشركين في بدر : ـ

لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم ، لبطن الارض خير من ظهرها .

فأهدر رسول الله دمه ، وقال : اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ، في اعلانه الشر ، وقوله الاشعار ، ثم قال : من لي بابن الاشرف فقد آذاني ؟

فقال محمد بن مسلمة : انا به يا رسول الله . وانا اقتله .

قال : فافعل . فخرج في بعض اصحابه فقتله . ولما جاءت اليهود رسول الله تشكو قتله ، قال لهم : لو فر كما فر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الاذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل ذلك احد منكم الا كان السيف[1]

وأبو رافع سلام بن ابي الحقيق ، شاعر يهودي ، كان فيمن حزب الاحزاب على رسول الله (ص) ، فاستأذن الانصار رسول الله في قتله وهو بخيبر ، فاذن لهم ، ونهاهم عن ان يقتلوا وليدا او امرأة ، فخرج اليه خمسة نفر منهم ، فقتلوه وهو في داره .[2]

وقال حسان بن ثابت في قتل هذين الشاعرين اليهوديين شعرا هو:[3]

لله در عصابة لاقيتهم يابن الحقيق وانت يابن الاشرف

يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف

---

(١) امتاع الاسماع ١/ ١٠٨ ـ ١١١

(٢) ابن هشام ٢/ ٢٧٣

(٣) م . ن ٢/ ٢٧٦

حتـى اتـوكم في محـل بلادكم فسقـوكم حتفـا ببيض ذفَّف
مسـتنصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل امـرٍ مجحف[1]

هؤلاء هم الشعراء الذين اهدر رسول الله دماءهـم ، ونفـذ فيهـم حكمه .

أما من اهدر دماءهم ولم ينفذ فيهم الحكم لهربهم ، اولتوبتهم ، فهم : -

هبيرة بن ابي وهب المخزومي ، وهو من فرسان قريش وشعرائها كان يهجو الاسلام والمسلمين ، فأهدر النبي دمه ، فهرب الى نجران حتى مات بها كافرا . [2]

وأسيد بن أبي اناس ، كان يهجو رسول الله (ص) وحين قدم قومه الى رسول الله (ص) ليعلنوا اسلامهم هزب ، فقال قومه للرسول : يا رسول الله ، ان اسيد بن ابي اناس هرب ، وتبرأنا منه إليك ، وقد نال منك فأباح رسول الله دمه .

ولما كان عام الفتح كان اسيد فيمن اهدر دمه ، وحين اخبر بذلك قدم الى رسول الله فقال : يا محمد أنذرت دم اسيد ؟ قال : نعم . قال : افتقبل منه ان جاءك مؤمنا ؟ قال : نعم . فوضع يده في يد النبي (ص) فقال : يا محمد ، هذه يدي في يدك ، اشهد انك رسول الله ، وان لا اله الا الله . فامر الرسول رجلا يصرخ ، ان اسيد بن ابي اناس قد آمن . وقد أمنه رسول الله (ص) . [3]

---

(١) مرحا : نشاطا . مغرف : ملتف الاغصان • ذفف : سريعة

(٢) طبقات الشعراء ٦٥

(٣) ابن عساكر ٦/ ٤٥

وكعب بن زهير بن ابي سلمى قصته معروفة ، فقد خرج واخوه بجير الى ابرق العزاف من جبال الدهناء . فقال بجير لكعب : اثبت لي في الغنم حتى آتي هذا الرجل - يعني النبي (ص) - فاسمع كلامه ، واعرف ما عنده ، فاقام كعب ومضى بجير ، فعرض عليه النبي (ص) الاسلام فأسلم ، واتصل اسلامه بأخيه كعب فقال : -[1]

ألا بلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟
سقاك بها المأمون كأسا روية ... وانهلك المأمون منها وعلّكا[2]
وفارقت اسباب الهدى واتبعته ... على أي شيء ويب غيرك دلكا ؟
على مذهب لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تعرف عليه اخاً لكا ؟
فان انت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت : لعاً لكا[3]

فاتصل الشعر برسول الله (ص) ، فأهدر دمه وقال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله . فكتب بجير الى كعب : النجاء النجاء ، فقد اهدر رسول الله (ص) دمك ، وما احسبك ناجيا .

ثم كتب اليه : ان رسول الله (ص) ما جاءه احد قط يشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله الا قبله ، ولم يطالبه بما تقدم الاسلام ، فأسلم واقبل الى رسول الله (ص) . فلما ورد عليه كتابه توجه الى رسول الله (ص) . قال كعب : فأنخت راحلتي على باب المسجد ، ودخلت المسجد ، وعرفت رسول الله (ص) بالصفة التي وصفت لي ، وكان مجلس رسول الله (ص) من اصحابه مثل وضع

(١) شرح بانت سعاد ٩٤ وابن هشام ٢/٥٠٢

(٢) علكا : اشربك الشربة الثانية

(٣) لعا : اذا دعى للعاثر بأن ينتعش قيل : لعا لك

المائدة من القوم ، يتحلقون حوله حلقة حلقة ، فيقبـل على هؤلاء فيحدثهـم ، ثم على هؤلاء فيحدثهـم ، فدنـوت من النبـي ـ عليه السلام ـ فقلت : اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله . قال : من انت ؟ قلت : كعب بن زهـير . قال : الـذي يقـول ما يقول ، ثم اقبل على أبي بكر فاستنشده الشعر ، فأنشد ابو بكر : « سقاك بها المأمـون كأسـا روية » فقلـت : لم اقـل هكذا ، وانما قلت :

سقـاك ابـو بكر بكأس روية   وانهلك المأمـون منهـا وعلكا

فقال رسول الله ـ عليه السلام ـ : ـ مأمون والله . فأنشده : ـ

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

فكساه النبي ـ عليه السلام ـ بردة ، اشتراها معاوية بن ابـي سفيان من آل كعب بن زهير ـ بعده ـ بمال كثير ، وهي البردة التي يلبسهـا الخلفاء في العيدين . [1]

والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومـي القـرشي ، كان شاعـرا شديد العداوة للرسول (ص) والاسلام ، شهد بدرا مع المشركين ، فانهزم فعيره حسان بأبيات ، فاعتذر بأبيات هي من احسن ما قيل في الاعتذار من الفرار .

ومن هجائه للرسول (ص) وتحريضه المشركين قوله عندما رثى اخاه ابا جهل في قصيدة طويلة : ـ

فيال لؤى ذببـوا عن حريمكم   وآلهـة لا تتركوهـا لذي الفخر

توارثهـا   آبـاؤكم   وورثتم   أواسيهاوالبيت ذو السقف والستر

(١) شرح بانت سعاد ٩٣

فما لحكيم قد أراد هلاككم   فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدّوا لمن عاديتم وتوازروا   وكونوا جميعافي التأسي وفي الصبر[1]

قال ابن هشام : ابدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روي ابن اسحق لانه نال فيهما من النبي (ص) استأمنت له ام هانىء بنت ابي طالب النبي (ص) فأمنه يوم الفتح وصفح عنه . وكانت اذ امنته قد اراد عليّ قتله ، وحاول ان يغلبها عليه ، فدخل النبي (ص) منزلها ذلك الوقت . فقالت : يا رسول الله ، ألا ترى الى ابن امي يريد قتل رجل اجرته . فقال الرسول : قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت . فأمنه .[2]

(١) ابن هشام ٢/ ١٠ والاواسي : جمع آسية ، وهي ما أسس عليه البناء
(٢) انظر دراسات في الادب الاسلامي ٠٩

الباب الثاني
الأغراض الشعرية

الأغراض الشعرية

عندما جاء الاسلام ، وكثر اتباعه ، كانت تعاليمه تدعوهم للخضوع الى نظم خاصة ، وقوانين شاملة لكل الوان الحياة ، فكان لا بد ان يلتزم الشعراء بتلك النظم وان يتوجهوا في اغراضهم نحو تلك الحياة الجديدة ، ويطرحوا مالا يتناسب وتلك الحياة من الاغراض التي الفوها في حياتهم الجاهلية ، لانها لم تعد تتفق ومبادىء واخلاقيات المجتمع الاسلامي الجديد ، وابرز تلك الاغراض التي ابتعد عنها الشعراء المسلمون الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع الفاحش .

إلا ان الشعر ظل يصور حياة الناس ، ويسيل على السنة الشعراء عذبا رقيقا ، حيث يستوعب همومهم ، ويعبر عما يجيش في صدورهم او يدور في افكارهم ، فلم يبق احد من اصحاب رسول الله الا وقد قال الشعر وتمثل به .[1]

واستحدثت حياتهم الجديدة اغراضا جديدة لم يعرفوها من قبل . وانتظمت تلك الاغراض كالآتي : ـ

الشعر الديني :

كان الشعر الديني ابرز الاغراض الجديدة ، حيث بدأ الشعراء يتحدثون عن عقائد الدين ومثله العليا ، ويدعون الى التمسك بها والتحلي بما تدعو له ، وهو لون جديد من الشعر لم يكن دين العرب

(١) جمهرة اشعار العرب ١٩

من قبل الاسلام يستوعب ان يتحدثوا عنه بغرض شعري خاص .

تحدث الشعراء في هذا الغرض عن وحدانية الله ، وعن الوحي والنبوة ، وعن عقيدة الخلق والحياة ، وعن الموت والبعث والحساب ، وعن الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والحلال والحرام .

فالاسلام يدعو مثلا الى الايمان بالانبياء وبرسل الله الذين بعثهم للناس « قل كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله » .

فتناول حسان هذا الايمان بقوله : .(١)

شهدت باذن الله ان محمداً
رسول الذي فوق السماوات من عل

وان ابا يحيى ويحيى كليهما
له عمل في دينه متقبل

وأنّ الذي عادى اليهود ابن مريم
رسول اتى من عند ذي العرش مرسل

وأن اخا الأحقاف اذ يعذلونه
يجاهد في ذات الاله ويعدل

واستمر الشعراء في العصر الأموي مؤكدين عقيدة الايمان بالرسل ، فهذا جرير يعبر عن ذلك ، ويفخر بمن ينتسب منهم الى العرب ، حيث يقول مستهديا بما في القرآن الكريم :(٢)

(١) الديوان ٣٠٥ « طبعة سيد حنفي »
(٢) الديوان ١/ ٤٧٣

أبونـا أبـو اسحــق يجمــع بيننا   أب كان مهــديا نبيا مطهرا
ومنــا سليمان النبــي الــذي دعا   فأعطــي بنيانــاً وملــكا مسخرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجداً   فأنبت زرعـا دمـع عينيه اخضرا
ويعقــوب منــا زاده الله رفعة   وكان ابن يعقـوب اميناً مصوّرا

ونكتفي بهذين المثلين لان ما سوف يأتي من أغراض واشعار زاخـر بالحديث عن العقائد الدينية .

الوعظ والارشاد :

احتاجـت اوامـر الـدين ونـواهيه الى الحـث على الالتـزام بهـا وتنفيذها ، فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والارشاد ، وقد حاول شعراء صدر الاسلام الافادة من فنهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا اليها القرآن بمثل قوله « ادع الى سبيل ربـك بالحكمة والموعظة الحسنة » .
وأكدها رسول الله (ص) بقوله « الدين النصيحة » .

وتعـدّ لامية صرمـة بن ابـي أنس الأنصـاري في طليعـة تلك الأشعار ، فقد صاغ مُثل الاسـلام ، وكثـيرا من مبادئـه باسلـوب رفيع ، وتوجـه بنصيحتـه الى ابنائـه ، وهـي طويلـة نكتفـي منهـا بقوله : ـ(١)

يا بنــيّ الأرحــام لا تقطعوها   وصلوهــا قصــيرة من طوال
واتقــوا الله في ضعــاف اليتامى   ربمـا يستحــل غـير الحلال
واعلمــوا ان لليتيم ولياً   عالما يهتــدي بغــير السؤال

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥٨

الى ان يقول : -

واجمعوا امركم على البر والتقوى وترك الخنا واخذ الحلال

وهي تسير على هذا النهج في النصح والوعظ والارشاد .

وجاء الشاعر الصلصال بن الدلهمس مع وفد تميم ، فأوصاهم الرسول (ص) بشيء ، وقد نظمها الصلصال قصيدة شعرية رائعة سبق ان تحدثنا عنها من قبل .

ومع قلة شعر كعب بن زهير ، وضعف الروح الدينية فيه فقد وصلت الينا مقطوعة له ، فيها دعوة مخلصة وموعظة حسنة لقومه ، حيث قال : [1]

رحلت الى قومي لادعو جلّهم الى امر حزم احكمته الجوامع

سأدعوهم جهدي الى البر والتقى وامر العلا ما شايعتني الأصابع

فكونوا جميعا ما استطعتم ، فانه سيلبسكم ثوب من الله واسع

ووجد الشعراء في حركة ردة بعض القبائل بعد وفاة الرسول (ص) مناسبة كبيرة لينهض الشعر بمهمة النصح والارشاد ، فمحضوا قبائلهم اصدق النصائح ، ودعوهم الى الخير والثبات على الاسلام ، ونبذ المرتدين ، والتنصل من مدّعي النبوة الزائفة ، ومع ان معظم تلك الصيحات الصادقة والمواعظ المؤمنة لم تجد الآذان الصاغية او القلوب الواعية ، إلا ان الشعراء قد ادوا واجبهم خير اداء ، وبرؤوا الشعر من التقصير او التهاون .

فعندما ارتدت كندة ثبت الشاعر ثور بن مالك على دينه ، وحاول

(١) الديوان ١١٢

ان يثني قومه عن الردة فلم يفلح ، قال : ـ(١)

وقلـت : تحلـوا بدين الرسول فقالـوا التـراب ـ سفاهـا ـ بفيكا
فأصبحـت ابـكي على هلكهم ولـم أك فيما اتـوه شريكا

وترتد بنو عامر ، فينهض الشاعر الحارث بن مرة النفيلي ، يعظهم ، ويسدي اليهم صادق نصحه ، فيقول لهم : (٢)

بني عامـر ان تنصروا الله تنصروا وان تنصبـوا لله والـدين تخذلوا
وان تهزموا لا ينجكم عنه مهرب وان تثبتـوا للقـوم والله تقتلوا

ويعلن اهل نجران ردتهم ، فيقوم فيهم الشاعر عمير بن الحصين منشداً واعظاً ، فيقول : (٣)

أهل نجران امسـكوا بهـدى اللـ ـه وكونـوا يداً على الكفار
لا تكونـوا بعـد اليقـين الى الشـ ـك وبعـد الرضـا الى الانكار
واستقيمـوا على الطريقـة فيـ ـه وكونـوا كهيئـة الأنصار

وفي العصر الاموي عمت المواعظ وازدادت النصائح بعد ان ابتعـد كثير من الناس عن الحياة الاسلامية الاولى ، فواكب الشعراء وعّاظ المساجد ، وهبوا يصوغون المواعظ والارشادات اشعاراً ، يتوجهون بها الى الحكام ، او ينشرونها بين الناس ، فنظم اعشى ربيعة موعظة طويلة ، تبلغ اثنين وثلاثين بيتا ، صدّرها بقوله : (٤)

---

(١) الاصابة ١/ ٢٠٨

(٢) م . ن ١/ ٣٧٠

(٣) م . ن ٣/ ١٢٠

(٤) الصبح المنير ٢٧٨

يا أيها الناس ، اني قلت موعظة وحكمة لم يقل شبهها بشر
في الأولين وفي الخالين قبلهم ولا الذين من الباقين قد غبروا
وهي تفيض بالأفكار الاسلامية والمعاني الدينية ، وتزخر بالدعوة الى مكارم الاخلاق ومثالية الاسلام .

ومثلها قصيدة النابغة الشيباني التي اقتبس فيها كثيراً من آيات القرآن ومواعظه ، والتي صدّرها بقوله : ـ[1]

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

ووجد الشعراء من واجبهم ان يفدوا على الخلفاء ، يقدمون لهم النصح والارشاد ، ويحثونهم على الالتزام بأوامر الدين ، والابتعاد عن نواهيه ، فلم يجد معظم الحكام ضيراً في ذلك ، ووجد الشعراء لديهم آذانا صاغية وقلوبا واعية خاشعة ، وكان سابق البربري رائد الشعراء الامويين في هذا الميدان ، ومن مواعظه قوله يخاطب الخليفة عمر بن عبدالعزيز :[2]

باسم الذي انزلت من عنده السور
والحمد لله ، اما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به
وإن اتاك بما لا تشتهي القدر

وهى طويلة ، تسير على هذا النهج ، حتى تبلغ ستة واربعين بيتا .

الوصايا : ـ

ومن الوان شعر الوعظ والارشاد التي ازدهرت في العصر

---

(١) الديوان ١٠٢ وهي منسوبة للنابغة الجعدي في الشعر والشعراء ٢٩٤
(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز ١٤٢

الاسلامي والاموي ما يسمى بـ « الوصايا » وهي الأشعار التي يتوجه الشعراء فيها بالنصح والارشاد لأبنائهم وذويهم ، في أواخر ايامهم ، او قبل ذلك احيانا ، يودعون فيها خلاصة تجاربهم ، وعصارة افكارهم . ٥

وقد عرف الشعر الجاهلي هذا اللون من الوعظ ، ولكن الجديد فيه بعد الاسلام تغير المفاهيم والقيم الجديدة التي اشاعتها تعاليم الاسلام .

ولعل من اقدم ما وصل الينا من الوصايا الاسلامية وصية ابي قيس بن الأسلت ، وهي وصية بليغة رائعة ، اودعها الشاعر خلاصة تجاربه ، وعصارة افكاره وعقيدته ، بكل اخلاص وامانة ، وهي تسير على هذا النحو : (١)

يقول أبو قيس وأصبح غاديا :
ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا

فأوصيكم بالله والبرِّ والتقى
واعراضكم ، والبر بالله أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وهي طويلة تنهج هذه الوتيرة .

وعندما اسنَّ الشاعر عبدة بن الطبيب ، ورابه بصره ، جمع بنيه . وانشدهم وصية رائعة مطلعها : ـ(٢)

---

(١) الديوان ٨٢

(٢) المفضليات ١٤٥

أبنـيّ انـي قد كبـرت ورابني بصري ، وفيّ لمصلـح مستمتع

وهي في ثلاثين بيتاً ، زاخرة بالمعاني الاسلامية ، والحكمة البالغة .

وظل فن الوصية مزدهراً في العصر الأموي ، وعمتّ موجته كثيراً من الشعراء ، مثل النابغة الشيباني ، الذي وصلت إلينا احدى وصاياه الطويلة التي يقول فيها : [1]

إنّ من يركب الفـواحش سرا حـين يخلـو بسـوءة غـير خال
كيف يخلـو وعنـده كاتباه شاهـداه ، وربـه ذو المحال
استمع يا بني من وعـظ شيخ عجم الدهـر في السنـين الخوالي
فاتـق الله ما استطعـت وأحسن ان تقـوى الالـه خـير الخلال

ومنهم الصلتان العبدي ، الذي وصّى ابنه بأبيات حكيمة ، اسوة بوصية لقمان الحكيم ابنه ، افتتحها بقوله : ـ [2]

ألـم تر لقمان وصى ابنه ووصيت عمـراً فنعـم الوصي

وهكذا استطاع شعر الوعـظ والارشـاد ومنـه اشعـار الوصـايا ، استيعاب المعاني والأفكار الاسلامية ، ونقل مضامين العصر الجديد ومفاهيمه الى الآخرين .

الزهد : ـ

ومما دعا اليه الاسلام الزهـد في الحياة الـدنيا ومتاعهـا الزائـل ، فالمسلم الصـحيح من رفض متاعهـا ، وزهـد عما فيهـا ، وعـاش لآخرته ، وهذا لا يعني الدعوة الى الرهبنة والانقطاع عن الـدنيا ، لان الاسلام يدعو الى العمل والاعتدال في التمتع بما وهب الله من زخارف الحياة ومتاعها ، بلا افراط او تفريط .

---

(١) الديوان ٦٣
(٢) معجم الشعراء ٤٩

وقد انتشر في ارجاء الدولة الاسلامية عدد كبير من الوعاظ الزهاد الذين لا يفترون عن الدعوة الى الزهد ، والابتعاد عن ملذات الدنيا ومتعها ، ويذكرون بالموت والآخرة ، مستلهمين آيات القرآن الكريم ،؛ وسيرة خير الزهاد وقدوتهم محمد (ص) ، واحاديثه الشريفة .

انتشر هؤلاء الوعاظ الزهاد بعد ان كثرت الأموال بأيدي الناس ، وبدأت الحياة تميل نحو الترف والعب من ملذات الدنيا ونعيمها .

وكان من الطبيعي ان تترك تلك المواعظ اثرها البالغ في نفوس الشعراء الذين كانوا يترددون على مجالس الوعاظ ودروسهم .

وظهر ذلك جليا في اشعارهم ، وعرف بشعر الزهد عدد من شعراء صدر الاسلام ، كعروة بن زيد الخيل وابي الأسود الدؤلي .

أما من الشعراء الأمويين فعرف سابق البربري ، ومالك بن دينار ، وعروة بن اذينة ، ومعظم شعراء الخوارج .

واستطاع هؤلاء الشعراء ان يتمثلوا مبادىء الزهد واصوله الأولى ، كما استطاعوا ان يجعلوا هذا اللون من الشعر غرضا مستقلا قائما بذاته ، يقوم على أسس ومبادىء الزهد الاسلامي التي تتمثل في ترك العرض الفاني ، والرضا بالقليل منه ، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم . قال حرب بن المنذر بن الجارود :(1)

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني ... واثواب كتان ازور بها قبري

ومن الصور التي ينزع فيها الشعراء الى النفور من الدنيا ، والتعلق

---

(1) البيان والتبيين ٣/ ٣٦٥

بمتاعها الزائل ، قول سابق البربري : ـ[1]

أموالنـا لذوي الميراث نجمعها ودورنـا لخـراب الدهـر نبنيها
والنفس تكلف بالدنياوقد علمت ان السلامـة منهـا ترك ما فيها

وحتى شعراء اللصوصية في العصر الاموي نجد لديهم شذرات من هذه الفكرة ، حيث يقول عبيد بن ايوب العنبري اللص : ـ[2]

تبـكي على الدنياسفاهاوقـد ترى بعينيك ان لم يبـق الا ذميمها
ألا انمـا الـدنيا كنهـي قرارة تسامـى قليلا ثم هبـت سمومها

ويكثـر شعـراء الزهـد من ذكر الموت ، وتتـكرر صور القبـور في اشعارهم ويطيلون الوقوف عند تلك الصور والاعتبار بها ، ليميتوا في النفوس كل رغبة في الدنيا او اقبال على زخرفها .

وكان مالك بن دينار يخرج كل خميس لزيارة القبور ، وينشد هذه الابيات ، فيبكي ويبكي الآخرين : [3]

ألا حيّ القبـور ومـن بهنّه وجـوه في القبـور أحبهنّه
فلـو ان القبـور سمعـن صوتي إذاً لأجبنّنـي من وجدهنّه
ولـكنّ القبـور صمتـن عني فأبـتُ بحسرة من عندهنّه

وزار القبوز ذات مرة ، فقال : [4]

أتيت القبـور فناديتهن أين المعظـم والمحتقر ؟
وأين المدلّ بسلطانه ؟ وأين المزكى اذا ما افتخر ؟
تفانـوا جميعـا فما مخبر وماتـوا جميعـا ومـات الخبر
فيا سائلي عن أنـاس مضوا أمـا لك فيما ترى معتبر ؟

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٤٠
(٢) شعراء امويون ١/ ٢٢٥
(٣) عيون الاخبار ٢/ ٣٠٤
(٤) م . ن/٢٥/ ٣٠٢

ويتحدث اعشى همدان عن الموت ، ويرسم صورة ما بعد الحياة باسلوب يخاطب فيه الروح ، ليرتفع الانسان عن عالمه المادي الى عالم الروح الفسيح ، وتترامى أشعاره الى سمع عمر بن عبدالعزيز ، فلا يملك نفسه من البكاء ، حتى تخضل لحيته ، قال : [1]

وبينا المرء امسى ناعما جذلا   في اهله معجبا بالعيش ذا أنق
غرأ اتيح له من حينه عرض   فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت اضحى من غب ثالثة   مقنعا غير ذي روح ولا رمق
يبكى عليه ، وادنوه لمظلمة   تعلى جوانبها بالترب والفلق
فما تزود مما كان يجمعه   الا حنوطا وما واراه من خلق
وغير نفحة اعواد تشب له   وقل ذلك من زاد لمنطلق

ويظل هاجس الموت يؤ رق الشعراء ، ويمنع عن عيونهم الغمض ويحرمهم النوم ، وقد صور سابق البربري هذا الهاجس المفزع بقوله: [2]

تأوبني هم كثير بلابله   طروقا فغال النوم عني غوائله
فويحي من الموت الذي هو واقع   وللموت باب انت لا بدّ داخله
أيا من ريب الدهر يانفس واهن   تجيش له بالمقطعات مراجله

ويظل يوم الحساب في الآخرة ماثلا بين اعين شعراء الزهد ، فينغص معيشتهم ، ويقلق راحتهم ، ويسلبهم لذة العيش ، يقول سابق : [3]

وكيف يلذ العيش من هو عالم   بأن اله الخلق لا بد سائله

(1) الديوان (صبح الأعشى) أنق : فرح وسرور ، الحنوط : طيب يتخذ للميت
(2) ابن عساكر ٦/ ٤٣
(3) كتاب التوابين ١٣٩

فيأخـذ منـه ظلمـه لعباده ويجزيه بالخير الـذي هو فاعله

ويحضر الامام الحسن البصري جنازة النوار زوجة الفرزدق ، ويجتمع به على قبرها ويقول : ماذا اعددت لهذا المضجع ؟ قال الفرزدق : شهادة ان لا اله الا الله ، منذ ثمانين عاما . فقال الحسن : هذا العمود فأين الطنب ؟ .

فقال الفرزدق في الحال :

أخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهاباً واضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقدخاب من أولادآدم من مشى الى النار مغلول القلادة موثقا
يقاد الى نار الجحيم مسر بلا سرابيل قطران لباساً محرقا[1]

ومن المبادىء التي تتكرر في شعر الزهاد القناعة والرضا بالقليل والتوكل على الله في امور الحياة عامة ، وفي الرزق خاصة ، ولذلك نرى ابا الاسود الدؤلي يعبر عن تلك المبادىء ، ويصور يقينه بذلك ، حيث يقول : ـ[2]

واذا طلبت من الحوائج حاجة فادع الاله واحسن الاعمالا
فليعطينك ما اراد بقدرة فهو اللطيف لما اراد فعالا
ان العباد وشأنهم وامورهم بيد الاله يقلب الاحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا

وقد صدر كعب بن زهير في بعض اشعاره عن روح تقربه الى حد كبير من كبار الزهاد المسلمين ، فقال مخاطبا امرأته باسلوب ينم عن قناعة

(١) الديوان ٥٧٧ (ط الصاوي)

(٢) الديوان ١٢٣

ورضا وتوكل ، لا تصدر الا عن ايمان عميق ، وزهد صادق ، حيث قال :(١)

أعلم اني متى ما يأتني قدري فليس يحبسه شح ولا شفق
والمرء والمال ينمى ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق
فلا تخافي علينا الفقر وانتظري فضل الذي بالغني من عنده نثق
ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

اما الشاعر الزاهد عروة بن اذينة ، فقد عبر عن ذلك اليقين بقوله :(٢)

لقدعلمت وماالاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنّيني
خيمي كريم ،ونفسي لاتحدّثني ان الاله بلا رزق يخلّيني

كما ان تقوى الله ، والانكباب على عبادته ، والورع عن محارمه ، كل ذلك كان من مظاهر الزهد الاسلامي ومميزاته ، فجسده شعراء الزهد ، وبخاصة الخوارج ، سلوكاً لهم في حياتهم ، فقال شاعر الخوارج عمرو بن الحصين العنبري يصفهم : -(٣)

متأهبون لكل صالحة ناهون من لاقوا عن النكر
إلاّ تجيئهم فانهم رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون ، إلا كأنهم لخشوعهم صدروا عن الحشر

الى ان يقول : -

---

(١) الديوان ٢٢٨
(٢) الديوان ٣٠
(٣) شعراء الخوارج ٣٨

كم من أخ لك قد فجعت به قوام ليلته الى الفجر
متأوها يتلو قوارع من آي الكتاب ، مفزّع الصدر
ظمآن وقدة كل هاجرة تراك لذته على قدر
تراك ما تهوى النفوس اذا رغب النفوس دعا الى المزري

وعلى هذه الشاكلة نجد دعوة نصر بن سيار الى الزهد في الدنيا ، والتزود بتقوى الله ، ودوام تذكر يوم الحساب .[1] : ـ

دع عنك دنيا واهلا انت تاركهم ما خير دنيا واهل لا يدومونا
اكثر تقى الله في الاسرار مجتهدا إن التقى خيره ما كان مكنونا
واعلم بانك بالاعمال مرتهن فكن لذاك كثير الهم محزونا

واقترن الزهد الاسلامي بالجهاد في سبيل الله ، والدعوة الى محاربة الظلم والطغيان ، فلا غرابة ان نجد شعر الزهد يموج بصور الجهاد ، والدعوة الى طلب الشهادة مع استصغار الحياة ، والاستهانة بما فيها ، قال عروة بن زيد الخيل : ـ[2]

وكم كربة فرجتها وكريهة شددت لها أزري الى ان تجلت
وقد اضحت الدنيا لديّ ذميمة وسلّيت عنهاالنفس حتى تسلت
واصبح همي في الجهاد ونيتي فلله نفس ادبرت وتولت
فلا ثروة الدنيا تريد اكتسابها ألا انها عن وفرها قد تخلّت
وماذا ارجي من كنوز جمعتها وهذي المنايا شرعا قد أظلت

وللخوارج اشعار كثيرة تجري على هذه الوتيرة ، وتنطوي على صور

(١) الطبري ٧/ ١٠٠
(٢) الاخبار الطوال ١٣٨

رائعة من الدعوة الى الجهاد ، وطلب الموت ، واستعذاب الشهادة في سبيل الله .

وهكذا استطاع شعراء الزهد تمثل مبادىء الزهد الاسلامي التي تقوم على ترك اللذائذ الفانية والرضا بالقليل ، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم ، والتوكل على الله والثقة به ، وكثرة عبادته ، والابتعاد عن محارمه ، ودوام ذكر الموت ، والوقوف عند صوره المفزعة والاحساس بهول يوم القيامة والاعداد له .

شعر الفتوحات :

لقد حبّب الله تعالى الى المؤمنين الجهاد ، وزينه في قلوبهم ، فقال تعالى: « فليقاتل في سبيل الله الذين يَشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيما[1] » . وثمة عشرات الآيات التي تحثهم على الجهاد وتدعو الى القتال في سبيل الله .

كما اكدت الاحاديث النبوية اهميته ، فجعلته افضل الاعمال بعد الايمان ، وذورة سنام الاسلام ، وبابا من أبواب الجنة ، وكانت سيرة رسول الله القدوة الحسنة في الجهاد في سبيل الله والتضحية من أجل الاسلام .

فاندفع العرب في اقطار الارض فاتحين محررين ، إعلاء لرسالة الحق ونشراً لتعاليم الاسلام في ارجاء المعمورة ، بعد ان امدهم الاسلام بطاقة روحية هائلة .

(١) سورة النساء ، آية ٧٤

وقد اجتذب ألق الجهاد كل المؤمنين وجميع الشعراء المسلمين ، الذين استبدت بهم روح الشوق الى ساحات الشرف والفداء ، فاستجابوا لداعي الحق ، وكانوا في طليعة الجيوش الاسلامية الزاحفة .

وقد ترددت المعاني الاسلامية الجديدة في اشعار اولئك المجاهدين المنطلقين في سبيل الله ، وهم يحملون في صدورهم تعاليم الاسلام ، ويحدوهم الهدف النبيل الذي خرجوا من أجله ، وهو النصر لاعلاء كلمة الله ، أو الشهادة ودخول الجنة .

وقد عبر عن ذلك المغيرة بن شعبة حين التقى برستم قائد الفرس ، فقال : يدخل من قتل منا الجنة ، ومن قتل منكم النارِ ، ويظهر من بقي منا على من بقي منكم .(١)

وتمثل اشعار ابناء الشاعرة الكبيرة الخنساء في معركة القادسية تلك الروح العالية التي كان يحملها المجاهدون وتجسد معاني البطولة ، وتصور روح الفداء والتضحية في سبيل المبادىء الخيرة ، فقد حضرت الشاعرة حرب القادسية ومعها بنوها الاربعة فنصحتهم ، وحثتهم على القتال والاقدام ، فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وانشأ اولهم يقول : ـ

يا إخوتي ان العجوز الناصحه قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضحه فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وانما تلقون عند الصائحه من آل ساسان الكلاب النابحه

---

(١) الطبري ٤/ ٨٣

قد ايقنوا منكم بوقع الجائحه وانتم بين حياة صالحه
أو ميتة تورث غنما رابحه

وتقدم فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثاني وهو يقول : -

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأوفق والرأي السدد
قد امرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثالث ، وهو يقول : -

والله لا نعصي العجوز حرفا قد امرتنا حربا وعطفا
نصحاً وبراً صادقا ولطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا او يكشفوكم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير عنكم ضعفا والقتل فيكم نجدة وزلفى

فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الرابع وهو يقول : -

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمروذي السناء الأقدم
إن لم ارد في الجيش جيش الأعجم ماضٍ على الهول خضم خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم أو لوفاء في السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد ، فبلغ امهم الخنساء الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته . (١)

ويعبّر الشاعر جميل بن سعيد عن عقيدة المجاهدين الصادقين في القتال حين يقول : (٢)

---

(١) الاستيعاب ٤/ ٢٨٩

(٢) فتوح الشام ٢/ ٩٨

ولست أبالي ان قتلت ، لأنني أرجّي بقتلي في الجنان مقامي

والشاعر المجاهد عبدالله بن رواحة يتوجه لغزو الروم في مؤتة ، ويودعه اصحابه قائلين : نسأل الله ان يردك سالما ، فيجيبهم بقوله : ـ

لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تنضح الزبدا
أو طعنة بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي يا ارشدالله من غاز وقدرشدا[1]

تلك كانت اغاني واناشيد الشعراء في فتوحاتهم الاسلامية ، وهي احدى ثمرات الاسلام الشعرية . ومن ثمراته الاخرى في تلك الفتوحات لون جديد من الاشعار يتشوق فيها الشعراء الى مواطن صباهم ، وملاعب طفولتهم التي بعدوا عنها سائحين في بلاد الله النائية ، فحركت لواعج البعاد فيهم احاسيس الشوق ، ومشاعر الحنين الى تلك المواطن الغالية ، فأرسلوا زفراتهم اشعارا مشحونة بالعواطف الرقيقة ، والمشاعر الصادقة .

فهذا احد الشعراء المجاهدين يحس بالحنين الى موطنه نجد ، متشوقا الى أرضها ، متطلعا الى خيامها ، فلا ينفك يرسل عبراته متحدرة فيقول : [2]
أكرر طرفي نحو نجد وانني برغمي وان لم يدرك الطرف انظر
حنينا الى ارض كأن ترابها اذا امطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الاقحوان بروضه ونور الاقاحي وشي برد محبر

---

(١) ربيع الابرار ٣/ ٣٣٢ والحران : العطشان يريد به هنا العطشان الى الدماء

(٢) معجم البلدان ٤/ ٧٤٧

أحن الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافع اجل ـ لا ـ ولكني الى ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاور بحرب واما نازح يتذكر

وقد فتقت الفتوح قرائح كثير من الآباء الشيوخ ، إما تشبثاً ببقاء ابنائهم معهم ، او شوقا اليهم بعد ان بعدوا عنهم وفارقوهم ، وهم في اشد الحاجة اليهم .

وأشعارهم في ذلك تعبر عن قصص ومواقف انسانية عظيمة ، لم يستطع ولاة الأمور ازاءها الا الاستجابة لندائهم المكلوم ، وارجاع ابنائهم اليهم .

ومن تلك الأشعار ابيات الشاعر المخبل السعدي الذي تطوع ابنه الوحيد في جيش سعد بن أبي وقاص المتوجه الى بلاد فارس ، فقال : ـ

أيملكني شيبان في كل ليلة لقلبي من خوف الفراق وجيب
ويخبرني شيبان ان لم يعقني تعق اذا فارقتني وتحوب

ويقول فيها : ـ

فان يك غصني اصبح اليوم باليا وغصنك من ماء الشباب رطيب
إذاقال صحبي ياربيع ألا ترى؟ أرى الشخص كالشخصين وهوقريب
أشيبان ما يدريك ان كل ليلة غبقتك فيها والغبوق حبيب

وكان الشاعر المخبل قد أسن وضعف ، وكاد يغلب على عقله ، فعمد الى ماله ليبيعه ويلحق بابنه ، فمنعه علقمة بن هودة ، واعطاه فرسا وقال له. :

أنا اكلم لك عمر في رد ابنك ، وتوجه الى عمر ، وانشده ابيات المخبل ، فرق له عمر ، وكتب الى سعد يأمره ان يرد شيبان الى ابيه ، فرده عليه ، ولم يزل عنده حتى مات .[1]

ويهاجر كلاب بن امية بن الأسكر الى المدينة في خلافة عمر ، ويقيم بها مدة ، ثم يلقى طلحة والزبير فيسألهما : أيّ الاعمال افضل ؟ فيقولان له : الجهاد في سبيل الله . فيتوجه الى الخليفة عمر ويسأله ان يغزيه ، فيرسله عمر للغزو ، وكان ابوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب قال ابوه وكان شاعراً :

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله ان حفظ الكتابا
اذا هتفت حمامة بطن وجّ على بيضاتها ذكرا كلابا
وانك والتماس الأجر بعدي كباغي الماء يتبع السرابا
تركت اباك مرعشة يداه وامك ما تسيغ لها شرابا

وأكثر من اشعاره الباكية يتشوق فيها الى ابنه ، حتى بلغ شعره عمر ، فكتب الى سعد يأمره باقفال كلاب ، فلما قدم ، ارسل عمر الى امية فقال له : اي شيء احب اليك ؟ قال : النظر الى ابني كلاب ، فدعاه له ، فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدا ، فبكى عمر ، وقال : يا كلاب الزم اباك وامك ما بقيا .[2]

واستأثرت المشاهد الغريبة التي لم يألفها العرب من قبل ، بقسط كبير من اهتمام شعراء الفتوحات الاسلامية ، فصوروا تلك المشاهد تصويرا دقيقا ، واودعوا الاشعار دهشتهم واستغرابهم لتلك المناظر التي كانوا يرونها لأول مرة ، ومن تلك المشاهد الغريبة الفيلة ، وقد

---

(١) الاغاني ١٣/ ١٩٠ والاصابة ٢/ ١٦٤

(٢) الاصابة ١/ ٧٨

ذكرها كثير من الشعراء في اشعارهم ، كقول ربيعة بن مقروم يفخر برؤ يتها : [1]

ودخلت أبنية الملوك عليهم ولشر قول المرء ما لم يفعل
وشهدت معركة الفيول وحولها أبناء فارس بيضها كالأعبل

وكان القعقاع بن عمرو اول فارس يواجه الفيل الأعظم يوم القادسية فيقطع مشفره ، ويفقأ عينه ، فقال في ذلك مشبها الفيلة ذوات الأجسام الضخمة بالبيوت : [2]

فان كنت قاتلت العدو فللته فاني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولا اراها كالبيوت مغيرة اسمّل اعيانا لها ومآقيا

وافاض الرجاز في وصف الفيلة ، وابدعوا في ذلك . [3]

ولفتت كنائس الروم التي حلّوها بالزخارف والنقوش ، انظار الشعراء ، فذكروها في أشعارهم ، واعربوا عن مشاعرهم ، وهم يشهدونها لأول مرة . [4]

ووصفوا القصور الشاهقة والقلاع الحصينة التي لم يسبق ان رأوا مثلها من قبل ، فعندما وصل المسلمون الى الحيرة من ارض العراق ، ورأوا قصورها العالية ، لم يتمالك الشاعر عاصم بن عمرو التميمي نفسه ، وانطلق قائلا [5]

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق اثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا مشرّعة كأضراس الكلاب

---

(١) الحيوان ٧٧/ ٢٦٣-والأعبل : حجارة بيض .

(٢) الطبري٣/ ٥٥٧

(٣) انظر الحيوان ٧ / ١٧٢

(٤) الاصابة ١/ ٣١٨

(٥) معجم البلدان٢/ ٣٢٨

وحين كان يشد المجاهدون على اعدائهم لم يكن ذلك يلهيهم عن التوجه الى الله ، يستمدون منه العون ، او ينسيهم ان يستنزلوا النصر منه تعالى ، بل كانت السنتهم تلهج بذكره ، وقلوبهم تعمر بالتوكل عليه واليقين بنصره ، فقائد المسلمين في فتح دمشق خالد بن الوليد يحمل على الروم وهو ينشد : (١)

لك الحمد مولاي على كل نعمة　　وشكرا لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة　　وانقذتنامن حندس الظلم والظلم
واكرمتنا بالهاشمي محمد　　وكشفت عنامانلاقي من الغمم
فتمم اله العرش ماقدنرومه　　وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم

* * * *

ولم يفتر لسان المجاهدين عن ذكر الله ، ولا قلوبهم عن الانابة اليه ، فضرار بن الازور يبتدر لحرب الروم في فتح دمشق ، وهو يقول : (٢)

عليك ربي في الامور المتكل　　اغفر ذنوبي ان دنا مني الأجل
يا رب وفقني الى خير العمل　　وعني امح سيدي كل الزلل
انا ضرار الفارس القرم البطل　　باغ على الأعداء اضحى المتصل

اقمع بسيفي الروم حتى تضمحل
مالي سواك في الأمور من أمل

وأسهم الشعر في تحريض المؤمنين على الجهاد ومواصلة الكفاح ، وكان من ابلغ الوسائل في استنهاض الهمم ، والهاب جذوة الحماس في صدور المقاتلين ، فأنشده القادة يحرضون به جنودهم على المضي في

---

(١) فتوح الشام ١/ ٢٠٩

(٢) فتوح الشام ٢/ ١٦٠ . اضحى المتصل : ظاهر الانتساب .

الجهاد ، كما انشده الجنود يستحثون به رفاقهم في السلاح والعقيدة على مواصلة الجهاد والنضال .

فكانت اشعار الفتوحات الاسلامية اناشيد رائعة تزخر بروح الايمان والاستبسال ، كقول قائد معركة اليرموك خالد بن الوليد :[1]

هبّوا جميع اخوتي ارواحا نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا اذا بذلنا دونه ارواحا
ويرزق الله لنا صلاحا في نصرنا الغدوّ والرواحا

وحين عظم النزال ، واشتد اوار القتال بين المسلمين والروم في حروبهم لفتح الصعيد بمصر ، خرج من بين صفوف المقاتلين الشاعر رفاعة بن زهير المحاربي ، يحرض الناس على القتال وهو ينشد قائلا :[2]

يامعشرالناس والسادات والهمم ويا اهيل الصفايا معدن الكرم
فسددوا العزم لا تبغوا به فشلا ومكنوا الضرب في الهامات والقمم
وخلفوا القوم في البيداء مطرحة على الثرى خمشاً بالذل والنقم

وبعد : فقد كان الجهاد الذي حاول البعض ان يرد اليه انشغال العرب عن قول الشعر من اهم العوامل التي اذكت جذوة الشعر ، وجعلته يسير على السنة المجاهدين سواء في غزواتهم الأولى او في فتوحاتهم .

وان هذا الجهاد قد فتق آفاقا جديدة امام الشعر العربي ، تجلت في شعر الحنين ورثاء النفس والاعضاء واحتسابها في سبيل الله ،

---

(١) م . ن/١٠/١١٥

(٢) م . ن /٢/١٧٤

ووصف الطبيعة الجديدة في الميادين والامصار المفتوحة .

ويمكن ان نعد شعر الفتوحات نموذجا حيا لاستجلاء آثار الاسلام في الشعر العربي ، حيث كان يعبر عن واقع حياة المسلمين آنذاك وعقيدتهم بكل تفصيلاتها .

شعر الشكوى : -

وقد استغل بعض الولاة في ظل النظام الجديد مناصبهم ، وخرجوا على قاعدة الامانة والنزاهة اللتين يفترض ان يتحلوا بهما ، فلم يسكت الشعراء على تصرفاتهم بل كانوا يغرون الخلفاء ، ويسألونهم ان يجردوا هؤلاء المسيئين من اموالهم ، او يشاطروهم فيها ، وكأن الشعراء يقولون لولاة الامور : حاسبوهم على وفق قانون « من أين لك هذا ؟»

والشعراء في كل ذلك يصدرون عن روح الاسلام وتعاليمه التي تؤكد الامانة وتحث على النزاهة وعفة اليد واللسان .
قال يزيد بن الصعق موجها شعره الى الخليفة عمر بن الخطاب :[1]

أبلغ امير المؤمنين رسالة
فانت امين الله في النهي والأمر
وانت امين الله فينا ومن يكن
امينا لربّ العرش يسلم له صدري
فلا تدعن اهل الرساتيق والقرى
يسيغون مال الله في الأدم الوفر

(١) فتوح البلدان ٤٧٣

فأرسـل الى الحجـاج فاعـرف حسابه
وارســل الى جزء وارســل الى بشر
ولا تنســين النافعــين كليهما
ولاابــن غلاب من سراقبنــي نصر
ومــا عاصــم منهــا بصفــر عيابه
وذاك الذي في السوق مولى بنـي بدر
وارسـل الى النعمان فاعــرف حسابه
وصهـر بنــي غزوان وانــي لذوخبر
وشبــلا فسلــه المال وابــن محرش
فقـد كان في اهــل الرســانيق ذاذكر
فقاسمهــم ـ نفسي فداؤك ـ انهم
سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعونــي للشهــادة انني
اغيب ولكنــي ارى عجــب الدهر
نؤ وب اذا آبــوا ونغــزو اذ غزوا
فأنّى لهــم وفــر ولسنــا أولى وفر

فقاسم الخليفة عمر هؤلاء الذين ذكرهم الشاعر شطر اموالهم .

وفي العصر الاموي ازدادت شكوى الشعـراء لتجـاوزات الـولاة ، ومخالفات السعاة . وحين ارهق السعاة قوم الشاعر الراعي النميري ، وكلفوهم مالا يطيقون ، وصبوا عليهم سياط ظلمهم ، حتى افقروا اغنياءهم واهزلوا فقراءهم . رفع الشاعر الراعـي النمـيري صوتـه بالشكوى الى الخليفة عبدالملك بن مروان فقال : [1]

(١) شعر الراعي النميري ٥٥

أوليّ امــر الله انــا معشر حنفــاء نسجــد بكرةً واصيلا
عرب نرى لله في اموالنا حق الــزكاة منــزّلا تنزيلا
قوم على الاســلام لمّا يمنعوا ما عونهــم ويضيعــوا التهليلا
فادفــع مظالــم عيّلــت أبناءنا عنــا وأنقــذ شلونــا المأكولا
إن السعاة عصــوك حين بعثتهم واتــوا دواعــي لو علمــت وغولا
إنّ الــذين امرتهــم ان يعدلوا لم يفعلــوا ممــا امــرت فتيلا

وهي قصيدة طويلة يعدد فيها الشاعــر مظالــم الــولاة ، ومســاوىء السعاة ، مستنجدا بالخليفة ليرفع عن قومه ما لحقهم من حيف وما انزل بهم الولاة من ظلم .

ويستغيث الشاعر كعب الأشقري ، وهو في خراسان ، بالخليفة عمر بن عبدالعزيــز ، ويخاطبه بشأن عماله ، ويصفهم بالذئاب وبمخالفتهم اوامر الخليفة ، وانهم لايرعوون حتى يعمل السيف فيهم ، فيقول :(١)

إن كنت تحفظ ما يليك فانما عمال ارضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلد بالسيــوف رقاب

ويرفع الفرزدق شكواه الى الخليفة الوليــد بن عبدالملك صارخا من ظلـم العامل الذي اسرف في سوء معاملة الرعيــة وشــق عليهم ، فضربهم بالسياط ، حتى الجأهم الى اخذ الربا ليوفوا له ما يطلبه ، لا يهمه ان دخل هؤلاء نار جهنم ، او خلدوا في صقر ، ويحاول ان يستثير الخليفة بذكر شيمه الاسلامية ، فيقول :(٢)

---

(١) شعراء أمويون ٢/ ٣٩٠

(٢) الديوان ١/ ٢٨٥

أمير المؤمنين وانت تشفي بعدل يديك ادواء الصدور
فكيف بعامل يسعى علينا يكلفنا الدراهم في البدور[1]
واني بالدراهم وهي منا كرافع راحتيه الى العبور[2]
اذا سقنا الفرائض لم يردها وصد عن الشويهة والبعير
اذا وضع السياط لنا نهاراً اخذنا بالربا سرق الحرير
فأدخلنا جهنم ما اخذنا من الارباء من دون الظهور
فلو سمع الخليفة صوت داع ينادي الله : هل لي من مجير؟
واصوات النساء مقرّنات وصبيان لهن على الحجور
إذاً لأجابهنّ لسان داع لدين الله مغضاب نصور
أمين الله يصدع حين يقضي بدين محمد ، وبه امور

وشكا الشاعر عبدالله بن الزبير الاسدي الوالي ابن ام الحكم « اخت معاوية » عبدالرحمن الثقفي الى خاله الخليفة معاوية ، لانه اشتد في امر الخراج ، وعامل الناس بالظلم وابتعد عن الحق فقال بكل جرأة وشجاعة : ـ[3]

ألا ابلغ معاوية بن حرب فقد خرب السواد فلا سوادا
وان جبالنا خربت وبادت فقد تركت لحالبها جمادا
فهل لك ان تدارك ما لدينا وترفع عن رعيتك الفسادا
فان امينكم لا الله يخشى ولا ينوي لأمتكم سدادا
اذا ما قلت : اقصر عن هواه تمادى في ضلالته وزادا

---

(١) أي يكلفنا جمع الدراهم واداءها اليه في مطالع الأهلة .

(٢) العبور : كوكب يطلع في الجوزاء .

(٣) انساب الاشراف ٤/ ١/ ١٤١

ورفع الشاعر عبدالله بن همام السلولي شكواه الى عبدالله بن الزبير من عماله الذين خانوا الأمانة ، وظلموا الرعية ، وذكر اسماءهم الصريحة في قصيدة طويلة منها : ـ[1]

يا ابن الزبير ، امير المؤمنين ألم
يبلغك ما فعل العمّال بالعمل ؟
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا
صلب الخراج ، شحاحا قسمة النفل
وقدّموا لك شيخاً خائنا خذلا
مهما يقل لك شيخ كاذب ، يقل
وقيل طالب حق ذو مرانية
جلد القوى ، ليس بالواني ولا الوكل
اشدد يديك بزيد إن ظفرت به
واشف الأرامل من دحروجة الجعل[2]

وهكذا لم يقف الشعراء موقف المتفرج الصامت وهم يرون بعض العمال والولاة يميلون عن الحق ، او يتبعون الهوى ، او يجورون على من في امرتهم من ضعاف المسلمين وفقرائهم ، فكانت اشعارهم السنة حق تنادي بالعدل وتدعو الى محاسبة المقصرين ، وتحث على الالتزام بحدود الشريعة والنزوع الى معالجة الواقع .

---

(١) م . ن ٤/١/ ٤٠٠ و٥/ ٣٣٢

(٢) يريد مرثد بن شرحبيل ، كان اساء في البيع ، وزيد مولى عتاب بن ورقاء كان خازنه ، ودحروجة الجعل عامر بن مسعود ، لقب بذلك لقصره .

الشعر السياسي : ـ

جاء الاسلام داعيا الى اعلاء كلمة الله ، والى تحقيق الشريعة الالهية المتمثلة بالاسلام ، الذي يدعو نظامه الى تطبيق الحرية والمساواة والعدالة والشورى في أرجاء الارض كافة .

فكان من الطبيعي ان يجد مناهضة شديدة من شعراء قريش ، ومن والاهم من شعراء القبائل واليهود .
واحتدم الصراع بين شعراء الفريقين ، وهب شعراء صدر الاسلام يذودون عن حياض الاسلام وتعاليمه ، مناقشين افكار المشركين ، مسفهين آراءهم ، مظهرين فساد النظام القبلي السائد في المجتمع الجاهلي ، وبذلك بذرت بذرة الشعر السياسي .

وكان حسان بن ثابت اول الشعراء المسلمين الذين ابتكروا الشعر السياسي في ظل الاسلام ، حيث كانت قصيدته في وفد بني تميم من أول اشعاره السياسية ، يقول فيها : ـ[1]

إن الذوائب من فهر و اخوانهم   قد بينوا سنة للناس تتّبع
يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الاله، وبالأمرالذي شرعوا

ومنها : ـ

كم من موالٍ لهم نالواكرامته   ومن عدو عليهم جاهد جدعوا

ومنها : ـ

أكرم بقوم رسول الله قائدهم   اذا تفرقت الأهواء والشيع

وبعد انتصار الاسلام ، مضى الشعراء ينظمون اشعارهم مع

---

(١) الديوان ٢٣٨

الأحداث ، وينتقل رسول الله (ص) الى الرفيق الأعلى ، وتطل بوادر الاختلاف بين المهاجرين والأنصار عمّن يخلفه ، ويواكب الشعر هذا الحدث الكبير ، ويعبر الشعراء عن آرائهم السياسية ، كل منهم يحاول تأييد من يرى جدارته بالخلافة .

فيقول شاعر الانصار النعمان بن العجلان : ـ[1]

وكان خطاء ما اتينا وأنتم
صوابا كأنا لا نريش ولا نبري

وقلتم : حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بني عثمان حلال أبا بكر

وأهلٌ ابو بكر لها خير قائم
وان عليا كان اخلق للأمر

وكان هوانا في عليّ وانه
لأهل لها من حيث ندري ولا ندري

وهذا بحمد الله يشفي من العمى
ويفتح آذانا ثقلْنَ من الوقر

فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها
ولكنّ هذا الخير اجمع للصبر

ولم نرض إلاّ بالرضا ولربما
ضربنا بأيدينا الى اسفل الصدر

ويجمع المسلمون على مبايعة ابي بكر بعدما حدث في سقيفة بني ساعدة ، وينهض شاعر المهاجرين ابن ابي عزة الجمحي مغتبطاً ،

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٥٢١ والأخبار الموفقيات ٥٩٢

فيقول : مؤ يدا ذلك الاجماع السياسي ، منددا بتطلعات الأنصار نحو الخلافة : ـ(١)

شكراً لمن هو بالثناء حقيق ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعد ما دحضت بسعد نعله ورجا رجاء دونه العيوق
ان الخلافة في قريش ما لكم فيها ورب محمد معروق

وتلوح بوادر الردة في عصر ابي بكر ويقوم الشعر بدور كبير في محاولة توحيد الأمة تحت راية الاسلام ، واعادتها الى النظام الواحد في ظل الاسلام . وفيما ذكرنا من اشعار تلك الحركة في شعر الوعظ والارشاد ما يغنينا عن الاتيان بالأمثلة الشعرية هنا .

ولم تتبلور الافكار السياسية بالمعنى الدقيق الا بعد مقتل عثمان ، وبدء الاضطرابات والفتن داخل المجتمع الاسلامي الموحد ، وتوزع الناس الى شيع واحزاب متنافسة ، لكل منها فهمه الخاص لنظام الحكم ، ووسائله في الدعاية لارائه وفهمه ، ومع ذلك فقد ظلت العقيدة الدينية محور الاختلاف والخصومة بين تلك الفئات .

وكانت الأشعار في اول الفتنة العثمانية عتابا رقيقا ، ثم صارت تعنيفا شديداً فيما بعد ، بسبب تأييد او خذلان عثمان .
فلام كعب بن مالك الأنصار لقعودهم عن نصرته ونكوصهم عن الدفاع عنه ، ومدح حسان بني عمرو بن عوف الذين دافعوا عن عثمان ، ولكنه عنّف الأنصار لموقفهم المتخاذل في تلك الفتنة .

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٢٤٦ وشرح نهج البلاغة ٦/ ٨

وسعد : هو سعد بن عبادة الانصاري الذي دعا لخلافة الانصار

العيوق : نجم عال .

وتتسع الهوة بين المسلمين ، وتبرز المواقف المتناقضة بعد مصرع عثمان ، وتعصف رياح الفرقة في عهد علي . وتتأكد اكثر في مطلع العصر الاموي ، وتتبلور الاشعار السياسية المعبرة عن الاتجاهات والنظريات المختلفة .

ومع ذلك فكل الشعر السياسي الذي ازدهر في العصر الاموي كان يستمد مبادئه من هدي الاسلام واصوله الاولى . وبخاصة فيما كان يضفي الشعراء على قادة وزعماء احزابهم من شمائل وصفات .

ومعروف ان الناس ، ومنهم الشعراء ، انقسموا في هذا العصر الى فريقين رئيسيين ، فريق مؤيد للحكم ، وآخر مخالف له ، اي فريق الحزب الاموي في جهة ، وفريق الحزب العلوي والى جانبه الأحزاب الطارئة المؤقتة كالخوارج والزبيريين في جهة اخرى .

أما شعراء الأمويين فقد حاولوا تأكيد الصلة الوثيقة بين حكم الأمويين والدين ، يقول الفرزدق :(١)

أبى الله الا نصركم بجنوده وليس بمغلوب من الله صاحبه
أبى الله إلا ان ملككم الذي به ثبت الدين الشديد نصائبه

وكانوا يؤكدون في اشعارهم قدرية خلافة الأمويين ، واختيار الله لهم ، ولا سبيل الى تبديل او تغيير ما قضى الله به .(٢)

وخلعوا الصفات الدينية على زعماء الأمويين ، ونسبوا اليهم كل الفضائل والمناقب الدينية التي عرف بها العلويون والخوارج ، فعندما

---

(١) الديوان ١/ ٨٨ ، النصائب : الواحدة نصيبه : الحجارة واراد بها هنا اساس الملك

(٢) انظر مثلا ديوان جرير ٢٤ ، ٤٧٤ والاخطل ٢١

يمدح جرير عبدالملك بن مروان يقول : [1]

لولا الخليفة والقرآن يقرؤه ما قام للناس احكام ولا جمع
أنت الأمين امين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابة ورع
أنت المبارك يهدي الله شيعته اذا تفرقت الأهواء والشيع

ويمدح الفرزدق يزيد بن عبدالملك بمثل هذه المناقب فيقول : [2]

وانت غياث الأرض والناس كلهم
بك الله قد احيا الذي كان باليا
وما وجد الاسلام بعد محمد
واصحابه للدين مثلك راعيا

وحتى فكرة المهدي المنتظر التي ينادي بها العلويون ، اخذها شعراء الأمويين واسبغوها على خلفائهم .[3]

أما العلويون ، فكان الكميت بن زيد الاسدي ، شاعرهم المعبر عن آرائهم السياسية ، والمدافع عن حقهم في الخلافة ، والمفند لحجج وافكار مناوئيهم . وتضم هاشمياته التي تقارب ستمائة بيت تلك الافكار والاحتجاجات كاملة .

وكان الكميت يستعين باسلوب الاحتجاج بالقرآن الكريم ، لتأكيد حق بني هاشم في الخلافة كقوله : [4]

وجدنا لكم في حاميم آية
تأولها منا تقيّ ومعرب

---

(1) الديوان ١/ ٢٩٥

(2) الديوان ٢/ ٣٥٢

(3) انظر مثلا ديوان جرير ٢٧٥ ، ٤٣٢

(4) الهاشميات ٣٧

وفي غيرهــا آيا وآيا تتابعت
لـكم نصـب فيهـا لذي الشــك منصب

كما ناقش موضوع وراثة الأمويين للخلافة ، واكد ان كان احد يرث رسول الله (ص) فآل بيته بنو هاشم اولى الناس بذلك .[1]

وقالــوا : ورثناهــا أبانــا وأمنا   ومــا ورثتهــم ذاك أم ولا أب
يرون لهم فضلا على الناس واجبا   سفاهـا وحـق الهاشـميين اوجب

ولو دققنا النظر في افـكار الهاشـميات الاسـاسية لوجدناهـا محـددة بفكرتين تنبعان من تعاليم الاسلام وافكاره ، وهما : فكرة المسـاواة بين المسلمين ، وفكرة توزيع الثروة .[2]

ونرى الكميت حين يهجو الأمويين انما يهجوهم لبعدهم عن هدي القرآن والسنة ، وضلالة بدعهم التي طالما احدثوهـا ، كما ابتـدع الرهبان ما لم ينزل به وحي .

لهـم كل عام بدعـة يحدثونها   ازلـوا بهـا اتباعهـم ثم اوجلوا
كما ابتدع الرهبان ما لم يجيء به   كتـاب ولا وحـي من اللهمنزل
تحـل دمـاء المسلمـين لديهم   ويحـرم طلـع النخلـة المتهدل[3]

وثمة رواية طريفة عن نظـم الـكميت الهاشـميات تقـول : لما قال الكميت الهاشميات ، قدم البصرة فأتـى الفـرزدق فقـال : ـ يا ابـا فراس انـا ابـن اخيك . قال : ومـن أنـت ؟ فانتسـب له . فقـال صدقت . فما حاجتك ؟ .

---

(١) الهاشميات ٣٧

(٢) انظر تفصيل ذلك في شعر الكميت ، ط . بغداد جـ ١ ق ١/ ٥٩

(٣) الهاشميات ٩٢

قال نفث على لساني ، وانـت شيخ مضر وشاعرهـا ، واحببـت ان اعرض عليك ما قلت ، فان كان حسنا امرتني باذاعته ، وان كان غير ذلك امرتني بستره ، وسترته عليّ .

فقال : يا ابن اخي ، احسب شعرك على قدر عقلك . فهات ما قلت راشداً . فأنشده : ـ

طربت وماشوقا الى البيض اطرب ولا لعبا منـي وذو الشيب يلعب

قال : بلى ، فالعب . فقال :

ولم يلهنـي دار ولا رسـم منزل ولـم يتطربنـي بنـان مخضَّب

قال فما يطربك اذن ؟ فقال :

ومـا انـا ممـن يزجـر الطـير همه أصـاح غراب أم تعـرض ثعلب

قال : فما انت ويحك ؟ والى من تسمو ؟ فقال :

وما السانحـات البارحـات عشية امرّ سليم القرن أم مر اعضب ؟

قال : ما هذا . فقد احسنت فيه ؟ فقال :

ولكن الى اهل الفضائـل والنهى وخـير بنـي حواء والخـير يطلب

قال : ومن هم ويحك ؟ فقال :

الى النفـر البيض الـذين بحبهم الى الله فيما نابنـي أتقرب

فقال : ارحني ويحك ، من هؤلاء ؟ فقال :

بنـي هاشـم رهـط النبـي فانني لهم وبهـم ارضى مراراً واغضب

قال : لله درك يا بنـي اصبـت فاحسنـت اذ عدلـت عن الزعـانف والأوباش .(١)

اما الزبيريون الذين كانوا اقل شعراً ممن سواهم ، لعـدم ايمـان زعيمهم عبدالله بن الزبير بدور الشعر في دعوتـه ، فقـد عرف من

(١) مروج الذهب ٣/ ٢٤٢

شعرائهم المترجمين لسياستهم وافكارهم عبيد الله بن قيس الرقيات الذي عرف بمدحه لآل الزبير بمناقب استمدها من صفات ومثاليات الاسلام ، كقوله في مصعب بن الزبير : ـ(1)

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
يتقي الله في الأمور وقد افلح من كان همه الاتقاء

اما الخوارج فقد اخضعوا اشعارهم كلها للمقاييس الدينية التي آمنوا بها ، وصدروا في سلوكهم عنها ، وافنوا حياتهم من اجل سيادتها . وقد تحدثنا عن اشعار الزهد لديهم ، ونضيف هنا بأنهم كانوا يدينون من يتخذ الشعر وسيلة لكسب او جاه ، يقول عمران ابن حطان مخاطبا الفرزدق : ـ(2)

أيها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

وقد كفر بعض شعرائهم كل من لا يدين بأفكار ومبادىء الخوارج التي يعتقدون انها الاسلام الصحيح ، وكل ما دونها ضلال . قال سبرة بن الجعد :(3)

فمن مبلغ الحجاج ان سميره قلى كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس الاّ من رأى مثل رأيه ملاعين ترّاكين قصد المخارج

وللخوارج آراء سياسية يتفق كثير منها مع مبادىء الاسلام ، وقد

(1) الديوان ٩٢

(2) شعر الخوارج ٢٠

(3) مروج الذهب ٥/ ٣١٦

يخالفونه في بعضها ، ولكن اشعارهم لا تجسد تلك الاراء الا شذرات قليلة منها ، كما اوضحنا سابقا . ومع ذلك فقد كان الشعر السياسي وثائق صدق للحرية التي تمتع بها الأفراد في ظل الدولة العربية الاسلامية ، وامثلة حية على قدرة الأمة على التفكير والتحرك السياسيين في اطار المسؤولية الفردية والجماعية .

الغزل العذري :

من المعروف ان الاسلام قد هذّب كثيراً من مشاعر اتباعه ، وصقل احاسيسهم ، وطهر نفوسهم من ادران المجون ، ونزه السنتهم عن فحش القول ، وبعد بهم عن كل ما يشين سلوكم . وصنع جيلا من الشباب المؤمن الطاهر العفيف ، البعيد عن كل ألوان الفساد .

وكانت بادية الحجاز ونجد الموطن الخصب لنشأة هذا الجيل في العصر الاموي ، حيث اكتملت نشأته في ظل التربية الاسلامية بتوجيه ورعاية الصحابة والتابعين .

وكان الحب العذري اثرا لهذه التربية ، وصدى لتعاليم الاسلام ، التي غرست الطهر والفضيلة والعفاف في نفوس هؤلاء الرجال ، ووليداً طبيعيا لالتقاء العاطفة الدينية ونزعة الغريزة الجنسية في نفوس المؤمنين الصادقين .

وقد اختصت بوادي نجد والحجاز بهذا اللون من الحب لانها الارض التي يقطنها ابناء الجيل الذين نشأهم الصحابة والتابعون فاكتملت نشأتهم ، ولأنها موطن المثل والتقاليد البدوية ، ولأن اهل

الحجاز قد جبلوا على الظرف ، وشاع بينهم روح التسامح حتى بين فقهائهم الكبار ، كسعيد بن المسيب مفتي المدينة ، وسيد التابعين الذي وصفه الامام احمد بن حنبل بقوله : سعيد بن المسيب افضل التابعين ، وكان يفتي واصحاب رسول الله احياء .

لقد كان هذا العالم الجليل يحب انشاد شعر الغزل ، ويحكم بجودته احيانا ، حتى قال جامع بن مرخية الكلابي : -

سألت سعيد بن المسيب مفتي الـ
مدينة هل في حب ظمياء من وزر
فقال سعيد بن المسيب : انما
تلام على ما تستطيع من الأمر

فلما سمعها ابن المسيب قال : والله ما سألني احد عن هذا ، ولو سألني ما كنت اجيب الا به .(1)

وقال عبدالله بن عمر العمري : خرجت حاجاً ، فرأيت امرأة تتكلم بكلام افحشت فيه ، فأدنيت ناقتي ثم قلت لها : يا أمة الله ، ألست حاجّة ؟ اما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ، ثم قالت : تأمل يا عم ، فاني من عناه العرجى بقوله : -

أماطت كساء الخزعن حر وجهها
وادنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللائي لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال : فقلت لها : فاني اسأل الله الا يعذب هذا الوجه بالنار .

---

(1) ربيع الأبرار ٣/ ١٢٩

وبلغ سعيد بن المسيب ، فقال : أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها : اغربي قبّحك الله ، ولكنه ظرف اهل الحجاز .(١) وعندما قيل له : ان قوما بالعراق يكرهون الشعر . قال : نسكوا نسكا اعجميا .(٢)

ومنهم عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، احد رجال المدينة السبعة المقدمين في الفقه والنسك والعبادة ، وكان من شعراء الغزل العذري في زمانه وحين قيل له : أتقول الشعر في فضلك ونسكك ؟ اجابهم :. ان المصدور اذا نفث برأ .
ومن شعره قوله : -

أأتـــرك اتيـــان الحبيب تـــأثما
ألا ان هجـران الحبيب هو الإثم(٣)

وغزل فقيه المدينة ومحدثها عروة بن اذينة معروف مشهور ، اذ لم يعرف من شعره غير غزله ، ومثله ناسك مكة وقارئها عبدالرحمن الجشمي الملقب بالقس لعبادته .

ومعظم الباحثين المعاصرين الذين تحدثوا عن ظاهرة الحب العذري واشعاره عللوها بأثر الاسلام ، وان اشرك بعضهم مع الاسلام عوامل اخرى ثانوية كالسياسة والفقر وجمال الطبيعة .

فالدكتور شوقي ضيف علل تلك الظاهرة بالاسلام فقال : ولا شك في ان تفسير موجة الغزل العذري يرجع الى الاسلام الذي طهر

---

(١) الأغاني ١/ ٤٠٣

(٢) العمدة ١/ ٢٩

(٣) الأغاني ٨/ ٩١

النفوس ، وبرأها من كل اثم وكانت نفوس اهل بوادي نجد والحجاز ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ، ولا ما يطوي فيها من لهو وعبث ، ومن تحلل احيانا من قوانين الخلق الفاضل .(١)

وأرجع الدكتور يوسف خليف هذا الغزل الى اثر الاسلام ايضا حيث قال : كانت هذه الحياة الاسلامية سببا في ان يصبح هذا اللون من الحب اللون الاول في لوحة الحياة البدوية الاسلامية .

فالاسلام هو الذي حال بين عرب البادية وبين الوان الحب الاخرى الحسية ، فلم يجدوا لعواطفهم متنفسا الا في هذا الحب العفيف الذي لا يحرمه الدين الجديد ولا ينكره .(٢)

ويرى الدكتور شكري فيصل ان هذا اللون من الغزل ما كان له ان يظهر الا في العصر الأموي حيث اكتملت نشأة الجيل الذي مازجت التربية الاسلامية اعماقه وخالطت دماءه ، وظللت طريقه .

ويرى ان الغزل العذري يجب ان يكون اثراً لتربية جيل جديد تربية صادقة صارمة .(٣)
فهو اذن صدى لتعاليم الاسلام التي تربى هؤلاء الشعراء في كنفها .

وقد توصل الدكتور احمد عبدالستار الجواري ، بعد بحث طويل وتحقيق دقيق ، الى ان هذا الحب ظاهرة اجتماعية جديدة نتجت عن التطور الذي احدثه الاسلام في نفوس العرب ، وهي نقطة البدء في

---

(١) العصر الاسلامي ٣٥٩
(٢) الحب المثالي عند العرب ٦٥
(٣) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ٢٥٠

تاريخ العواطف في المجتمع الاسلامي .[1]

ويقرر الدكتور غنيمي هلال اثر الاسلام في نشأة هذا الغزل فيقول : كان للدين تأثير في هذا الحب ، وطبعه بطابعه فلم يكن ذلك النوع من الحب ليوجد لو لم يغز قلوبا عامرة بالعقيدة مؤمنة بالروح وبالدار الآخرة ، تعتنق فضيلة الزهد ، وتؤمن بجهاد النفس ، وتنتظر الثواب على العفاف في الحب .[2]

اما الدكتور عبدالقادر القط فيرى ان نشرك عوامل اخرى مع الدين لكي نقدم صورة اكثر اكتمالا وشمولا لنشأته ، فيقول : ـ

ان العفة لا تكفي وحدها لنعلل بها نشأة هذا الشعر بمقوماته العامة ، وظهور هذه الطائفة من الشعراء الذين يدورون جميعا في فلك التجربة العاطفية وحدها ، ولعلنا لو التمسنا بعض الاسباب الاخرى الى جانب هذا السبب الديني ، نستطيع ان نقدم صورة اكثر اكتمالا وشمولا لتلك النشأة .[3]

فهو اذن يحاول التماس اسباب اخرى ، وقد ذكر السبب الاجتماعي والسبب السياسي والسبب الحضاري ، الا انه لم يغفل التفسير الديني بل اعطاه الصدارة في تعليله .

وقد سبق هؤلاء جميعا الدكتور طه حسين عندما اقر بالتعليل الديني ، ولكنه غلّفه بالفقر ايضا ، حين قال : كان اهل مكة والمدينة

---

(١) الحب العذري ، نشأته وتطوره ٥٥

(٢) ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي ١٦

(٣) في الشعر الاسلامي والاموي ٨١

يائسين ، ولكنهم اغنياء ، فلهوا كما يلهو كل يائس ، وكان اهل البادية الحجازية يائسين ، ولكنهم كانوا فقراء ، فلم يتح لهم اللهو ، وقد حيل بينهم وبين حياتهم الجاهلية ، وقد تأثروا بالاسلام وبالقرآن خاصة ، فنشأ في نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضري الخالص ، وليس بالبدوي الخالص ، ولكن فيه سذاجة بدوية ، وفيه رقة اسلامية ، وانصرف هؤلاء الناس عن حروبهم واسباب لهوهم الجاهلي ، كما انصرفوا عن الحياة العملية في الاسلام الى انفسهم ، فانكبوا عليها واستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن ، ولكنها نغمة زهد وتصوف ، وانا اعلم ان لفظ التصوف هنا لا يؤدي معناه الذي اريده ، فقل : انهم انصرفوا الى شيء من المثل الأعلى في الحياة الخلقية ، وظهر هذا الزهد الديني الخالص الذي تجد له صدى في اشعار الخوارج .

والآخر هذا الغزل العفيف الذي هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية الى المثل الأعلى في الحب من جهة ، ولبراءتها من الوان الفساد التي كانت تغمر اهل مكة والمدينة من جهة اخرى .(١)

وقد تحدث زميلنا الدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه (الحب في التراث العربي) حديثا مسهبا ومفصلا عن آراء القدامى والمستشرقين والعرب المعاصرين في نشأة الحب العذري .(٢) وبالاضافة الى اثر الاسلام في نشأة هذا اللون من الشعر ، فاننا نحس في ثناياه جوا دينيا غامراً ، وفي الفاظه تأثرا اسلاميا واضحا ، وفي معانيه افكاراً ومفاهيم دينية تنم عن ثقافة وعقيدة اصحابه .

---

(١) حديث الاربعاء ١/ ١٨٨

(٢) ينظر كتابه في سلسلة عالم المعرفة (٣٦)

اننا نشعر بنفحات دينية وجو ديني عندما نقرأ قول قيس بن ذريح:(١)

الى الله اشكو فقد لبنى كما شكا الى الله فقد الوالـدين يتيم

او قول جميل الذي يتضرع الى الله شاكيا هجران حبيبته ، ويدعوها الى تقوى الله في معاملته :(٢)

الى الله اشكو لا الى الناس حبها ولا بد من شكوى حبيب يروّع
ألا تتقين الله فيمن قتلته فأمسى اليكم خاشعا يتضرع
فيا رب حببني اليها واعطني الـ مودة منها ، انت تعطي وتمنع

وفي غزل ابن الطثرية لون واضح من الروح الدينية ، حيث يقول : (٣)

واني لداعي الله في ساعة الضحى
عليك وداعٍ جنح كل اصيل
ومختضن ركن اليماني ومشتكٍ
الى الجانب الغربي صعد عويلي

ويتحدث جميل عن الحدود الشرعية التي تقام على مخالف تعاليم الدين ، وانه يستحق تلك الحدود ان كان في الحب حدود ، حيث انه موقن بألا مخالفة في حبه ، فيقول :(٤)

لئن كان في حب الحبيب حبيبه حدود لقد حلّت على حدود

وتأثر هذا الغزل بالالفاظ والمصطلحات الاسلامية الجديدة واضح ، فقد تكررت فيه الفاظ الصلاة والسجود ، والجنة والنار ، والشرك والايمان ، والجهاد والشهيد ، والشيطان والملائكة . مثل

---

(١) قيس ولبنى ١٤٤
(٢) ديوانه ١١٧
(٣) شعر يزيد بن الطثرية ٩٢
(٤) الديوان ٦٧

قول جميل :[1]

أصليّ فأبكي في الصلاة لذكرها لي الويل مما يكتب الملكان

او قوله : ـ

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما دون ثوبها خبر

وقد ترك الاسلام اثرا واضحا في مفاهيم وتصورات وافكار الشعراء العذريين ، فهم مؤمنون بأن ما فيهم من حب هو قدر من الله مكتوب ، ولا يستطيعون له رداً ، يقول جميل :[2]

لقد لامني فيها اخ ذو قرابة
حبيب اليه في نصيحته رشدي

فقال : افق ، حتى متى انت هائم
ببثنة . فيها لا تعيد ولا تبدي ؟

فقلت له : فيها قضى الله ما ترى
عليّ ، وهل فيما قضى الله من ردّ ؟

ولا يكتفي قيس بن الملوح بترديد هذه الفكرة ، بل يذهب الى ابعد من ذلك ، حيث يجعل هذا الحب لونا من الوان الابتلاء الرباني ، خصه الله به من بين العالمين ، فيقول : ـ[3]

خليليّ ، لا والله لا املك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري ، وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

وهم مؤمنون بأنهم مجموعون مع من يحبون يوم القيامة ، موقنون بما حدّث به رسول الله (ص) « المرء مع من أحب » .

---

(1) الديوان ٢٠٠ ، ٨٩

(2) الديوان ٧٣

(3) ديوان مجنون ليلى ٢٩٣

وقد عبروا عن هذا اليقين في اشعارهم ، فيقول عروة بن حزام الذي يعد من اوائل العذريين ، حيث عاش في زمان الخليفة عثمان : [1]

وإني لأهوى الحشر اذ قيل انني وعفـراء يوم الحشر ملتقيان

ونكاد نحس بمشاعر الرضا بقدر الله ، وما كتب على هؤلاء المحبين ونلمس صبر المؤمنين على ما ينزل بهم من مآس ، ويصب عليهم من مصائب . كقولهم[2] :

فوالله ما ابـكى على يوم ميتتي ولكنني من وشـك بينـك اجزع
فصبـراً لأمـر الله ان حان يومنا فليس لأمـر حمّـه الله مدفع

وفي ابيات قيس بن ذريح فهم عميق لحقيقة ارادة الله ، وشعور فياض بالقناعة والرضا اللذين اشاعهما الاسلام في نفوس اتباعه ، حيث يقول : [3]

تبكي على لبنـى وانـت تركتها وكنـت كآت غيه وهـو طائع
فلا تبـكين في اثـر شيء ندامة اذا نزعتـه من يديك النوازع
فليس لأمـر حاول الله جمعه مشـت ، ولا ما فرّق الله جامع

ومما سبق يتضح بأن التدين او الزهد او المكانة العلمية الشرعية ، كل ذلك لم يقف حائلا دون الاستماع الى الغزل العفّ الطاهر الرقيق ، والتأثر به ، بل حتى نظمه وانشاده من قبل الفقهاء احياناً . وان الاسلام قد ترك بصمات واضحة في اشعار فريق من شعراء الغزل المسمى بالعذري ، ويتضح ذلك في الالفاظ والتعابير ، وفي التصورات والافكار .

(١) كشف الخفاء ٢/ ٢٠٢ وشعر عروة بن حزام ص ١٥

(٢) ديوان مجنون ليلى ١٨٩

(٣) قيس ولبنى ١٠٣

أما الأغراض التقليدية التي كانت معروفة عندما جاء الاسلام ، كالفخر والهجاء والمديح والرثاء ، فقد استمر الشعراء ينظمون فيها ، مع تغيير واضح طرأ على الاهداف وتعديل كبير ادخل على الألفاظ والمعاني ، وتحكيم مقياس جديد لكل تلك الاغراض وهو الاسلام وتعاليمه ، والنقلة الحضارية الكبيرة التي انتقل اليها المجتمع العربي . ويتجلى اثر الاسلام الكبير في تلك الاغراض كالآتي : -

الفخر والحماسة :

كانت اشعار الفخر والحماسة في صدر الاسلام اكثر الأغراض الشعرية صلة بالاسلام ، لما للجهاد من مكانة في الحياة الاسلامية الجديدة ، اذ كان معظم الشعراء من الأبطال المحاربين ، شاركوا في المعارك بسيوفهم واشعارهم .

وقد تطور هذا الفن الشعري على ايدي الشعراء الاسلاميين تطورا كبيرا ، يمكن ان نلمسه عندما ننظر الى المآثر التي فخر بها اولئك الشعراء . . . فلم يعد الشاعر يفخر باعلاء كلمة القبيلة او رفع شأنها ، ولا بكسب المغنم اوسبي الاعداء . بل صار يفخر بنيل الشهادة في سبيل الله ، وبتأييد الملائكة لجند الله ، وبانتصار المؤمنين الصادقين ، نحو قول كعب بن مالك : -(١)

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد   فيه مع النصر ميكال وجبريل
ان تقتلونا فدين الله فطرتنا   والقتل في الحق عند الله تفضيل

كما فخروا بالدين الجديد ، وبهداية الله ، يقول العوام بن

(١) الديوان ٢٥٥

جهيل : ـ(1)

من مبلــغ عنــا شآمــي قومنا ومن حلّ بالاجـواف سراً وجهّرا
بأنــا هدانــا الله للحــق بعدما تهــوّد منــا حائــر وتنصرّا

ولم يعد الشاعر يفخر بقومه على أساس قبلي ، وانما صار الفخر بقوم الشاعر باعتبارهم انصار الاسلام ، وحملة دعوته الأوائـل ، الـذين اختارهم الله من بين البرية ، ليقودوا الناس من الظلمات الى النور ، يقول حسان : ـ(2)

الله اكرمنــا بنصر نبيه وبنــا اقــام دعائــم الاسلام
وبنــا اعــز نبيه ووليه واعزنــا بالنصر والإقدام
نحــن الخيار من البــرية كلها ونظامهــا وزمــام كل زمام

وكرر قيس بن سعد بن عبادة هذا اللون الجديد من الفخر ، فأكد فضل قومه الانصار : (3)

هذا اللواء الـذي كنـا نخصّ به مع النبــي وجبــريل لنــا مدد
ماضر من كانـت الانصـار عيبته أن لا يكون له من غيرهـم احد

وتعد قصيدة النعمان بن العجلان سجلا كاملا لمفاخر الانصار التي خدموا بها الاسلام ومنها : (4)

نصرنا وآوينـا النبـي ولـم نخف صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا : مرحباً بكم واهلا وسهلا قد امنتم من الفقر
نقاسمـكـم اموالنــا وديارنا كقسمة ايسار الجزور على الشطر
ونـكفيكم الامر الـذي تكرهونه وكنا اناسـا نذهـب العسر باليسر

(1) الاصابة ٣/ ٤١
(2) ديوان حسان ١٤٣ (سيد حنفي)
(3) اسد الغابة ٤/ ٢١٦
(4) الاستيعاب ٣/ ٥٢١

وكان العباس بن مرداس اكثر الشعراء الحاحاً على تأكيد الفخر بقومه ، على اساس اسلامي جديد ، فقد نظم في يوم حنين العديد من القصائد التي تزخر بالاعتزاز بقومه ، وتفيض بالاشادة بفضائلهم ، وبما قدموا في سبيل الاسلام ، كقوله :[1]

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ولّى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم في مواطنها وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
قوم همُ نصروا الرحمن واتبعوا دين الرسول وامر الناس مشتجر[2]

وظل يردد هذا اللون من الفخر في حنين ، حتى بلغت اشعاره تسع قصائد في مائة واثنين وثلاثين بيتا .

وكان الشعراء يفخرون بنعمة الاسلام التي خصهم الله بها ، واسبغها عليهم ، ثوب عز في الدنيا ، ونعيما مقيما في الآخرة ، كما يقول النابغة الجعدي :[3]

وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست الاسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان

وكانت صلة الشاعر او قومه برسول الله (ص) ، وحضورهم او حضور آبائهم بين يدي رسول الله (ص) ، او مبايعته ، شرفا لهؤلاء الشعراء ، انطقهم بالفخر ، ودعاهم الى الزهو ، يقول عبدالرحمن بن صفوان مزهواً بمكانة ابيه لدى رسول الله (ص) : ـ[4]

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٦٦ وما بعدها

(٢) الزعر : قلة الشعر . ومشتجر : مختلف

(٣) شعر النابغة ٢٠٧

(٤) الاصابة ٢/ ١٨٣

وانا ابن صفوان الذي سبقت له عنـد النبـي سوابـق الاسلام

ويفخر بحر بن ضبع بمبايعة جده ، ومصافحته رسول الله (ص) :[1]

وجدي الذي عاطى الرسول يمينه وخبت اليه من بعيد رواحله

ويؤكد العباس بن عصيم هذا الشرف ، ويزداد شرفا بموقف عمه ايضا :[2]

عصيم ابى زار النبـي محمداً وعمـي سواء قلّ هذا التفاخر
ولما دعا داع لدين محمد وفدنا فمنا كان ايمن زائر

وفي العصر الأموي واصل الشعراء النظم في هذا المنحى ايضا ، فقال الفرزدق : ـ[3]

ومنا رسول الله ارسل بالهدى وبالحق جاءت باليقين نوادره

وقال في موضع آخر من شعره : ـ

ومنا نبيّ الله يتلو كتابه به دوّخت اوثانها ويهودها

ويؤكد عروة بن اذينة هذا الشرف العظيم في مواضع عديدة من قصائده ، فيقول : ـ[4]

منا الرسول نخير الناس كلهم ولا نحاشي من الأقوام انسانا

ويقول ايضا :

منا الرسول وأهل الفضل أفضلهم
منا وصاحبه الصديق في الغار

(١) اسد الغابة ١/ ١٦٦
(٢) الاصابة ٢/ ٤٧٦
(٣) الديوان ١/ ٣٢٢ ، ١٥٩
(٤) شعره وحياته ٣٩ و ٦٣

وصار الدين وازعا قويا جديدا يردع الناس عن التردي في الرذيلة ، ويسموبهم ويدفعهم الى مكارم الاخلاق والفضيلة ، واعترف الشعراء بأثر هذا الوازع الجديد ، وفخروا به دافعا جديدا يضاف الى العادات الحسنة ، وتقاليدهم الخيرة .

قال الشاعر بيهس بن صهيب : ـ[1]

ما ينبح الكلب ضيفي ، قد أسب إذاً
ولا اقول لأهلٍ : اطفئوا النارا
من خشية ان يراها جائع صرد
اني اخاف عقاب الله والنارا

ويبرز ابو الاسود الدؤلي اثر الاسلام في ردعه عن الجهل والغواية ، فيقول : [2]

إني ليثنيني عن الجهل والخنا
وعن شتم ذي القربى خلائق اربع
حياء واسلام وبقيا ، وانني
كريم ، ومثلى قد يضر وينفع

ويسير على خطاه شاعر اموي هو البختري بن ابي صفرة فيقول : [3]

واني لتنهاني خلائق اربع عن الفحش فيها للكريم روادع
حياء واسلام وشيب وعفة وما المرء الا ما حبته الطبائع

(١) ابن عساكر ٣/ ٣٢٣

(٢) الديوان ٥٦

(٣) الأمالي ٢/ ١٣٤

ويقول شاعر اموي آخر مفتخراً ، وهو زيد بن الحكيم :[1]

شريت الصباوالجهـل بالحلـم والتقى
وراجعـت عقلي والحليم يراجع
أبى الشيب والاسـلام ان اتبـع الهوى
وفي الشيب والاسـلام للمـرء وازع

المديح :

كانت نظرة المسلمين في صدر الاسلام الى المديح بأنه مظهـر من مظاهر الأبهة والتعاظم والكبرياء ، وهي صفات نهى عنها الدين ، بل اوصى بضدها ، ولذلك قل ما وصل الينا من شعر المديح في تلك الفترة بالنسبة الى الأغراض الأخرى .

وحينما اختلفت الحياة بعد الاسلام عما كانت عليه في الجاهلية ، واصبح للمسلمين قائد هو الرسول (ص) ومـن بعـده الخليفـة في عصر الراشدين والامويين ، كان لا بد ان يتوجه المدح الى شخص القائد اولا ، ثم من يليه من الحكام ، ولا بد ان يكون ثمة فرق بين ان يمدح الشاعر الجاهلي شيخ القبيلة ، وان يمدح الشاعر الاسلامي الرسول او الخليفة او الـوالي المسلـم ، فقـد تغـيرت اسس الحـكم والقيادة وتبدلت كثيرمن القيم الاخلاقية والاجتماعية .

ومع ان الرسول (ص) كان راغبا عن مدح الشعراء وموجها كل همه الى صرف الشعراء نحو تأكيد اسس الدين الجديد ، والى نشر الرسالة بين الناس ، والتمكين لهـا في ارجـاء الأرض ، فان بعض الشعراء أبوا إلا مدحـه ، وكانـت مدائحهـم له اقـرب الى الشعـر

(١) تاريخ الاسلام ٤/ ٦٩

السياسي منها الى المدح التقليدي ، فقد حاول هؤلاء الشعراء من خلال مديحهم تأكيد جملة من المبادىء والأسس الاسلامية التي اراد رسول الله ارساءها في اذهان الناس عند بدء الدعوة ، تلك الأسس والمفاهيم المتجسدة في سيرته الشريفة ، منها هداية الرسالة الاسلامية التي بشر بها رسول الله قومه قريشا والعرب المحيطين به اولا ، ثم البشرية كافة بعد ذلك على نحو ما نرى في قول كعب بن مالك وهو يمدح الرسول (ص) : (١)

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضيء له فضل على الشهب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه وكذبوه فكنا اسعد العرب

وقول اسيد بن أناس فيه : (٢)

وأنت الفتى تهدي معداً لدينها بل الله يهديها وقال لك اشهد

وحاولوا تأكيد صلة الرسالة الاسلامية بالسماء ، وانها وحي من الله ، انزل على محمد لتبليغ الناس ، قال كعب بن مالك : (٣)

وفينا رسول الله نتبع امره اذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه ينزّل من جو السماء ويرفع

ويؤكد الشاعر اصيد بن سلمة هذه الصلة ، وان الله هو الذي بعث محمداً ليبلغ رسالة الرحمة الى من في الأرض : (٤)

ان الذي سمك السماء بقدرة حتى علا في ملكه فتوحدا
بعث الذي لا مثله فيما مضى يدعو لرحمته النبي محمدا

---

(١) الديوان ١٧٤

(٢) اسد الغابة ١/ ٨٩

(٣) الديوان ٢٢٤

(٤) أسد الغابة ١/ ١٠١

اما الأمر الثالث الذي حاول شعراء الاسلام تأكيده من خلال مدحهم رسول الله ، فهو صلاحية الرسالة التي كان يبشر بها ، فهي هداية للناس في الدنيا ، وانقاذ لهم من سوء المصير في الآخرة ، وفي ذلك طرف من الدعاية للدين الجديد ، ونشر لمفاهيمه باسلوب مبتكر يقول كعب بن مالك : ـ

فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور

ويقول في قصيدة اخرى : ـ[1]

الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجبه اليه ينج من تبب

أما حين كان الشعراء يمدحون الخلفاء من بعد الرسول ، فانهم كانوا يصورون الجوانب المضيئة من سيرتهم ، حين يطبقون تعاليم القرآن ، ويسيرون على هدي سيرة الرسول . فعندما اراد عمرو بن عاصم ان يمدح الخليفة عثمان بن عفان ، قال : ـ[2]

إن ابن عفان الذي جربتم فطم اللصوص بمحكم الفرقان
ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً في كل عنق منهم وبنان

وفعلوا الشيء نفسه مع بقية الممدوحين من غير الحكام ، وعدوا اقتداء الممدوح بالرسول ، والسير على مناهجه ، من اعظم المناقب التي يمدح بها الرجال . قال حسان يمدح الزبير بن العوام :[3]

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليَّ الحق والحق اعدل

(١) الديوان ٢٠٣ و ١٧٤

(٢) الطبري ٤/ ٢٧٢

(٣) الديوان ٢٩٤ (البرقوقي)

وفي العصر الاموي حاول الشعراء ابراز الجوانب الدينية في ممدوحيهم من الحكام ، للصلة الوثيقة بين الحاكم والدين ، ولأن الحاكم كان يمثل السلطة الدينية والدنيوية في آن واحد ، فتبا روا في ابـراز تلك الصفات الرفيعة في الممدوحين ، حتى وان افتقروا اليها ، ولعلهـم كانوا يقصدون الى رسم النموذج الاسلامي الذي يجب ان يتحلى به الحاكم المسلم ، ليتعمق في سلوك من يطبقه منهم فعلا ، وليقترب منه من كان بعيدا عنه من الحكام ، واشعارهم في ذلك دعوة صريحة لكل المسلمين الـذين يستمعـون اليهـم ، ليتحلـوا بتلك الصفـات وليعملوا على نشرها بين صفوف مجتمعهم .

فعندما اراد عبدالله بن الحشرج ان يمدح احد الامـراء الأمـويين قال : (١)

أقـام لأهـل الأرض دين محمد وقد ادبـروا وارتـاب كل مضلل
فما زال حتـى قوّم الـدين سيفه وعـزّ بحـزم كل قرم محجّل

اما شعراء الأحزاب السياسية فكانوا يتسابقون الى اضفاء اكبر مقدار من المناقب الدينية على ممدوحيهم ، من قادة ورجال الأحزاب التي يؤ يدونها .

فشعراء الحزب الاموي الحاكم بالغوا الى درجة كبـيرة في اثبـات تلك المناقـب لرجـال بنـي امية فقـال الفـرزدق يمـدح يزيد بن عبدالملك : (٢)

ولو كان بعد المصطفى من عباده نبـيٌ لهـم منهم ، لأمـر العزائم

(١) الاغاني (الدار) ١٢/ ٣٠

(٢) الديوان ٢/ ٢٨٢

لكنت الـذي يختاره الله بعده لحمل الأمانات الثقال العظائم
ويقول في الامويين : -
ورثتم خليل الله كلّ خزانة
وكل كتاب بالنبوّة قائم
بحكم الذي فوق السموات عرشه
بما في ثري سبع من الارض عالم
ويمدح سليمان بن عبد الملك فيقول : [1]
وبالمسجد الاقصى الامام الذي اهتدى
به من قلوب الممترين ضلالها
به كشف الله البلاء واشرقت
له الأرض والآفاق نحس هلالها
وينتقل الى مدح الأمويين فيقول : -
وجدنا بني مروان اوتاد ديننا كما الأرض اوتاد عليها جبالها
وانتم لهذا الدين كالقبلة التي بها ان يضل الناس يهدي ضلالها

ويصور النابغة الشيباني يزيد بن عبدالملك بانه الامام التقي الورع الذي يقطع الليل نحيبا وابتهالا ، وتلاوة للقرآن ، فيقول : [2]
وحباه المليك تقوى وبرّا وهو من سوس ناسك وحمال
يقطع الليل آهة وانتحابا وابتهالا لله اي ابتهال
تارة راكعا وطورا سجودا ذا دموع تنهل أي انهلال
وله نحبة اذا قام يتلو سوراً بعد سورة الأنفال

(١) الديوان ٢/ ٧٢
(٢) الديوان ٦٨

ويمدح جرير الوليد بن عبدالملك بمثل هذه المناقب :(١)

فأنـت لرب العـالمين خليفة ولِيٌّ لعهـد الله بالحـق عارف
هداك الذي يهدي الخلائق للتقى واعطيت نصراً لم تنلـه الخلائف

وكان عمر بن عبدالعزيز اوفر الخلفاء الامويين حظا في تلك المدائح ، لما عرف عنه من عدل وصلاح وتقوى ، وتطبيق للشريعة ، وتزخر اكثر دواوين الشعراء الامويين ، الذين ادركوا عصره ، بمدحه وتجسيد مناقبه الاسلامية .

ومن تلك المدائح قول كثير عزة ، وهو معروف باتجاهه العلوي :(٢)

وأظهرت نور الحق فاشتد نوره على كل لبس بارق الحق مظلم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي اتيت فأمسى راضيا كل مسلم
تكلمت بالحق المبين وانما تبين آيات الهدى بالتكلم
وما زلت تواقا الى كل غاية بلغت بها اعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وان كان مونقا وآثرت ما يبقى برأي مصمم

ومنها قول جرير فيه ايضا :(٣)

أنـت المبارك والمهديّ سيرته تعصي الهوى وتقوم الليل بالسّور
اصبحت للمنبر المعمور مجلسه زينا وزين قباب الملك والحجر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربَّه موسى على قدر

(١) الديوان ٢/ ٦٨٦

(٢) الديوان ٣٣٤

(٣) الديوان ١/ ٤١٦

أما مديح الخوارج فنادراً ما يوجه الى شخص بذاته ، وانما كان يوجه الى المجموع ، لانهم قوم تشابهوا في سلوكهم ، وتوحدوا في خصالهم ، فحين يمدح مجموع الخوارج فانما يعني ذلك مدح كل واحد منهم .

وطبيعي ان تكون المناقب التي يمدحون بها تعبيرا عن تقواهم ، وعبادتهم وحبهم للموت ، وكراهيتهم للحياة الناعمة المترفة ، يقول عمر بن الحصين العنبري : ـ[1]

في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر
متأهبون لكلّ صالحة ... ناهون من لاقوا عن النكر
إلا تجيئهم فانهم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى ... للموت بين ضلوعهم يجري
تلقاهم ، ألاّ كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر[2]
فهم كأن بهم جوى مرض ... او مسّهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم ... فيه غواشي النوم بالسكر
كم من أخ لك قد فجعت به ... قوّام ليلته الى الفجر
متأوها يتلو قوارع من ... آي الكتاب ، مقرَّح الصدر
نصب تجيش بنات مهجته ... م الخوف ، جيش مشاشة القدر
ظمآن وقدة كلّ هاجرة ... ترّاك لذّته على قدر

وعندما ندقق النظر في مدائح شعراء العلويين نجدها صورا ناطقة بالمناقب الدينية التي اسبغها الشعراء على رجال بني هاشم ، على نحو ما نرى في مديح ايمن بن خريم الأسدي للهاشميين ، وكان

(١) شعر الخوارج ٨٤

(٢) ألاّ : من أل يئل ، أي أنّ وحنّ ورفع صوته بالدعاء .

يتشيع لهم :[1]

نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء
وليتم بالقرآن وبالتزكي فأسرع فيكم ذاك البلاء
أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وانتم لأرؤسهم واعينهم سماء

وسبق ان تحدثنا عن هاشميات الكميت ، التي كرس شعره فيها لمدح بني هاشم ، اصل الحزب العلوي والشيعي فيما بعد . وهي زاخرة بالمناقب الدينية التي اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم .

والى جانب هذا اللون السياسي من المديح ، إستحدث لون جديد من المديح ، توجه به الشعراء الى الذات الالهية ، معترفين بقدرته ، مشيدين بأفضاله ، مقرين بأنعامه على المخلوقات كافة ، وهو اقرب الى الدعاء منه الى المديح ، فقد اتخذ الشعراء من الاساليب والالفاظ التي يرددها المؤمنون في صلواتهم وعباداتهم وسيلة لذلك المديح ، كالذي نراه في قول حسان :[2]

وأنت اله الخلق ربي وخالقي
بذلك ما عمّرت في الناس اشهد
تعاليت ربّ الناس عن قول من دعا
سواك إلهاً انت اعلى وامجد
لك الخلق والنعماء والأمر كله
فاياك نستهدي واياك نعبد

ومثله قول عبدالله بن ابي رهم :[3]

---

(١) الاغاني ٢١/ ١٠ (بولاق)
(٢) الديوان ٣٣٨
(٣) الاصابة ٣/ ٨٣

واقــول اذ طرق الصبــاح بغارة سبحانــك اللهــم رب محمد
سبحــان ربــي لا الــه غيره رب العبــاد ورب من يتورد

وابتكر الشعراء لونا جديدا من المديح اختصوا به رسول الله (ص) بعد وفاته ، تعبيرا عن عواطفهم الدينية ، وتقربا الى الله تعالى بنشر محاسن الدين ، والثناء على شمائل الرسـول ، اطلـق عليه المدائـح النبوية ، ومن المعروف أن ما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه في الرسول يسمى مدحا كأنهـم لحظـوا ان الرسـول (ص) موصـول الحياة ، وانهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء . (١)

وثمة الفاظ تتكرر في هذه المدائح كأنها مصطلحات يجب الالتزام بها في هذا اللون من المدائـح الـذي يسمـى احيانـا (البـديعيات) ايضا ، من مثل وصف الرسول بـ (الهـدى) ولفظـة (الطريقـة) وجملة (صلى الاله) وكلمة (طيبة) . (٢)

وتسود اشعار المدائح النبوية نزعة صوفية حيث يبـدي الشعـراء رغبة صادقة في ان ينالوا الثواب على تلك الاشعار ، وان يجمعهم الله مع حضرة الرسـول الـكريم في جنـة الخلـد ، ليأنسـوا بجـواره ، ويتشرفوا بلقائه ، ويسعدوا بمصاحبته كقول حسان : (٣)

يا ربِّ فاجمعنــا معــاً ونبينا في جنــة تثنــي عيون الحسد
في جنـة الفــردوس فاكتبهــا لنا يا ذا الجلال وذا العـلا والسؤ دد

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ١٧
(٢) انظر ديوان حسان ٣٧٩ وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٠٩ و ٢٢٥ و ٣٣٠
(٣) الديوان ٢٠٩

وتضرع الى الله ان يحقق له تلك الامنية العزيزة في قصيدة اخرى حيث قال : [1]

وليس هوائي نازعاً عن ثنائه لعليّ به في جنة الخلد اخلد
مع المصطفى ارجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم اسعى واجهد

وحسان خليق بأن يسمى رأس البديعيين ، فهو الذي بدأ الشعر في المديح النبوي[2] وبعده كعب بن زهير بن ابي سلمى . وقد سارت مديحة كعب على الزمان ، وقلّدها كثير من الشعراء على مر العصور . فعارضوها وشطّروها وخمسوها ، وكثرت شروحها .

الهجاء :

سبق ان ذكرنا ان الرسول (ص) كان يشجع شعراء المسلمين في صراعهم مع مشركي قريش .

فحين التحم الفريقان باللسان والسنان ، ودفع كل فريق بشعرائه الى المعركة ، ندب من توسّم فيهم القدرة من اصحابه لهجاء المشركين ، ووجههم الى حيث يؤثرون فيهم ، ويشفون صدور المؤمنين .

لقد اقترن الهجاء بالقتال في سبيل الدعوة كما قال حسان : [3]

لنا في كل يوم من معدٍّ سباب او قتال او هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

(١) م . ن ٢٠٦

(٢) تاريخ الادب العربي - فروخ ١/ ٣٢٦

(٣) الديوان ٧٤

فازدهر فن الهجاء بنوعيه ، الفردي والجماعي ، وبرز شعراء مسلمون في هذا الميدان ، ولكنه اختلف عن الهجاء القديم ، اذ لم يكن تسرعا بالشعر الى اعراض الناس ، ولا قذفا بألوان الشتائم والمساوىء ، وانما كان هجاء لمن ضلّ عن طريق الحق وتنكب سبيل الهداية .

ومع ذلك فلم يترسم الشعراء طريقة القرآن في هجاء المشركين والمنافقين واليهود .

فالقرآن قد هجاهم باسلوب جديد ، يعتمد تسفيه معتقداتهم ، ومناقشة حججهم ثم ابطالها بعد كشف زيفها وتهافتها ، وفضح ما يسرون وما كانوا به يتآمرون .

فمن هجاء القرآن للمشركين ان أمية بن خلف كان اذا رأى رسول الله (ص) همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالاً وعدّده ، يحسب أنّ مالَه أخلده ، كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطّلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة »[1]

وقصة ابي لهب وزوجته مشهورة في كتب السيرة ، فنزلت بحقه وحق زوجته أم جميل بنت حرب (حمالة الحطب) سورة « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمّالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » فلما سمعت ام جميل ما نزل فيها ، وفي زوجها أتت أبا بكر ، وفي يدها فهر (حجر) فقالت : يا ابا بكر : أين صاحبك ؟ فقد بلغني انه

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٥٦ واسباب النزول ٨١٢

يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهـر فاه ، أمـا والله انـي لشاعرة ، ثـم قالت : ـ

مـذمَّـمـا عصينـا وأمـره أبينـا
ودينـه قلينـا

ثم انصرفت . [1]

ومما هجي به المنافقون بعد ان خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسـول الله (ص) . فقـال عبـدالله بن ابـي وكان رأس النفاق : انظروا كيف اردّ عنكم هؤلاء السفهاء فذهب وكان رأس النفاق : انظروا كيف اردّ عنكم هؤلاء السفهاء فذهب فأخذ بيد ابي بكر ، فقال : مرحباً بالصديق ، سيد بني تيم ، وشيخ الاسـلام ، وثاني رسول الله في الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم اخذ بيد عمر ، فقال : مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم اخذ بيد علي ، فقال : يا بن عم رسول الله وختنه ، سيد بني هاشم ، ما خلا رسول الله ثم افترقوا ، فقال ابن أبيّ لأصحابه : كيف رأيتمونـي فعلـت ، فاذا رأيتموني فافعلوا كما فعلت ، فأثنوا عليه خيراً ، فرجع المسلمون الى النبـي (ص) واخبـروه بذلك . فنزلـت الآيات في هجائهـم ، وهي : ـ

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزءون ، الله يستهزىء بهم ويمدّهـم في ظغيانهم يعمهون ، اولئك الـذين اشتـروا الضلالـة بالهـدى ، فما

(١) ابن هشام ١/ ٣٥٥

ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين » . . . الى آخر الايات .[1]

أما اليهود فمما هجوا به ، انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله (ص) قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب ، كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم بعض المسلمين : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن اهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته .

فقال سلام بن مشكم احد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر ، فأنزل الله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لِما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به انفسهم أنْ يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحقّ مصدقا لما معهم ، قل فلمَ تقتلون انبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ، ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » .[2]

وبمثل هذه المناقشات المنطقية والحجج الدامغة كان القرآن يهجو أعداء الاسلام جميعاً ، ويلزمهم الدليل ، ويظهرهم بمظهر السفيه .

ويتلخص اسلوب القرآن الجديد في هجائهم بطريقتين تختلفان في اسلوبها ، وان كانتا تنتهيان الى غاية واحدة . يناقش حجتهم

(١) اسباب النزول ٥ .

(٢) اسباب النزول ٢١ .

بالدليل العقلي وبالمنطق ، فيورد اقوالهم ثم ينقضها عليهم ، مبينا تفاهتها وضعف ما تستند اليه .

والطريقة الثانية اعتماده على التاريخ ، يروي منه ما يكسو خصومه العار ، ويصور ان ضلالتهم واعتقادهم ليس بالشيء الجديد . وقد يعتمد على تصوير الحال وابرازه مجسما بالتمثيل او با بالقاء الضوء على ما يتآمرون به في الظلام .(١)

فهل افاد الشعراء من هذا الاسلوب الرائع في هجاء اعداء الاسلام ؟ وهل استطاعوا ان يتمثلوا صور الهجاء القرآني ، وهي ماثلة امام اعينهم ، ويتلوها المسلمون صباح مساء .

ان ما وصل الينا من هجاء شعراء الاسلام لا ينبىء عن انتفاعهم من تلك الصور والاساليب الا في القليل النادر . فمعظم اهاجيهم كانت استمرارا لاسلوب الجاهليين في التعيير بالألقاب والأخلاق الشخصية ، وفي الحروب والانساب لأنهم وجدوا ان الاستمرار بتلك الطريقة هو السبيل المؤثر في نفوس الاعداء .

فتصدى لهجاء المشركين وحلفائهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الاسلام كان اشد القول عليهم قول ابن رواحة .(٢)

---

(١) الهجاء والهجاؤ ون ١٨٩ وما بعدها .

(٢) الاغاني ٤/ ١٣٧

ويظهر ان الرسول (ص) لم ينه شعراءه عن هذا النهج من الهجاء بل كان يأمرهم به ويحثهم على سلوكه بمثل قوله : ـ
« قولوا لهم مثل ما يقولون لكم »(١)

وفعلا كانت طريقة حسان وكعب هي التي تؤذي القرشيين المكيين ، ولو انهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم ، اذ كانت تلك عقيدتهم ، وكانوا يعتزون بها .(٢) ومع ذلك فثمة شذرات اسلامية يمكن ان نلمسها في اشعار بعضهم ، متأثرين بمنهج القرآن في هجاء الخصوم ، فعيروهم بالشرك وعبادة الأوثان ، وسوء المصير والمنقلب ، وبالصد عن هدي الرسول ، كقول كعب بن مالك ، يهجو قريشا .(٣)

فكُبّ ابو جهل صريعا لوجهه   وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيميّ غادرن في الوغى   وما منهمُ الا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها   وكل كفور في جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال : اقبلوا   فولّوا وقالوا : انما انت ساحر

وقوله في هجاء اليهود من بني النضير ، حيث ناقشهم بما اوتوا من علم الكتاب ، وبكفرهم وبانكارهم نبوة محمد وتكذيبه .(٤)

لقد خزيت بغدرتها الحبور   كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب   عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معاً فهماً وعلما   وجاءهم من الله النذير

(١) العقد الفريد ٦/ ١٤٥
(٢) العصر الاسلامي ٥٠
(٣) الديوان ٢٠١
(٤) الديوان ٢٠٣

فقالوا : ما أتيت بأمر صدق   وانت بمنكر منا جدير
فقال : بلى ، لقد أدّيت حقاً   يصدقني به الفهم الخبير
فلما أشربوا غدراً وكفراً   وحاد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبيَّ برأي صدق   وكان الله يحكم لا يجور
فأيّده وسلطه عليهم   وكان نصيره نعم النصير
فتلك بنو النضير بدار سوء   أبارهمُ بما اجترموا المبير

وحاول حسان بن ثابت ان يمزج بين المنهجين في هجاء ابي سفيان بن الحارث ، فقال له : ـ

ولست بذي دين ولا ذي أمانة   ولست بحرّ من لؤي ولا كعب
ولكن هجين ذو دناة لمقرف   مجاجة ملح غير صافٍ ولا عذب

وهو نادرا ما ينفرد بالنهج الاسلامي الجديد في الهجاء ، كقوله يعير قريشا بتغرير ابليس اياهم ، وبموالاتهم له وطاعته حيث قال :

سرنا وساروا الى بدر لحينهم   لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاّهم بغرور ثم أسلمهم   إن الخبيث لمن والاه غرّار
وقال : إني لكم جار فأوردهم   شرّ الموارد فيه الخزي والعار[1]

ومثل قوله يعير قريشا بطاعة الشيطان ، وبنداء الشرك وشعاره : ـ[2]

طاوعوا الشيطان إذ أخزاهم
فاستبان الخزي منهم والفشل
حين صاحوا صيحة واحدة
مع ابي سفيان قالوا : اعل هبل

---

(١) الديوان ١١١ و ٣٨٨ .

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٦١ .

وهذا شاعر اسلامي آخر يعير المشركين بالعكوف على الأوثان ، فيقول : ـ[1]

لحا الله اقواما ارادوا محمداً
بسوء ، ولا اسقاهم ثوب ماطر
عكوفا عى الأوثان لا يتركونها
وقد أمّ دين الله اهل البصائر

ووجد شعراء الاسلام المخلصون في حركة الردّة ، ونكوص المرتدين عن فرائض الاسلام وواجباته مدعاة للهجاء باسلوب جديد ، كقول عمارة بن قريط يهجو قومه بني عامر ، لابطالهم فريضة الصلاة ، وامتناعهم عن اداء الزكاة : ـ[2]

ثقلت صلاة المؤمنين عليكم بني عامر والحق جد ثقيل
واتبعتموها بالزكاة وقلتم ألا لا تقروا منها بفتيل
فلا يبعد الله المهيمن غيركم سبيلكم في كل شر سبيل

وسار معاذ بن يزيد العامري على هذا النهج في هجاء قومه المرتدين ، فقال : [3]

بني عامر أين الفرار من الله والله لا يغلب
منعتم فرائض اموالكم وترك صلاتكم اعجب
وكذبتم الحق فيما اتى وان المكذب للأكذب

وقد نهى الاسلام عن الهجاء المقذع الذي يعتمد الفحش والقذف

(١) الاصابة ٣/ ١٩٥ .
(٢) الاصابة ٢/ ١١٢
(٣) م . ن ٣/ ٤٧٣

والسب الذي يقبح نشره ، فقد جاء في الحديث الشريف : ـ

« من قال في الاسلام شعرا مقذعاً فلسانه هدر »

ونهى عن رواية هذا الشعر فقال : من روى هجاء مقذعاً فهو احد الشاتمين . اي ان اثمه كإثم قائله .[1]

وعندما اقذع ضابىء بن حارث البرجمي في هجاء جدول بن نهشل ، وقال : ـ

وأمكم لا تتركوها وكلبكم　　فان عقوق الوالدين كبير

فرمى امهم بالكلب ، استعدوا عليه عثمان بن عفان ، فحبسه وقال : لو ان رسول الله (ص) حي لأحسبنه نزل فيك قرآن . وما رأيت احداً رمى قوماً بكلب قبلك .[2]

ولعمر بن الخطاب موقف معروف من الهجاء المقذع ، وتفسير خاص لمصطلحه ، يضيف لمعناه السابق معنى آخر ، فهو يعني عنده التفضيل والمقارنة ، اذ يدخل الشاعر بين الرجلين المتنافسين ليمدح واحداً ، ويهجو الآخر ، فيزهو الأول ويغلي الثاني حقداً ، فيشتبك الرجلان ثم يقع بين حييهما مالا تحمد عقباه من الشرور والفتن .

وقد نهى الحطيئة عنه ، ثم سجنه لتماديه فيه ، وحين اخرجه من السجن قال له : إياك وهجاء الناس . قال الحطيئة : اذاً يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي . قال فاياك والمقذع من القول . قال : وما المقذع . قال : أن تخاير بين الناس فتقول :

(١) اللسان (قذع)

(٢) الاصابة ٢/٢٠٧

فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت ـ والله ـ اهجى مني .[1]

وفي العصر الاموي تواجهنا كثير من اشعار الهجاء المتأثرة الى حد بعيد بمثالية الاسلام ، اذ كان الشعراء يهجون خصومهم بالبعد عن الدين ، وبالانحراف عن مبادئه القويمة ، كالذي نراه في هجاء جرير آل المهلب حيث رماهم بالتفريط في دينهم ، وبطغيانهم طغيان ثمود ، فأهلكوا بالطاغية :

آل المهلـب فرّطـوا في دينهم　　　وطغوا كما فعلـت ثمود فباروا

وعندما هجا الفرزدق ، عيره بالبعد عن مواطن العبادة ، وبضعف الدين ورقته : ـ

ألا قبـح الفـرزدق كلما　　　أهـلّ مصـل للصـلاة وكبرا
فلا يقربـن المروتـين ولا الصفا　　　ولا مسجـد الله الحـرام المطهرا
فانك لو تعطي الفـرزدق درهما　　　على دين نصرانية لتنصرا

وعير بني قفيرة بارتكاب اكبر المحرمات واعظمها ، فلا يتقون منها شيئا : ـ

أخـزى الالـه بنـي قفـيرة انهم　　　لا يتقـون من الحـرام كؤ ودا

أمـا في هجائـه للأخطـل وقومـه بنـي تغلـب ، فكان يعيّرهـم بنصرانيتهم ، وبما وصفهم القرآن ، فيقول : ـ

عبدوا الصليب وكذبـوا بمحمد　　　وبجبـرئيل وكذبـوا ميكالا

---

(١) الأغاني ٢/ ٥٢ (طبعة ساسي)

ويقارن بين صلاح قومه ، وبعد قوم الأخطل عن الصلاح ، وبين مصير قوم الأخطل في الآخرة ، ومصير قومه ، فيقول : ـ

تغشى الملائكة الكرام وفاتنا والتغلبي جنازة الشيطان
يعطى كتاب حسابه بشماله وكتابنا بأكفنا الأيمان[1]

والهجاء بين الاحزاب السياسية لم يعد اثارة الأحقاد في النفوس ، بل صار نقاشا يدور بين شعراء تلك الاحزاب ، وجانبا مهما من جوانب الدعاية السياسية ضد الاحزاب المناوئة ، والاتجاهات المخالفة .

فعبيد الله بن قيس الرقيات ، يعيّر خصومه بعدم الالتزام بكتاب الله او الانتهاء عما نهى عنه ، ويحاججهم بعدم خضوعهم لله او تقواه ، فيقول :[2]

أيها المستحل لحمي كله
من ورائي ومن وراك الحساب
تختل الناس بالكتاب فهلا
حين تغتابني نهاك الكتاب
لست بالمخبت التقيّ ولا المحـ
ض الذي لا تذمه الأنساب

وحين يهجو الفرزدق خصوم الامويين المحاربين اياهم ، يرميهم بمثالب البعد عن الدين ، ويجردهم من الايمان ، ويهددهم بسوء المنقلب والمصير ، حين يقول وهو ينظر الى اسلوب القرآن وآياته :[3]

(١) ديوان جرير ١/ ٦٤٧ و ٤٨١ و ٣٣٨ و ٥٢ و ١٠١٥

(٢) الديوان ٨٦

(٣) الديوان ٢/ ٣٢٨

لا بارك الله في قوم ، ولا شربوا إلا أجاجا ، اتونا من سجستانا
منافقين استحلوا كلّ فاحشة كانوا على غير تقوى الله اعوانا
ألم يكن مؤمن فيهم فينذرهم عذاب قوم أتوا لله عصيانا
وكم عصى الله من قوم فأهلكهم بالريح ، او غرقا بالماء طوفانا

وعندما قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار ، ابنة الصحابي النعمان ابن بشير ، لم يعيره سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بالمثالب التي كانت شائعة بين الشعراء وفق المقاييس القديمة ، وانما راح يعرض سيرة هذه المرأة الطاهرة ، ويسرد فضل وسابقة قومها الأنصار في الاسلام ، ثم خلص الى القول بخروج قتلتها على الاسلام ، وهذا الهجاء لون من الدعاية السياسية ضد الزبيريين ، قتلة هذه المرأة الانصارية . قال : ـ[1]

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب
بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دلّ ستيرة
مهذبة الاخلاق والخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم اكارم
من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبيّ المصطفى ونصيره
وصاحبه في الحرب والضرب والكرّب
أتاني بأنّ الملحدين توافقوا
على قتلها لاجنّبوا القتل والسلب

(١) الطبري ٦/ ١١٣

فلا هنأت آل الزبير معيشة
وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحرب
كأنهم اذ ابرزوها وقطّعت
بأسيافهم فازوا بمملكة العرب
ألم تعجب الاقوام من قتل حرّة
من المحصنات الدين محمودة الأدب
من الغافلات المؤمنات بريئة
من الذمّ والبهتان والشكّ والكذب

وهجاء الخوارج الأمويين ينمّ عن تأثر كبير باسلوب القرآن ، وفهم دقيق لمعانيه ، فلما قسا عبيدالله بن زياد على الخوارج ، وقتل منهم جماعة بينهم عروة بن أدية ، خرج اخو عروة مرداس في اربعين رجلا وارسل اليهم ابن زياد الفين فهزمهم مرداس ، فقال قيس بن فاتك في ذلك : ـ[1]

أألفا مؤمن ـ فيما زعمتم ـ ويقتلهم بـ(آسك) اربعونا ؟
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكبيرة ينصرونا

وتأثر النص بأفكار الاسلام ومعانيه واضح ، ويمكن ان نرى ذلك في كثير من النماذج الهجائية الاخرى سواء في الألفاظ او المفاهيم .

النقائض :

سبق ان أشرنا في الصراع الشعري بين مكة والمدينة في عصر الرسالة الى استغلال الشعراء فن النقائض في ذلك الصراع .

(١) الكامل في الادب ٢/ ١٦٢

ومعروف ان النقائض لون من الوان الهجاء الملتزم وان اهم ما يعتمد عليه الشاعر في نقائضه نقض المعاني التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر ، وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر للوصول الى هذا الغرض ، ليصل الى الهجاء ، منها : ـ

وطريقة التوجيه : يفسر فيها الشاعر الحادثة بما يؤ يد موقفه .

فعندما فخر عمرو بن العاص بنصر قريش في احد ، وعجز المسلمين عن تحقيق هذا النصر ، فقال :(١)

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطّق
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا
لدى جنب سلعٍ والأمانيُّ تصدق
فما راعهم بالشر الا فجاءة
كراديس خيل في الأزقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا
ودون القباب اليوم ضرب محرّق
كأن رؤوس الخزرجيين غدوة
وأيمانهم بالمشرفية بروق

ناقضه كعب بن مالك ، وسلك طريقة التوجيه ، ولم يتخاذل لعدم انتصار المسلمين في احد ، بل صور صبرهم وبلاءهم في تلك المعركة ، واكد اعتزاز المسلمين بقيادة الرسول (ص) ، قال :(٢)

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٤٣ سلع : اسم جبل في المدينة ، البروق : نبات له اصول تشبه البصل .

(٢) م . ن ٢/ ١٤٤ . الابرام : اللئام ، نرتق : نصلح .

ألا ابلغا فهـراً على نأي دارها   وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب   صبرنـا ورايات المنية تخفق
صبرنا لهـم والصبـر منـا سجيّة   إذا طارت الأبرام نسمـو ونرتق
لنـا حومـة لا تستطـاع يقودها   نبـي اتـى بالحـق عفٌ مصدق
الا هل أتى أفناء فهر بن مالك   مقطـع اطـراف وهـام مفلّق

وطريقة المقابلة :ان يضع الشاعر ازاء كل ما يدعيه الشاعر الاول من مفاخر ما يقابله .

فلما افتخر ابو سفيان بن حرب بتقتيل المسلمين في احد ، وقال : [1]

وسلّي الـذي قد كان في النفس انني
قتلـت من النجّـار كلَّ نجيب
ومـن هاشـم قرمـا كريمـا ومصعبا
وكان لدى الهيجـاء غـير هيوب
ولـو اننـي لم اشف نفسي منهم
لكانـت شجـا في القلـب ذات ندوب

تصدّى له حسان سالكا طريقة المقابلة وراح يعدّد من قُتل من اشراف قريش في بدر ، مقابلـة لمن ذكر ابـو سفيان من كبـار المسلمـين . قال : ـ

ذكرت القروم الصيِّد من آل هاشم
ولسـت لزور قلتـه بمصيب
أتعجـب أن أقصـدت حمـزة منهمُ
نجيبـا وقـد سميّتـه بنجيب

(١) الطبري ٢/ ٥٢٣ . القرم والمصعب : الفحل الكريم من الابل يريد به حمزة .

ألـم يقتلـوا عمـرا وعتبـة وابنه
وشيبـة والحجـاج وابـن حبيب
غداة دعـا العـاصي علياً فراعه
بضربـة عضـب بلّـه بخضيب

وطريقة التهديد والوعيد والشماتة : يهدد فيها الشاعر وقومه ، ويشمت بما ينزل بهم من مصائب ونكبات :

ومثاله حين فخر هبيرة بن ابي وهب بانتصار المشركين في أحد ، وبتقتيل المسلمين ، بعد تجميع قريش القبائل العربية ضدهم فقال :

سقنا كنانة من اطراف ذي يمن — عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة : أنى تذهبون بنا ؟ — قلنا : النخيل،فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الحر من أحد — هابت معدٌ فقلنا نحن نأتيها
ثُمَّت رحنا كأنا عارض برد — وقام هام بني النجار يبكيها

فأجابه حسان بن ثابت سالكا طريقة التهديد والوعيد ، فكثرة العدد ، والجموع التي خاض بها هبيرة ، جعلها كعب سبة عليهم ، لانهم اوردوها حياض الموت في الدنيا ، ومصيرها النار في الآخرة . قال : ـ

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم
الى الرسول فجند الله مخزيها
اوردتموها حياض ضاحية
فالنار موعدها ، والقتل لاقيها (١)

(١) ابن هشام ٢/ ١٣١

وطريقة القلب : ان يقلب الشاعر المعاني على قائلها .

ففي بدر توعد ضرار بن الخطاب المسلمين بجولة اخرى ، وانكر على الانصار الفخر بالانتصارات التي حققها المسلمون ، محاولا ان يعلل الانتصار بوجود قيادة الرسول (ص) ومن معه من المهاجرين ، وهم من قريش . فقال :

فان تكُ قتلى غودرت من رجالنا		فانا رجال بعدهم سنغادر
ووسط بني النجار سوف نكرها		لها بالقنا والدار عين زوافر[1]

الى ان يقول : ـ

فإن تظفروا في يوم بدر فإنما
باحمد ، أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم اولياؤه
يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعدُّ أبو بكر وحمزة فيهم
ويدعى عليٌّ وسط من انت ذاكر
ويدعي ابو حفص وعثمان منهم
وسعد اذا ما كان في الحرب حاضر
اولئك لا من نتَّجت في ديارها
بنو الأوس والنجار حين تفاخر

فتناول كعب بن مالك هذين المعنيين ، وسلك في نقض المعنى الاول سبيل التكذيب ، اذ جمع المشركون في بدر ، وحشدوا كل ما

(١) زوافر : حاملات الثقل

استطاعوا ومع ذلك كان النصر حليف المسلمين فعلام هذا الادعاء الكاذب والضجيج الصاخب الذي اثاره ضرار ؟ فقال : ـ

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً
بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسلك لنقض المعنى الثاني سبيل القلب ، ففخر بالرسول (ص) ، وبتأييد الانصار له ، وعير قريشا بالصد عن سبيل الهداية ، والتولي عن الاستجابة لما دعاهم الرسول من الخير والحق : ـ

وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يمشّون في الماذيّ والنقع ثائر(١)

وبعد ان فخر بشجاعة المسلمين النادرة ، واقدامهم الشجاع قال : ـ

وكان رسول الله قد قال : اقبلوا ... فولّوا وقالوا : انما انت ساحر(٢)

وقد تطور فن النقائض في العصر الاموي ، حتى وصل الى اوجه على ايدي جرير والفرزدق و الاخطل والراعي النميري ، بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية ومع ذلك فلم يخل من التأثر بالاسلام والاقتباس من معاني القرآن ومفاهيمه الجديدة . كقول الفرزدق في احدى نقائضه : ـ

(١) الماذي : الدروع اللينة . والنقع الغبار .

(٢) ابن هشام ٢/١٣

ولســت بمأخــوذ بلغــو تقوله اذا لم تعمّـد عاقـدات العزائم

فانه قد افاد من قوله تعالى :

« لا يؤ اخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يؤ اخذكم بما عقدتم الأيمان »

ومن نقائض الفرزدق لجرير قوله : [1]

ضربــت عليك العنكبــوت بنسجها
وقضى عليك به الكتــاب المنزل

نظر في معنى البيت الى قولـه تعـالى « وان أوهـن البيوت لبيت العنكبوت »

واستغل جرير نصرانية الاخطل في نقائضه له ، لينفـذ من ذلك الى التعيير ، حيث يقول له : [2]

رجس يكون اذا صلّــوا اذانهم
قــرع النــواقيس لا يدرون ما السّور
ومــا لتغلــب ان عدّت مساعيها
نجــم يضيء ولا شمس ولا قمر
الضاحــكين الى الخنــزير شهوته
يا قبّحــت تلك افواهــا اذا كشروا
والمقرعــين على الخنــزير ميسرهم
بئس الجــزور وبئس القــوم اذ يسروا

(١) الديوان ٢/ ١٥٥

(٢) الديوان ١/ ١٥٧

ما كان يرضى رسـول الله دينهم
والطيّبـان ابـو بكر ولا عمر
جاء الرسـول بدين الحـق فانتكثوا
وهـل يضـير رسـول الله أن كفروا

ويسير على هذا النهج في كثير من نقائضه ، وكان يقول : اعنت عليه بكفره . ويقول ايضا : ـ
أعانتني عليه خصلتان : كبر سن ، وخبث دين .[1]

الرثاء :

من المعروف ان الشعراء يسلكون في رثائهم احدى ثلاث طرق هي : ـ

الندب : .وهو بكاء الفقيد ، فيئن الشاعر ويتفجع وتتفجر دموعه مدرارا ، وكأنها لا تريد ان تجفّ ، وتتدفق كلماته باكية حزينة ، ثم تنتظم أشعاراً تفيض بالحزن والألم .

التأبين : وهو ليس نواحاً ولا نشيجاً ، بل هو ادنى الى الثناء منه الى الحزن الخالص ، فالشاعر فيه لا يعبّر عن أحزانه هو ، وانما يعبر عن أحزان الجماعة ، وما فقدته في هذا الفرد المهم من افرادهـا ، ولذلك يسجل فضائلـه ويلح في هذا التسـجيل ، وكأنـه يريد ان يحفرها في ذاكرة التاريخ حفرا ، حتى لا تنسى على مرّ الزمان .

العزاء : وتعني هذه الطريقة ان ينفذ الشاعـر من حادثـة الموت الفردية ، التي هو بصددها ، الى التفكير في حقيقة الموت والحياة ، وقد ينتهي به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة .[2]

(١) الاغاني ٨/ ٣٠٦
(٢) انظر الرثاء ص ٦

وقد رثى شعراء صدر الاسلام من فقد منهم في السلم او الحرب ، وسلكوا كل هذه الطرق ، ولكن حظ مراثيهم من طريقة العزاء كان قليلا ، مع ان الاسلام قد وجههم اليها ، وحثهم على سلوكها ، لأن الحياة في نظره ظل زائل ، وعلى المسلم ان يقبلها كما هي ، دار فناء وانتقال ، والانسان اضعف من ان يغير سنة الله في الكون ، فلتقم نظرته على التسليم بقضاء الله وقدره وليصبر على الاختبار احتسابا وطلبا للأجر . قال تعالى : « . . . . وبشّر الصابرين ، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون »[1]

وقد تغيّرت بعد الاسلام مناقب التأبين ، وتبدلت الشمائل التي يعددها الشعراء في مراثيهم ، اذ أخضعوها للمقاييس الاسلامية الجديدة ، فتحدثوا بسيرة لم تكن تعرفها الجاهلية . فيها المجد والتقوى والايمان ، وفيها الخير والبر والوفاء وفيها الرحمة والهداية والنقاء ، وبهذه المآثر الكريمة والمناقب الأصيلة ، كانت مصيبة الشاعر حسان في فقد رسول الله (ص) ، وانتقاله الى الملأ الأعلى ، حيث رثاه بقوله مؤ بناً :[2]

بالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل النبي رسول الرحمة الهادي
ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد
أوفى بذمة جار او بميعاد

(١) سورة البقرة آية ١٥٥ ـ ١٥٧

(٢) الديوان ٢٠٨ والجادي : طالب المعروف

من الـذي كان نوراً يستضـاء به
مبـارك الأمـر ذا حزم وارشاد
مصدّقـا للنبيين الأُلى سلفوا
وأبـذل النـاس للمعـروف للجادي

وينتقل خليفة رسول الله (ص) ابو بكر الصديق الى جوار ربه ، فيسيل الشعر على لسان الشعراء مؤ بنـا إياه ، بخصالـه الكريمـة ، ومناقبه الفاضلة ، ويقول حسان : ـ(١)

اذا تذكرت شجـواً من اخـي ثقة
فـاذكر اخـاك ابـا بكر بمـا فعلا
خـير البـرية اتقاهـا واعدلها
بعـد النبـي واوفاهـا بمـا حملا
والثانـي الصـادق المحمـود مشهده
واول النـاس منهـم صدّق الرسلا
عاش حميداً لأمـر الله متّبعاً
بهـدي صاحبـه الماضي ومـا انتقلا

وتمتد يد مجوسية حاقدة لتغتال عمر بن الخطاب ، فيرثيه الشمّاخ بن ضرار الغطفاني ، ويؤ بنه بمناقب اسلامية خالصة ساس بها المسلمين ورعى امورهم فيها بالعدل : ـ(٢)

جزى الله خيراً من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزّق
فمن يجر او يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدّمـت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائـج في أكمامهـا لم تفتّق

(١) الديوان ٢١١ .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٤٦٥، البوائج : جمع بائجة ، وهي الداهية .

ويسقط عثمان بن عفان شهيداً ، نتيجة خطأ في فهم قتلته ، وسوء في التقدير،فيتوارد الشعراء على تأبينه بمحامده الاسلامية ومناقبه الدينية فقال حسان : [1]

إنـــي رأيت امـــين الله مضطهداً
عثمان رهنـــا لدى الأجـــداث والكفن
يا قاتـــل الله قومـــا كان شأنهم
قتـــل الامـــام الأمـــين المسلـــم الفطن
ما قتلـــوه على ذنـــب الـــمّ به
إلا الـــذي نطقـــوا إفـــكاً ولـــم يكن
إذا تذكرتـــه فاضـــت بأربعة
عينـــي بدمـــع على الخـــدين محتتن

ويستشهد علي بن ابي طالـب ـ كرم الله وجهـه ـ فينهض الشعـراء يؤ بنونه بما فقدوا من اخلاقه الاسلامية ، وخصاله الدينية الخـيرة ، فهو حبّ رسول الله ، وخير قريش حسبا ودينا ، يقيم الحقّ ، ويحكم بالعدل ، ويفيض بالعلم ، ولا يتبختر تباهياً ، كما يقول ابو الاسود الدؤ لي : ـ[2]

أفي شهـــر الصيام فجعتمونا بخـــير النـــاس طراً أجمعينا ؟
فكل مناقـــب الخـــيرات فيه وحـــب رســـول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت بأنـــك خيرهـــا حسبـــا ودينا
وكنـــا قبـــل مقتلـــه بخير نرى مولى رســـول الله فينا
يقيم الحـــق لا يرتـــاب فيه ويعـــدل في العـــدا والأقربينا

(١) الديوان ٢١٣ ، محتتن : متتابع

(٢) الاستيعاب ٣/ ٦٦

وليس بكاتـــم علماً لديه ولـــم يخلــق من المتجبرينا

وهكذا كان يعرض الشعراء مآثر المرثي الدينية ، ويسجلون مناقبه الاسـلامية الجـديدة ، وهـو تطـور طرأ على شعـر الرثـاء في صدر الاسلام ، وامتد الى اشعار الرثاء في العصر الاموي ايضا ، ويتضح ذلك اكثر في اشعار الخوارج ، كقول عيسى بن فاتـك يؤ بـن قتلى الخوارج :[1]

ألا في الله لا في الناس شالت بداود واخوتـه الجذوع
مضـوا قتـلا وتمزيقـا وصلبا تحـوم عليهـم طـير وقوع
اذا ما الليل اظلـم كابدوه فيسفـر عنهـم وهـم ركوع
أطـار الخـوف نومهـم فقاموا واهـل الأمـن في الـدنيا هجوع
يعالـون النحيب اليه شوقا وان خفضـوا فربهـم سميع

ومع ما قلناه من قلة المراثي التي تمثلت منهج الاسلام عنـد حدوث المصائب وتوجيهه في مواجهة مصيبة الموت بالصبر والرضا بقدر الله وقضائه ، فقـد وصلـت الينـا بعض المراثـي المتأثـرة بهـذا التـوجيه السامي ، ولعل قصيدة أبي ذؤ يب الهذلي في رثاء ابنائه الخمسـة ، الذين صرعهم الوباء مرة واحدة ، ما يمثل هذه الطريقة ، التي تقوم على الرضا بقضاء الله ، والتسليم والتفويض اليه ، والايمان بحتمية الموت حيث يقول :[2]

أودى بنــيّ واعقبونــي غصّة بعـد الرقـاد ، وعبـرة لا تقلع
ولقـــد أرى أن البــكاء سفاهة ولسوف يولع بالبـكا من يفجع

---

(١) شعر الخوارج ١٢

(٢) ديوان الهذليين ١/ ١

سبقـوا هويّ وأعنقـوا لهواهم | فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب | وإخال أني لاحق مستتبع [1]
ولقد حرصت بأن ادافع عنهم | فإذا المنية أقبلت لا تدفع
واذا المنية أنشبت أظفارها | ألفيت كل تميمة لا تنفع
والدهر لا يبقي على حد ثانه | جون السراة له جدائد اربع [2]

وتشيع في مرثية الشاعر الأموي عبدالرحمن بن اسماعيل الملقب بوضاح اليمن ، روح السماحة والرضا ، والصبر على قضاء الله وقدره ، والايمان بفناء كل حي : [3]

سأصبر للقضاء فكل حي | سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها | يلفّ ختامها سوقاً بسوق

وعندما رثى الشاعر محمد بن خالد بن الوليد عمر بن عبدالعزيز جسّد اسلوب الاسلام في عزائه ، حيث تحدث عن فناء الدنيا ، واستحالة الخلود ، وعن الأجل المكتوب ، وذكّر بمن ذهب من الملوك ليستخلص الأحياء منهم العبرة ، لأنهم على طريقتهم سائرون وبهم لاحقون قال : ـ

هل في الخلود الى القيامة مطمع
ام للمنون عن ابن آدم مدفع
هيهات ما للنفس من متأخر
عن وقتها لو أن علما ينفع

(١) غبرت : بقيت . ناصب : متعب

(٢) يريد حمار الوحش . والجون : الاسود . والسراه : اعلى الظهر . جدائد : أتن
وقد اعتبر الشاعر في حدثان الدهر بحمار الوحش ، لما ذكروا من انه يعمر مائتي سنة او اكثر

(٣) الأغاني ٦/ ٢٩٩

أين الملــوك وعيشهــم فيما مضى
وزمانهـــم فيه ومــا قد جمّعوا
ذهبــوا ونحــن على طريقــة من مضى
منهـــم فمفجـــوع به ومفجّع
عثـــر الزمـــان بنـــا فأوهـــي عظمنا
إن الزمـــان بمـا كرهنـا مولـــع [1]

وظهر لون جديد من الرثاء لم يألفه الشعر العربي من قبل ، هو رثاء الشهداء، فقد صور الشعراء القتل بيد الاعداء هو الشهادة التي طالما كان المقاتلون يحلمون بها ، وهي الغاية التي يجاهد المؤمنون للوصول اليها ، وهي اصدق استجابة لدعوة الله المؤمنين الى الجنة .

قال حسان يرثي حمزة بن عبدالمطلب الذي استشهد في أحد : ـ[2]

أسائلـة أصحـــاب أحــد مخافة ... بنـات ابـي من اعجـم وخبير
فقلت لهـا : ان الشهـادة راحة ... ورضـــوان ربّ يا أمـــام غفور
فانّ ابـاك الخـير حمــزة فاعلمي ... وزير رســول الله خـيـر وزير
دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة ... إلى جنـــة يرضى بهــا وسرور
فذلك ما كنـــا نرجّـــي ونرتجي ... لحمــزة يوم الحشر خـير مصير

ومن الجديد الذي لم نألفـه في الرثـاء الجـاهلي ، ان يرثـي الشاعـر نفسه ، وان يبكيها بعد ان يصاب بجروح قد تقربه من نهايته .

وقد وصلت الينا قصائد رائعة من هذا الرثاء ، من ذلك قصيدة الشاعر مالك بن الريب التميمي الذي مرض في مدينة (مرو) من

(١) معجم الشعراء ٣٤٥
(٢) الديوان ١٨٦

أرض فارس ، وهو في جيش المسلمين لتحرير الفرس من العبودية . وأحس بالموت ، فقال قصيدته ، يرثي نفسه ، وهي من غرر الشعر العربي ، وعدتها (٥٨) بيتا ، تفيض بالمشاعر الاسلامية ، وتكاد تقطر رقة وعذوبة ، ولكنها تعبر عما كان يحس به أبناء الصحراء العربية من الغربة والابتعاد عن مواطنهم ، وهم يسيحون في أقطار الأرض ، لتحرير البشرية من الكفر والشرك والطغيان والظلم ، وتعبر عما كان يعانيه ابناء العروبة من ازمة نفسية وهم ينتقلون من حضارة قديمة الى حضارة جديدة وبيئات جديدة ، ومطلعها : ـ

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا

ومنها قوله مصوراً لحظات الموت الأخيرة ، وهو ينقل الينا بأمانة ما يدور بينه وبين المحيطين به ، وهو يقابل مأساة الموت ، ويحس بالنهاية المحتومة : [١]

ولما تراءت عند مرو منيتي
وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقولُ لأصحابي ارفعوني فانه
يقرّ بعيني ان سهيل بداليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية اني مقيم لياليا
أقيما عليّ اليوم او بعض ليلة
ولا تعجلاني قد تبينّ شانيا

---

(١) شعراء أمويون ١/ ٤١

وقومـا اذا ما استـلّ روحـي فهيِّئا
لي السّـدر والأكفـان عنـد فنائيا
وخطّـا بأطـراف الأسنـة مضجعي
وردّا على عينـيّ فضـل ردائيا
ولا تحسدانـي بارك الله فيكما
من الأرض ذات العـرض أن توسعـا ليا
خذانـي فجرانـي بثوبـي اليكما
فقـد كنـت قبـل اليوم صعبـاً قياديا

وهي تسـير على هذه الطريقـة من المحـاورة المحكمـة النسـج ، والصور الموحية ، والأفكار المؤلمة ، الى ان يقول في آخرها مصـوراً غربته الموحشة ، وتشوقه الى بيئته ، واهل بيته : -

غريب بعيد الـدار ثاوٍ بقفرة
يد الدهـر معروفـاً بأن لا تدانيا
اقلِّـب طرفي حول رحلي فلا أرى
بـه من عيون المؤنسـات مراعيا
وبالرمـل منـا نسـوة لو شهدنني
بـكين وفـدّين الـطبيب المداويا
ومـا كان عهـد الرمـل عنـدي وأهله
ذميماً ولا ودعـت بالرمـل قاليا
فمنهـنّ امـي وابنتـاي وخالتي
وبـاكية اخـرى تُهيج البواكيا

ومثل هذا اللون من الرثاء قصيدة الشاعر كثير بن الغريزة النهشلي ،

في رثـاء شهـداء المسلمـين بمعـارك الطالقـان وجوزجـان من ارض فارس ، في عهد عمر بن الخطاب حيث اودعها رثاء رائعاً لنفسه ، عندما احس بدنو اجله ، بعد ان افتقد اصحابه من الشهداء وهـو متأكد من حتمية الموت ، منها : ـ[1]

فلا تستبعـدا يومـي فاني ... سأوشـك مرة ان تفقداني
ويدركنـي الـذي لا بد منه ... وإن اشفقت من خوف الجنان
وتبكينـي نوائـح معولات ... تركن بدار معتـرك الزمان
حبـائس بالعـراق منهنهات ... سواجي الطرف كالبقـر الهجان
اعاذلتـيّ من لوم : دعاني ... وللرشـد المبـيّن فاهدياني
وعاذلتـيّ صوتـكما قريب ... ونفعـكما بعيد الخـير وانِ
فردا الموت عنـي ان اتاني ... ولا وأبيكما لا تفعلانِ

فهو يختم قصيدته بخلاصة فلسفة الشاعر في موقفه من الموت ، وهي فلسفة الاسلام ، ونظرته الى حقيقة الموت ، واحقية وقوعه .

وثمة لون جديد من الرثاء استحدثته الحياة الاسلامية الجديدة وما ساد فيها من مفاهيم الدين الاسلامي ، حيث كان يرثـي الشعـراء المسلمون ما يفقـدون من اعضـاء جسدهـم في ساحـات القتـال ، ومعارك الفتح ، وهو رثاء مفعـم بالاستهانـة بفقـد تلك الأعضـاء واحتسابها في سبيل الله ، والفخر بما اوقعت بالأعداء قبل فقدها .

فلما فقد عثمان بن مظعون عينه من لطمة اودت بها ، قال : [2]

فان تك عيني في رضا الربّ نالها ... يدا ملحد في الـدين ليس بمهتد

(١) الأغاني ١١/ ٢٧٨ (طبعة الدار)
(٢) حلية الأولياء ١/ ١٠٤

فقد عوّض الرحمن عنها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

وقطعت رجل عبيدة بن الحارث في معركة بدر ، فاحتسبها في سبيل الله ، وعدها وسيلته للوصول الى مبتغاه ، وهو الجنة ، ليسعد فيها ، ويعيش بهناء ، اذ قال : [1]

فان تقطعوا رجلي فانيَ مسلم
أرجّي بها عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت
مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرّقت صفوه
وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منّه
بثوب من الاسلام غطّى المساويا
وما كان مكروها اليّ قتالهم
غداة دعا الأكفاء من كان داعيا

وفي فتح بلاد فارس يُطعن علباء بن جحش العجلي في بطنه ، وتندلق امعاؤه فلا يجزع ، ولم يتردد، ودفع بها الى داخل بطنه ، وانشد وهو يجود بانفاسه الأخيرة : [2]

أرجو بها من ربنا ثوابا قد كنت ممن احسن الضرابا

ويفقد المهلب بن ابي صفرة عينه اثناء فتح سمرقند ، فيرثيها باسلوب اسلامي جديد ، نحس به عمق الايمان وصدق اليقين ، فيقول : [3]

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٤

(٢) الطبري ٥/ ٢٣١٠ (الأوربية)

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٤٣٤

إذا ذهبت عيني لقد بقيت نفسي
وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسى
إذا جاء امر الله اعيا حيولنا
ولا بدّ ان تعمى العيون لدى الرمس

واخيرا فمما تميز به اسلوب الرثاء بعد الاسلام وفي العصر الاموي ، ما يردد الشعراء من مصطلحات اسلامية جديدة في غمرة رثائهم ، مثل صلاة الله وسلامه على المتوفى . او صلاة الملائكة والمؤمنين وسلامهم عليه .

وقد انتشرت هذه الظاهرة في بداية عصر الرسالة ، فقال حسان وهو يرثي حمزة : ـ[1]

صلى عليك الله في جنة عالية مكرمة الداخل

وكرر ذلك في رثاء شهداء الرجيع : ـ

صلى الاله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

وقال كعب بن مالك في رثاء شهداء مؤتة : [2]

صلى الاله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

ويتضح هذا الاتجاه في رثاء الشعراء رسول الله (ص) اكثر من أي رثاء آخر كقول صفية بنت عبدالمطلب : ـ[3]

---

(١) الديوان ٢٢١ و ١٧٣

(٢) الديوان ١٦٧

(٣) الاستيعاب ١/ ١٤

أفاطم صلى الله رب محمد على جدث أمسى بطيبة ثاويا

وقول ابي بكر الصديق : ـ[1]

فصلى المليك ولي العبا د وربّ البلاد على أحمد

وواصل شعراء العصر الاموي هذا الاتجاه في رثائهم ، فقال جرير يرثي زوجته : [2]

صلىّ الملائكة الذين تخيّروا والصالحون عليك والأبرار
وعليك من صلوات ربك كلما نصب الحجيج ملبّدين وغاروا

وقال محارب بن دثار يرثي عمر بن عبدالعزيز : ـ[3]

سلام الله والصلوات منه على عمر ترحن وتغتدينا

وقال مالك المزموم يرثي زوجته أم العلاء : ـ[4]

صلى الإله عليك من مفقودة إذ لا يلائمك المكان البلقع

ومع سلوك الشعراء كل طرق الرثاء المعروفة ندباً وعزاءً وتأبيناً فانهم طوروا الرثاء فيما اوردوا من مناقب اسلامية جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل .

وتمثل بعض الشعراء روح الاسلام وتوجيهاته عند نزول المصائب ووقوع الرزايا ، فوصلت الينا مراث نحس فيها سماحة الاسلام وروح الرضا والصبر والطمأنينة التي أشاعها الايمان الجديد في نفوس أتباعه .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٩
(٢) الديوان ٢/ ٨٦٤
(٣) اخبار القضاة ٣/ ٣٣
(٤) شعر الخوارج ٦٠

الشعر التأريخي :

سبق أن تحدثنا في مقدمة الكتاب عن مكانة الشعر عند العرب قبل الاسلام وبعده ، وتبين لنا بأن العرب قد فطروا على حب الشعر وقوله ، وهم لا يستطيعون الاستغناء عنه كما قال الرسول (ص) : لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين .

والشعر هو العلم الذي لم يكن للعرب علم اصح منه ، كما قال عمر بن الخطاب ، ولولاه لضاعت كثير من الأحداث وطمست العديد من مناقب الرجال ومفاخرهم ، وقد قيل : «لولا الشعراء ما عرف جود حاتم ، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان ، واولاد جفنة ، وانما اشاد بذكرهم الشعر » .[1]

فهو اذن الكتاب الجامع لتأريخ العرب ، والمسجل لكل احداثهم ، والشاهد العدل على كل تصرفاتهم ، يحفظونه في صدورهم ، ويروونه عن اسلافهم الى ابنائهم ، ولذلك قالوا :[2] لمّا رأت العرب المنثور يندّ عليهم ، وينفلت من ايديهم ، ولم يكن لهم كتاب يتضمن افعالهم ، تدبروا الأوزان والأعاريض ، فأخرجوا الكلام احسن مخرج ، بأساليب الغناء ، فجاءهم مستويا ، ورأوه باقيا على مرّ الأيام ، فألفوا ذلك وسمّوه الشعر .

فلا غرابة ان نجد بعد ذلك الشعر الاسلامي سجلا لأحداث المجتمع الجديد ، ووثائق صدق لتاريخ هذه الأمة المجيدة في ازهى عصورها وفي احلك ساعاتها ، لا يترك حادثة ذات شأن وتأثير في

---

(١) المتع في علم الشعر وعمله ٢٤ .

(٢) م . ن

مجرى التاريخ الاسلامي الا سجلها .

ومن هنا كانت كتب التاريخ زاخرة بالأشعار المعبرة عن المواقف والاتجاهات ازاء الأحداث .

فكتاب السيرة النبوية ، وهو يبحث في موضوع خاص هو سيرة رسول الله (ص) فقط ، دون التطرق الى موضوعات التأريخ العام ، هذا الكتاب يضم بين صفحاته اكثر من (٨٥٠) قصيدة ومقطوعة شعرية لما يربو على (٣٢٠) شاعرا .

ولو احصينا ما في كتب التاريخ الاسلامي العام لوجدنا اضعاف هذه الاعداد ، اذ كان المؤرخون يتبعون كل حدث تأريخي بمجموعة كبيرة من الاشعار التي أنشدت في مناسبة ذلك الحدث توثيقا له ، وتوضيحا لجميع جوانبه .

وتعد قصيدة الشاعر الاسلامي صرمة بن قيس الأنصاري اشمل القصائد التي ارخت للدعوة الاسلامية باسلوب تاريخي وفني رفيع ، حتى ان عبدالله بن عباس ، الذي كان يلقب بـ (حبر الأمة) لسعة علمه ، كان يختلف الى الشاعر الانصاري يتعلم منه تلك القصيدة التي قال فيها : ـ(١)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في اهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا

(١) ابن هشام ١/ ٥١٢

فلما اتانا أظهر الله دينه
فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى
وكان له عونا من الله باديا
يقصّ لنا ما قال نوح لقومه
وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فاصبح لا يخشى من الناس واحدا
قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حلّ مالنا
وانفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم ان الله لا شيء غيره
ونعلم ان الله افضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلّهم
جميعا وان كان الحبيب المصافيا

وهي تسير على هذا النهج الدقيق في استقصاء الأحداث ، وسرد الوقائع باسلوب يمتزج بالعاطفة الدينية والفخر الاسلامي الجديد .

كما حاول الشعراء استقصاء غزوات الاسلام الاولى واحصاءها ، فنظم حسان بن ثابت ويقال : ابنه عبدالرحمن ، قصيدة طويلة استقصى فيها تلك الغزوات في معرض فخره بقومه الأنصار ، الذين شهدوا جميع تلك الغزوات وأبلوا فيها بلاء حسناً ، قال في تلك القصيدة : [1]

(١) ديوان حسان ٣٩٤ .

ألســت خــير معــد كلهــا نفرا
ومعشراً ان هم عمّــوا وإنْ حصلوا
قوم هم شهــدوا بدراً بأجمعهم
مـع الرســول فما آلــوا ومــا خذلوا
وبايعــوه فلـــم ينــكث به أحد
منهـــم ،ولـــم يك في إيمانهـــم دخل
ويوم صبّحهـــم في الشعـــب من أحد
ضرب رصـــين كحـــرٍّ النـــار مشتعل
ويوم ذي قرد يوم استثـــار بهم
على الجياد فما خامـــوا ولا نكلوا
وذا العشـــيرة جاسوهـــا بخيلهم
مـع الرســول عليهــا البيض والأسل
ويوم ودّان أجلــوا اهلــه رقصا
بــالخيل حتـى نهانــا الحــزن والجبل
وغــزوة يوم نجــد ثم كان لهم
مـع الرسـول بهــا الأســلاب والنفل
وليلــةً بحنــين جالــدوا معه
فيهــا يعلّهـــم بالحــرب اذ نهلوا
وغــزوة القــاع فرّقنــا العدوّ به
كما تفــرق دون المشرب الرّسل
وغــزوة الفتــح كانــوا في سريته
مرابطــين فما شاطــوا ومــا عجلوا

ويوم خيبر كانوا في كتيبته
يمشون كلهم مستبسل بطل
ويوم سار رسول الله محتسبا
الى تبوك وهم راياته الأول

وهكذا يستمر في تعداد الايام الاسلامية . فكان شعره وثيقة صادقة لأحداث تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام . وفي كتب السيرة والتاريخ عشرات القصائد الطويلة التي قيلت في كل غزوة من تلك الغزوات ، وأتت على تفصيلاتها حيث كان الشعراء من ابطالها المشاركين فيها بأسنتهم وألسنتهم ، فكانت أشعارهم أصدق شاهد على مجرياتها واحداثها .

وأجتزىء من قصيدة كعب بن مالك الأنصاري ، التي قاربت الخمسين بيتا بعض الصور التي رسمها لوصف معركة احد ، حيث مزج الشاعر فيها بين المفاهيم الاسلامية الجديدة ، والموروث الفني القديم ، الذي تأصل لدى الشعراء في صورهم وتعبيراتهم ، حيث قال : ـ[1]

وقال رسول الله لما بدوا لنا ذرواعنكم هول المنيّات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا الى ملك يُحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا اسيافكم وتوكلوا على الله ان الأمر لله اجمع
فسرنا اليهم جهرة في رحالهم ضُحيًا علينا البيض لا نتخشع
فجئنا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنّع
ثلاثة آلاف ونحن نصيَّة ثلاث مئين إن كثرنا وأربع[2]

(١) ديوان كعب ٢٢٤

(٢) نصية : الخيار من القوم

فلما تلاقينـا ودارت بنـا الرحى وليس لأمـر حمّـه الله مدفع
ضربناهـم حتـى تركنـا سراتهم كأنهـم بالقـاع خشـب مصرع
لدن غدوة حتـى استفقنـا عشية كأن ذكانـا حرّ نار تلفّع
فنلنـا ونـال القـوم منـا وربما فعلنـا ولـكن ما لدى الله أوسع
ودارت رحاناواستـدارت رحاهم وقدجعلـواكلّ من الشر يشبع(١)

***

شددنـا بحـول الله والنصر شدّة عليكم واطـراف الأسنـة شرّع
تكر القنـا فيكم كأنّ فروعها عزالى مزاد ماؤه يتهزّع
عمدنا الى اهل اللـواء ومـن يطر بذكر اللواء فهو في الحمد اسرع
فخانـوا وقـد اعطـوا وتخاذلوا ابـى الله إلا أمـره وهـو أصنع(٢)

وهـي طويلـة تسـير على هذه الوتـيرة من الحماس البطـولي المتدفـق المتحصن بروح العقيدة ، والملتزم بالفكر الاسلامي الرشيد ، بحيث استطاع الشاعر ان يرسم لنا صورة فنية رائعة لتلك المعركة وينقلنا الى جو القتال الذي كان يعايشه بنفسه .

وفي اثناء مراحل الصراع الطويل المرير بين المسلمين والمشركين ، وقبل ان يتحقق النصر النهائي للمؤمنين ، صادف الاسلام الكثير من العثرات ، وجوبه المسلمون بصور متعـددة من الغـدر والخيانـة ، فسقط عشرات من الضحايا في طريق المسيرة الطويلـة الشاقـة قبـل الوصول الى الهدف الاخير .

ومن صور الغدر والخيانة التي تحدث عنها شعـر تلك الفتـرة ما

(١) ذكانا : اشتعال نار حربنا . وتلفع : يشتمل حرها على من يدنو منها

(٢) الفروع : الطعنات المتّسعة . وعزالى : جمع عزلاء وهي فم السقاء . يتهزع : يتقطع .

حدث للصحابي الشهيد خبيب بن عدي الأنصاري ، حيث قدم بعد غزوة احد ، رهط من قبيلتي عضل والقارة ، وقابلوا رسول الله (ص) ، وقالوا له : يا رسول الله ان فينا اسلاما ، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث معهم نفرا من اصحابه ، فيهم خبيب ، حتى اذا كانوا على الرجيع غدروا بهم ، وخرجوا بخبيب حتى اذا جاؤ وا الى التنعيم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى اركع ركعتين فافعلوا ؟ قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين اتمهما واحسنهما ، ثم اقبل على القوم فقال : أما والله ، لولا ان تظنوا اني انما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة فلما اوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً .

ثم قتلوه وقتلوا بعده بقية النفر الذين معه . وقد أنشد خبيب قبيل استشهاده ابياتا رقيقة تفيض بالايمان، ووصف مؤ رخاً ما جرى له بالتفصيل فقال : ـ(1)

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم يبدي العداوة جاهداً عليّ لأنني في وثاق بمضيع
وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم وقُربت من جذع طويل ممنع
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب لي عندمصرعي
فذاالعرش صبّرني على مااصابني فقدبضّعوالحمي وقدضل مطمعي

(1) ابن هشام ٢/ ١٧٢ و ١٨٣ وأسد الغابة ٢/ ١٠٤

وذلك في ذات الالـــه وإن يشأ يبارك على اوصـال شلـو ممزع[1]
وقد عرضوا بالكفـر والموت دونه وقد ذرفت عيناي من غـير مدمع
ومـا بي حذار الموت انـي لميّت ولـكن حذاري حرنـار تلفع
فلســت بمبــدٍ للعــدوّ تخشعاً ولا جزعاً ، اني الى الله مرجعي
ولسـت أبـالي حـين اقتـل مسلما على أيّ جنب كان في الله مصرعي

وهكذا عبّرت هذه الابيات عن عمق ايمان الشاعر ، ورباطة جأشه ، واعتصامه بالله في ادق الظروف واحرج المناسبات ، فلم يرض لنفسه المساومة ولم يتنازل عن عقيدته انملة ، وظلت عقيدته السور الذي يحميه في لحظاته الأخيرة وهو يودع الدنيا ، ويقابل رباً كريما ، وهذا امر يثير العجب ، ويدعو الى الدهشة ، فكيف تمكنت العقيدة من قلب هذا الشاعر وسيطرت على تفكيره بمثل هذه الصورة التي رأيناها في أبياته ، وهو لمّا يزل في بداية مراحل الدعوة . انه الاسلام الذي غيرّ النفوس وصقـل الطبـاع ، وصـادف ارضـا خصبـة في معـادن العرب ، فكان خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام .

وتتوالى الأيام ، ويعم نور الاسلام ارجاء المعمورة بعـد ان ادّى رسول الله (ص) الأمانة ، وبلغ الرسالة بصدق وأمانة ، وتأتي آخر أيام الرسول (ص) ، فتتمكن الحمّى من جسده الشريف ، وتتصعد حرارتها في سائر اوصاله ، ثم تبـدأ قواه بالتـلاشي ، وتحـين ساعـة الأجل ، ثم تقع المصيبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضـت من ربيع الأول ، ويلحق الرسول (ص) بجوار ربه .

فتضجّ المدينة بالنشيج ، ويعلو البكاء في كل ارجائها ، وترتفع

(١) الشلو : البقية . الممزع : المقطع

اصوات الشعراء لتصور هول ذلك اليوم وتعبر عن لوعة المسلمين وحرقة افئدتهم بهذا المصاب الجلل ، وتصل الينا عشرات القصائد ، تؤ رخ لتلك المناسبة الحزينة ، نكتفي بنص قصير يصور تلك المصيبة ، ويؤ رخ للحدث الجلل الذي حل بالمسلمين . فقد قال حسان من قصيدة طويلة ـ (١)

تهيل عليه التـرب ايدٍ وأعين
عليه وقـد غارت بذلك أسعد
لقـد غيبـوا حلماً وعلماً ورحمة
عشية علّـوه الثـرى لا يوسَّد
وراحـوا بحـزن ليس فيهـم نبيّهم
وقـد وهنـت منهـم ظهـور وأعضد
يبـكون من تبـكي السماوات يومه
ومن قد بكته الأرض فالنـاس كمّد
فبيناهـم في ذلك النـور اذ غدا
الى نورهـم سهـم من الموت مقصد
فأصبح محمـوداً الى الله راجعا
يبـكيه حتى المرسـلات ويحمد[٢]
وأمسـت بلاد الحـرم وحشـا بقاعها
لغيبـة ما كانـت من الوحـي تعهد
قفـاراً سوى معمـورة اللحـد ضافها
فقيد يبـكيه بلاط وغرقد[٣]

(١) ديوان حسان ٣٧٨ (٢) المرسلات : يريد هنا الملائكة

(٣) ضافها : نزل بها . وبلاط : مستوٍ من الأرض . الغرقد : الشجر

ومسجــده فالموحشــات لفقده
خلاءٌ فيه مقــام ومقعد

وما كاد ينتهي الناس من تجهيز رفات رسول الله (ص) الطاهر حتى تتجه انظارهم الى سقيفة بني ساعدة وتتعلق قلوبهم بها ، حيث اجتمع وجوه المسلمين ليقرروا من يخلف رسول الله (ص) . وأوشكت الفتنة ان تعصف بوحدة المسلمين لاختلاف القوم داخل السقيفة ، لولا ان تداركتها ارادة الله وحكمة كبار الصحابة ، فاهتدوا الى مبايعة ابي بكر الصديق ، فاخمدت الفتنة في مهدها ولم يتخلف الشعر عن تصوير هذا الحدث ، فقد نهض الشعراء بواجباتهم وادلوا بدلوهم في هذا المقام ، فقال حسان بن ثابت مصوّراً ما حدث في ذلك اليوم : [1]

تنــادى سهيل وابــن حرب وحارث
وعكرمة الشانـي لنـا ابـن ابـي جهل
قتلنــا ابــاه وانتزعنــا سلاحه
فأصبــح بالبطحا اذل من النعل

***

أولئــك رهــط من قريش تبايعوا
على خطة ليسـت من الخطـط الفضل
واعجــب منهــم قابلــو ذاك منهم
كأنــا اشتملنــا من قريش على ذحل
وكلهــم ثان عن الحــق عطفه
يقول اقتلـوا الأنصـار بئس من فعل

---

(١) الاخبار الموفقيات ٥٨٥

فكان جزاء الفضــل منــا عليهم
جهالتهــم حمقــا ومــا ذاك بالعدل

وطبيعي كان حسان يمثل رأي الانصار في اجتماع السقيفة ، ويتبنى استحقاقهم الخلافة ، فبلغ شعر حسان قريشا ، فأمروا ابن ابي عزة الجمحي شاعرهم ان يجيبه ، فقال معبراً عن رأي المهاجرين :(١)

معشر الانصــار خافــوا ربكم واستجــيروا الله من شرّ الفتن
انـــي ارهــب حربــا لاقحاً يشرق المرضــع فيهــا باللبن
جرّهــا سعــد وسعــد فتنة ليت سعــد بن عباده لم يكن
ليس ما قدّر سعــد كائنا ما جرى البحـر ومـا دام حضن
ليس بالقاطــع منــا شعرة كيف يرجى خـير أمـر لم يحن
ليس بالمدرك منهــا ابداً غــير أضغـاث أمانـي الوسن

ولما اجمع المسلمون على مبايعة الصديق رأى الهاشميون في ذلك صرفاً للخلافة عن مستحقها علي بن ابـي طالـب ، وعبّر شاعرهـم عن ذلك ، مشيداً بفضائل الامام علي ، وماضيه في الاسلام فقال :(٢)

ما كنـت احسـب ان الأمـر منصرف
عن هاشم ، ثـم منها عن أبـي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم
واعلــم النــاس بالقــرآن والسنن
واقـرب النـاس عهــداً بالنبــي ومن
جبـريل عون له في الغســل والكفن

(١) الأخبار الموفقيات ٥٨٦

(٢) الاخبار الموفقيات ٥٨٠

ما فيه ما فيهـم لا يمتـرون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الـذي ردّهـم عنـه فتعلمه
هـا إنّ ذا غبننا من اعظـم الغبن

فبعث اليه الامام علي فنهاه ، وامره ألاّ يعـود ، وقـال : الـدين احبّ الينا من غيره .

وما إن تولى الخلافة ابو بكر حتى اطلت فتنة المرتدين برأسها ، فانتفضت اكثر القبائل العربية ، ولم يثبت على الاسلام غير قريش وثقيف والمدينة ، وكانت ردة العرب مختلفة ، فمنهـم من قال : لو كان نبياً ما مات ، ومنهم من قال : انقضت النبوة بموت محمد ، فلا نطيع احداً أبداً ، ومنهم من قال : نؤمـن بالله ونشهـد ان محمـداً رسول الله ، ونصلي ولكن لا نعطي اموالنا .[1]

وجهّـز الخليفـة الصـديق احـد عشر لواء لمحاربـة المرتـدين ، واستنفرت تلك الألوية من كانوا يمرون به من المسلمين ، وحقق الله النصر على ايدي تلك الألوية المؤمنة ، وهزمت فلول الردة والكفـر امام جحافل الحق ، لتختفي من الأرض العربية الى الأبد .

وكان من الطبيعي ان يواكب الشعر هذا الحدث الرهيب ، وان ينقل الشعراء ما كان يدور في مجتمعهم مفصلا ، فروى الشعـراء مواقف من ثبت على اسلامه في مجتمعات كانت تموج بالردة والكفر ، ومع ذلك صمدوا ولم يجرفهم ذلك التيار الهادر ، وتجلت بطـولات الشعراء في انكارهم على اقوامهم الـردة ، ووصمهم اياهـم بالكفـر

---

(١) انظر الفتوحات الاسلامية ص ٣

والغدر .

فحين ارتدت كندة ثبت منها رجال صادقون وفوا بما عاهدوا الله عليه ، وبينهم عدد كبير من الشعراء مثل ثور بن مالك وعبدالله بن زيد وعبدالرحمن بن حبيب، ومن شعراء بني عامر عبدالله بن خنيس وعمارة بن قريط وعبدالله بن مرة ، ومن شعراء بني اسد عبدالرحمن ابن الأزور وعبدالرحمن بن حبيش .

ان هؤلاء الشعراء ، وغيرهم كثير في القبائل المرتدة ، كانوا يمثلون طليعة الايمان الصادق ، وخلاصة الفكر الثاقب واصالة الوفاء الحق ، لعقيدتهم ولمصلحة قومهم . فقد كانت اشعارهم وثائق صادقة ، تروي بكل امانة ما دار من احداث في تلك المؤامرة التي استهدفت العقيدة والنظام .

والأشعار في تلك الحركة كثيرة جداً ، منها قصيدة زيد الخيل الطائي ، التي بعث بها الى الخليفة مصدرة بقوله :[1]

أمام أما تخشين بنت ابي نصر
فقد قام بالأمر الجلي أبو بكر
نجيّ رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصدّيق في معظم الأمر

وكان عمرو بن العاص اميراً على الأزد ، فاستأذن سادتهم في الرجوع الى المدينة خشية ارتدادهم عن الاسلام ، فوقف شاعر الأزد

(١) الاصابة ١/ ٥٥٦ ـ وانظر اشعار من ذكرنا من الشعراء في هذا المصدر ايضا ، حيث ترجم لهم جميعا .

مجفية بن النعمان العتكي ، معبراً له عن أصدق الاخلاص ، واعمق الفهم لروح الاسلام ، معربا في شعره عن مدى تمسكه بالاسلام ، وبسنّة النبي (ص) في حياته وبعد فراقه ، فأنشد قائلا :[1]

يا عمرو ان كان النبيّ محمد قد أتى الأمر الذي لا يدفع
فقلوبنا قرحى وماء دموعنا جار وأعناق البرية خضّع
يا عمرو إنّ حياته كوفاته فينا وننظر ما يقول ونسمع
فأقم فإنك لا تخاف رجوعنا يا عمرو ذاك هو الأعز الأمنع

ومن الأحداث التأريخية التي استأثرت باهتمام الشعراء وفجرت اشعارهم ، الفتنة التي اندلعت في اواخر ايام الخليفة عثمان ، تلك الفتنة التي ذهب ضحيتها الخليفة نفسه ، فقد وثب عليه الثائرون بعد ان حاصروه في داره اياما ، فغدروا به واغتالوه ظلما وعدوانا ، حفظ الشعر وقائع تلك الفتنة بكل تفاصيلها ، وسرد الشعراء مراحل تطورها بدقة .

فالشاعر كعب بن مالك الانصاري يصور لنا ما كان يدور في داخل الدار التي حوصر فيها الخليفة ومن معه من الصحابة المهاجرين والانصار ، حيث كان هؤلاء الرجال المحاصرون يريدون ان يقاتلوا الاعداء الذين حاصروهم ، ولكن الخليفة عزم عليهم ان لا يفعلوا وقال لهم : اعزم على كل من رأي لي عليه سمعاً وطاعة أنْ يكفّ يده ، ويلقي سلاحه ، وقال لأبي هريرة : -

عزمت عليك يا ابا هريرة إلا رميت سيفك ، فانما تراد نفسي ، وسأقي المؤمنين بنفسي ، يقول كعب مصوراً موقف الخليفة الشجاع

---

(١) الاصابة ٤/ ٣٤٥

المخلص ، الحريص على دماء المسلمين ، والمضحي من اجلهم :(١)

فكفّ يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لمن في داره : لا تقاتلوا عفا الله عن كلّ امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهم العـ ـداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير ادبر عنهم وولّى كادبار النعام الجوافل

ويؤرخ حسان بن ثابت جانبا آخر من تلك الفتنة ، فيصف خذلان الأنصار لعثمان ، وما عاناه عثمان من عنت ، وما سوف يلاقي القتلة من مطالبتهم بدماء قتلى الدار قال :(٢)

اتركتموه مفرداً بمضيعة تنتابه الغوغاء في الأمصار
لهفان يدعو غائبا أنصاره يا ويحكم يا معشر الانصار
هلاّ وفيتم عندها بوعودكم وفديتم بالسمع والأبصار
جيرانه الأدنون حول بيوته غدروا وربّ البيت ذي الأستار
ان لم تروا مدداً له وكتيبة تهدي اوائل جحفل جرّار
طاوعتم فيه العدو وكنتم لو شئتم في معزل وقرار
لا يحسبنّ المرجفون بأنهم لن يطلبوا بدماء اهل الدار

ويصوّر الشاعر حنظلة بن الربيع التميمي ، كاتب رسول الله (ص) ، نوايا الذين اشعلوا تلك الفتنة ، وانهم يريدون الانقضاض على نظام الحكم المتمثل بالخلافة حيث كانوا يريدون زوالها ، فهم لا يختلفون في ذلك عن اعداء الاسلام آنذاك من اليهود والنصارى ، فكل فريق منهم قد ضلّ الطريق الصحيح ، فقال :(٣)

---

(١) ديوان كعب بن مالك ٢٦٤

(٢) ديوان حسان ٢١٤

(٣) الطبري ٤/ ٣٨٦

عجبت لما يخوض الناس فيه يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها ذلاً ذليلا
وكانوا كاليهود او النصارى سواء كلّهم ضلّوا السبيلا

ويتولى الخلافة الامام علي ، وتندلع الحرب بين المسلمين يوم الجمل ، حيث خرجت السيدة عائشة راكبة جملا ، مطالبة بدم عثمان ، والاقتصاص من القتلة ، وتطورت الأمور وتعقّدت ، وحاول كثير من العقلاء الاصلاح ، فلم تفلح جهودهم ، واشتعلت الحرب بين الفريقين ، وسالت دماء المسلمين على ايدي المسلمين ، وكان الشعر العين الساهرة لتسجيل وقائع تلك الايام السوداء من تاريخ المسلمين ، ومن تلك الصفحات التأريخية التي حفظها الشعر ان محمد بن طلحة كان في جيش السيدة عائشة ، فجعل لا يحمل عليه احد الا حمل عليه وهو يردد : حَم لا ينصرون . فتقدم اليه احد انصار علي فطعنه طعنةً قاتلة ، ثم قال ابياتا مزج فيها بين رأي جماعته السياسي ، وبين ما عرف من تعاليم الدين ، حيث وصف ضحيته بالتدين وقلة الاذى للآخرين ، فالشاعر يعرض هنا الصراع النفسي الذي كان يعانيه المقاتلون ، لان الطرفين في القتال من المسلمين . يقول : (١)

وأشعث قوام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخرّ صريعا لليدين وللفم
يذكّرني حَم والرمح شاجر فهلا تلا حَم قبل التقدم
على غير شيء غير ان ليس تابعا علياً ، ومن لا يتبع الحق يندم

وما تكاد تنتهي ايام الجمل السوداء حتى تقرع وقعة صفين الدامية

(١) ن . م ٤/٥٢٦

ابواب الفتنة من جديد ، وتطول ايامها وتتوالي ضحاياها من الفريقين المسلمين ، وكلما طالت هذه الايام كانت تمدنا بأشعار جديدة تؤرخ احداثها وترسم صوراً لشراسة القتال فيها ، وقد كثرت فيها المراجزات والاشعار بصورة ملفتة للنظر ، ويزخر كتاب وقعة صفين لابن مزاحم بتلك الأرجاز والأشعار .

ومن الشعراء الذين برزوا في صفين قيس بن عمرو بن مالك النجاشي ، وكان من شعراء الامام علي ، ومن شعره قوله يصف جيش الامام ، مهدداً معاوية بشجعان العراق والحجاز : (١)

دع معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
اتاكم عليّ باهل العراق واهل الحجاز فما تصنعونا ؟
يرون الطعان خلال العجاج وضرب القوانس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير وطلحة والمعشر الناكثينا
فإن يكره القوم ملك العراق فقدماً رضينا الذي تكرهونا

وكان في الصف الآخر شاعر بني أمية كعب بن جعيل التغلبي يهاجي شعراء عليّ ويرد عن الامويين ، ويناقض كل خصومهم . ومعظم اشعار الشاعرين تتخللها الافكار السياسية الا انها ترسم صورة تأريخية لايام صفين الطويلة ، ومعاركها المتتابعة القاسية .

أما الثورات التي اشتعلت في خلال حكم الامويين ، فان الشعر قد حفظ لنا كثيرا من احداثها وابرز العديد من مواقف المفجرين لها او المتصدين لهم من الحكام ومؤيديهم .

وقد تصدرت ثورة الامام الحسين كل تلك الثورات ، وتطوراتها

(١) وقعة صفين ١٥٣

معروفة ، حيث آلت الى نهايتها المفجعة في العاشر من المحرم من سنة احدى وستين ، ولا بد ان تكون الاشعار قد صورت تلك المأساة المؤلمة ، إلا ان ما وصل الينا من اشعارها قليل لا يتناسب مع اهميتها وعمق تأثيرها بعد تلك النهاية الحزينة .

ويعتذر ابو الفرج الاصفهاني مؤرخ (مقاتل الطالبيين) عن تلك الظاهرة بقوله :[١] « وقد رثى الحسين بن علي ـ صلوات الله عليه ـ جماعة من متأخري الشعراء ، استغني عن ذكرهم في هذا الموضع كراهية الاطالة .

وأما من تقدم فما وقع الينا شيء رثي به ، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني امية وخشية منهم » .

ولعل من اروع ما حفظ لنا من اشعار هذه الثورة تلك الارجوزة القصيرة التي كان ينشدها الطرماح بن عدي على فرسه حينما كان يقود اربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحلهم حيث قال :[٢]

يا ناقتي لا تذعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر حتى تحليّ بكريم النجر
الماجد الحرّ رحيب الصدر اتى به الله لخير امر
ثمّت ابقاه بقاء الدهر

فلما انتهوا الى الحسين انشدوه هذه الابيات فقال لهم : أما والله اني لأرجو ان يكون خيراً ما اراد الله بنا ، قتلنا أم ظفرنا .

وهذا الراجز لا يتحدث عن الثورة واهدافها وصلتها بالاسلام ،

(١) مقاتل الطالبيين ٨١
(٢) الطبري ٥ / ٤٠٥

وانما يبثّ مشاعره الصادقة تجاه الضيف العزيز الذي حل في ارضهم ، مع اشارة خفيفة لمكانته الدينية .

ولما أتى اهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن ابي طالب ، ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول : [1]

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى، ومنهم ضرّجوا بدم؟

ويصور الشاعر عبدالله بن الحرّ الجعفي الكوفي عمق المأساة التي كان يحس بها خاذلو الحسين ، ويرسم شعره عظم الحسرة التي كان يشعر بها هؤلاء ، وهم يتفرقون من حوله ، ويسلمونه لأعدائه بمفرده ، مع آل بيته فقط ؛ [2]

يا لك حسرة ما دمت حيّاً تردد بين حلقي والتراقي
حسينا حين يطلب بذل نصري على اهل العداوة والشقاق
ولو أني اواسيه بنفسي لنلت كرامة يوم التلاقي
مع ابن المصطفى نفسي فداء فيا لله من الم الفراق
غداة يقول لي بالقصر قولا: أتتركنا وتزمع بانطلاق ؟
فلو فلق التلهف قلب حيّ لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون اولو النفاق

وهذه القصيدة الرائعة وغيرها مما قاله هذا الشاعر محاولة للتكفير عما ارتكبه اهل الكوفة من خطأ فادح ، حين خذلوا الحسين بعد ان دعوه للثورة .

---

(١) الطبري ٥/ ٤٦٦

(٢) شعراء أمويون ١/ ١٠٩ . والبيت الأول مخروم في قوله : يا لك حسرة .

وهكذا ظل الشعراء يعزفون مثل هذا اللحن الباكي الحزين ، ويؤرخون تلك المأساة التي ألمّت بالمسلمين حين استشهد الامام الحسين والعديد من آل بيته الطيبين .

وتتوالى الثورات بعد هذه الثورة، فتتفجر ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي سنة اربع وستين ، ثأراً لمقتل الحسين ، وتكفيراً عن تخليهم عنه في ثورته ، ثم المختار الثقفي في سنة ست وستين ، فثورة عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي في سنة احدى وثمانين ، وهي ثورة قاد فيها ابن الأشعث العراقيين ضد حكم الحجاج ، وطالت ايامها الى ان انتهت بهزيمة ابن الأشعث ، وقتله سنة خمس وثمانين .

وقد اثرت هذه الثورة تأثيرا عميقا في الشعر الأموي ، ونالت اهتماما كبيرا لدى الشعراء، حيث سار في ركابها عدد منهم امثال ابي جلدة بن عبيدالله اليشكري والطفيل بن عامر بن واثلة الكناني ، وعبدالرحمن بن عبدالله المعروف بأعشى همدان .

كان هؤلاء الشعراء يتصدرون جيوش ابن الاشعث وثورته ، ويحرضون الناس على تأييد الثورة ، ويحمسونهم للقتال مع ابن الأشعث ، فقد كان الاعشى يسير بين يدي ابن الاشعث وهو راكب فرسه ، في الطريق الى العراق ، قادمين من سجستان ، وهو يردد : [1]

شطّت نوى من داره بالايوان	إيوان كسرى ذي القرى والريحان
من عاشق أمسى بزا بلستان	إنّ ثقيفا منهم الكذّابان

(١) الطبري ٦/ ٣٣٧

كذّابها الماضي وكذّاب ثان امكن ربي من ثقيف همدان
يوماً الى الليل يسليّ ما كان إنا سمونا للكفور الفتّان
حين طغى في الكفر بعد الايمان بالسيد الغطريف عبدالرحمن

وهي تسير على هذا النمط من الحماسة الحربية ، والمقارنة بين ايمان ابن الاشعث واتباعه وكفر الحجاج وأتباعه .

ويروى أن الشاعر الطفيل بن عامر كان ينشد وهو قادم مع ابن الاشعث من كرمان في طريقهم لقتال الحجاج ، أبياتا تسير على نهج القصيدة السابقة ، في التهديد والاحتجاج بايمان ابن الاشعث وضلال الحجاج حيث كان يقول :[1]

ألا طرقتنا بالغريّين بعدما كللنا على شحط المزار جنوب
اتوك يقودون المنايا وإنما هدتها بأولانا إليك ذنوب
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار القرار نصيب
ألا أبلغ الحجّاج أنْ قد اظلّه عذاب بأيدي المؤمنين مصيب

وما قيل من هذه الاشعار يرسم لنا كثيرا من جوانب تلك الثورة ، التي سالت فيها دماء اسلامية غزيرة ، وزهقت بسببها نفوس مؤمنة كثيرة .

وبعد حرب صفين اشتعلت نار العصبية القبلية من جديد بعد ان اخمدها الاسلام طيلة العصر الاسلامي ، واشتعل أوارها أكثر بتقدم السنين في العصر الاموي ، وقد واكب الشعر تطوراتها ، بل كان في كثير من الاحيان مفجراً لتلك العصبيات .

---

(١) الطبري ٦/ ٣٤٣

ومعـروف أنّ النقـائض الشعـرية الامـوية قد ازدهـرت في ظل العصبية القبلية ، وانها كانت احدى ثمراتها ، وقـد عدت نقـائض جرير والفـرزدق من اصـدق الوثائـق لأيام العـرب وقبائلهـا ، في الجاهلية والاسلام .

وقد ارتفعت بعض الاصوات الشعرية منـكرة على النـاس تلك العصبية ، منـددة بالفخـر بالانسـاب والتعلـق بهـا ، وتتجلى تلك الاصوات بصـورة خاصـة لدى شعـراء الخـوارج ، الـذين قامـت دعوتهم على المساواة بين الناس ، التي دعا اليها الاسـلام، من ذلك قول شاعرهـم عمران بن حطان حـين نزل بقـوم من الأزد في سواد الكوفة فرحبوا به ، ثم سألوه عن نسبه ، فقال : (1)

نزلنـا بحمـد الله في خـير منزل
نسرّ بمـا فيه من الأنس والخفر
نزلنـا بقـوم يجمـع الله شملهم
وليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر
من الأزد إنّ الأزد أكرم معشر
أتونـى فقالـوا : من ربيعـة أو مضر
ام الحـيّ قحطـان ، فتلـكم سفاهة
كما قال لي روح وصاحبـه زفر
ومـا منهـم إلا يسرّ بنسبة
تقربنـي منـه وان كان ذا نفر

(1) شعر الخوارج ٢٤

فنحـــن بنــو الاســـلام والله واحد
وأولى عبــاد الله بالله من شكر[1]

وارتفعت أصوات أخرى من خارج صفوف الخـوارج ، تنـاهض العصبية القبلية ، وتدعو الى الانتماء الى الاسلام ، فهو خير الانساب واكرمها عند الله .

من ذلك صوت الشاعر نهار بن توسعة من بني بكر بن وائل ، وشاعر بكر في خراسان ، الذي فخر بنسبته الى الاسلام بدل بكر أو تميم حيث قال : ـ[2]

أبـى الاســـلام لا أب لي سواه إذا هتفــوا ببــكر أو تميم
دعـيّ القــوم ينصر مدّعيه فيلحقـه بذي النسـب الصميم
ومــا كرم ولــو شرفــت جدود ولــكنّ التقــيّ هو الكريم

إلا أن هذه ألاصوات الضعيفة الخافتة ضاعت وسط الضجيج المتعالي لاشعار العصـبية ، التـي كانـت تصـدر من كل جانـب ، حكامـاً ومحكومـين ، ويشــارك في تغذيتهـا معظـم شعـراء العصر الأمــوي وخصومهم .

وفي غمار انشغال حكام العروبة وابنائها بتلك العصبيات اطلت الشعوبية بوجهها الكريه من بين ركام الفرقـة الناتجـة عن العصـبية القبلية .

---

(١) روح بن زنباع الجذامي ، سيد اليمانية في الشام وقائدها ، توفي سنة ٨٤ هـ ، وزفـر بن الحارث الكلابي ، كان كبير قيس في زمانه ، وتوفي سنة ٧٥ هـ ، اما عمران بن حطان شاعر النص فقد توفي في سنة ٨٤ هـ ، ويظهر أن الشاعر تعمد ذكر اسميهما لأنهما سيدا القبيلتين المتصارعتين في زمانه .

(٢) الشعر والشعراء ١/ ٥٣٧

وحاول بعض الشعراء تدارك الأمر قبل فوات الاوان ، لمعرفتهم بنوايا تلك الفئات التي تدعو الى تفريق الصفوف والى محو كل امجاد الأمة وما تعتز به من فضائل ، وتعمل على زرع الشك واليأس في نفوس ابنائها ، فدعا هؤلاء الشعراء المخلصون الى اعادة الوحدة بين القبائل العربية ، لمواجهة الاخطار والمؤامرات التي يحيكها الحاقدون على العروبة والاسلام ، تمهيداً للانقضاض على الدولة والنظام الذي بناه حكم الاسلام .

ومن ابرز تلك الصيحات المؤمنة الصادقة قصيدة نصر بن سيار ، والي خراسان والتي بعث بها الى هشام بن عبدالملك بعد ان خبر احقادهم في اثناء ولايته : ـ

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أنْ يكون لها ضرام
فإنّ النار بالعودين تذكى ... وإنّ الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفئوها تجن حرباً ... مشمّرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أميّة أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما ... فقل : قوموا فقد حان القيام
ففرّي عن رحالك ثم قولي : ... على الاسلام والعرب السلام

وقال في قصيدة أخرى ، محذراً القبائل العربية المتناحرة فيما بينها ، من شرور الشعوبية ، ودعاها الى نبذ الاختلافات والتوجه ضد العدو المشترك الذي لا يدين الا بتقتيل العرب ، ومحوهم من الوجود : ـ(١)

مابالكم تلقحون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم ... ممن تأشب لا دين ولا حسب

---

(١) العقد الفريد ٥/ ٢٤١ و٢٤٢ .

قدما يدينون دينا ما سمعت به
عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
فإنّ دينهم أن تقتل العرب

إن هذه الصيحات المؤمنة ـ مع الاسف ـ لم تجد الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية ، ووقع ما تنبأ به الشاعر ، عندما قويت شوكة اعداء العرب والمسلمين .

وهكذا ظل الشعر يواكب الأحداث التي كانت تلم بالمجتمع الاسلامي والامة العربية ، طيلة العصرين الاسلامي والاموي ، يرصد الاحداث ليسجلها ، ويصور وقائع تطوراتها السريعة المتلاحقة ، ليحدد اطرها ويوضح اهدافها .

وتكمن أهمية تلك الاشعار وقيمتها في أنها كانت تصدر عن رجال شاركوا في صنع تلك الاحداث بأنفسهم ، وأرخوها بأشعارهم ، لتكون أصدق الوثائق التاريخية والفنية لتلك المرحلة من مراحل تأريخنا السياسي والأدبي . .

الرجز :

واذا أتينا على الرجز الاسلامي نجده يختلف عما كان عليه قبل الاسلام ، فلم يكن نوابغ الشعراء الجاهليين يكثرون من النظم فيه . وكأنه أقل من منزلتهم الشعرية، ولوتصفحنا دواوين الفحول كالنابغة وزهير وطرفة . لما كدنا نجد للرجز مكانا فيه ، كما ان الرجز الجاهلي لم يكن الا قطعا قصيرة يقولها الشاعر في الحروب أو الهجاء .

اما في صدر الاسلام والعصر الاموي فنظم فيه كثيرمن الفحول ، وتناولوا معظم الاغراض الشعرية ، وبأراجيز طويلة .

قال ابو عبيدة : ـ انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فاخر، حتى كان العجاج أول من أطاله وقصرّه ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجاز كامرىء القيس في الشعراء .

وقال غيره : ـ أول من طول الرجز الأغلب العجلي .[1] وهو شاعر مخضرم استشهد في نهاوند سنة ٢١ هـ .

ويقول محمد بن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداد والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بأبيات يسيرة ، فكان الأغلب أول من قصّد الرجز ، ثم سلك الناس بعد طريقته .

ويؤ يد ابن قتيبة هذا الرأي فيقول : إن الأغلب هو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله .[2]

وقد طبعت الأراجيز الاسلامية بأفكار الاسلام ومعانيه ، وصدر فيها الشعراء عن روح جديدة ونفس ديني واضح .

فجعفر بن أبي طالب كان يقاتل الروم ببسالة في معركة مؤ تة التي استشهد فيها ، وهو يردد تلك المعاني بقوله :[3]

يا حبذا الجنة واقترابها طيّبةً وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ اذ لاقيتها ضرابها

ويسلم عمرو بن الجموح الأنصاري ، ويثور على الأصنام ،

(١) العمدة ١/ ١٨٢ .
(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٦١٣ .
(٣) ابن هشام ٢/ ٣٧٨ .

ويعلن شكره لله أن هداه وأنقذه قبل أن يكون في ظلمة القبر :

الحمـد لله العليّ ذي المنن الواهـب الـرزّاق ديّان الدين
هذا الذي أنقذنـي من قبـل أن أكون في ظلمـة قبـر مرتهن
بأحمـد المهديّ النبيّ المـرتهـن[1]

وقد استوعب عبدالله بن رواحة مفاهيم الاسلام ومعانيه في أرجوزة أخرى بمؤتة أيضا ، فعبر عن معاني حب الاستشهاد في سبيل الله ، وعن اصل خلق الانسان من نطفة كما ورد في القرآن ، حيث قال عندما أحسّ بتردد نفسه بعض التردد : ـ

اقسمـت يـا نفسي لتنزلنّه لتنـزلـنَّ او لتكـرهنـه
إن أجلب النـاس وشـدّوا الرنَّه مـالي أراك تكرهـين الجنّـه
قد طالما قد كنـت مطمئنه هل أنـت إلا نطفـة في شنّه[2]

وتسود رجز الحروب الاسـلامية الأولى روح اسـلامية جديدة ، وعاطفة دينية ، صدى لمفاهيم الاسلام وأفكاره .

قال أبو دجانة الانصاري : ـ

أنـا الـذي عاهدنـي خليلي ونحـن بالسفـح لدى النخيل
ألاّ أقـوم الدهـر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول[3]

ويردد الشعراء الفاظ الاسلام الجديدة ومصطلحاتـه في أرجازهـم ، فعندما يحقق الله النصر للمسلمين على الفرس يوم جلولاء ، يقـول شاعر المسلمين : ـ

ياربَّ مهـر حسـن مطهم يحمـل أثقـال الغـلام المسلم

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٦٦ .
(٢) ابن هشام ٢/ ٣٧٩
(٣) م . ن ٢/ ٦٩ .

ينجو الى الرحمن من جهنم   يوم جلولاء ويوم رستم
ويوم زحف الكوفة المقدم   ويوم لاقى ضيقة مهزّم
وخرَّ دين الكافرين للفم(١)

وفي حرب صفين كان الرجز سجالا بين المتحاربين ، يتبارون في المعاني والافكار الاسلامية ، فتناول عبدالله بن بديل الخزاعي فكرة التوكل والايمان بقضاء الله وقدرته ، فقال : ـ

لم يبق الا العبد والتوكل   وأخذك الترس وسيفا مقصل
ثم التمشي في الرعيل الأول   مشي الجمال في حياض المنهل

والله يقضي ما يشا ويفعل(٢)

ويعبر عدي بن حاتم الطائي عن رجائه الله ، وخوفه من ذنوبه ، وانه لا يعدل بعفو الله شيئا : ـ

أرجو إلهي وأخاف ذنبي   وليس شيء مثل عفو ربي(٣)

ويرتجز رجل من همدان ، معبراً عن حرص الاعداء على المال ونكوصهم عن طاعة الله وما نص عليه الاسلام : ـ

قد قتل الله رجال حمص   حرصاً على المال وأيّ حرص
غروا بقول كذب وخرص   قد نكص القوم وأي نكص
عن طاعة الله وفحوى النص(٤)

وجسّد شعراء الخوارج معاني الاسلام في الشهادة والتقوى ، والزهد

---

(١) الطبري ٣/ ٥٧٨ .
(٢) وقعة صفين ٢٧٦ .
(٣) م . ن ٤٨٩
(٤) وقعة صفين ٤٩٧

في الدنيا .

قال قطري بن الفجاءة :

حتى متى تخطئني الشهاده
والموت في أعناقنا قلاده
ليس الفرار في الوغى بعاده
يا ربّ زدني في التقى عباده
وفي الحياة بعدها زهاده[1]

وشاعت في أراجيز العصر الأموي نفحات دينية وأنفاس اسلامية ، فديوان العجاج يزخر بالأراجيز الاسلامية ذات المعاني والافكار الجديدة ، التي لم يشهدها الرجز من قبل ، قال العجاج : أنشدت أبا هريرة قصيدتي التي أولها :[2]

الحمد لله الذي استقلّت باذنه السماء واطمأنّت
بإذنه الأرض فما تعنّت ومدّها بالراسيات الثبّت

قال : حتى أتيت على آخرها . فقال : أشهد أنك لمؤمن .

وهذه الارجوزة تبلغ سبعة وعشرين شطراً . كلها تسير على هذا المنهج الديني .[3] وله ارجوزة طويلة تسمى الغراء . تبلغ مائة وثمانين شطرا ، تزخر ايضا بالمعاني الاسلامية ، ومثلها ميمية تبدأ بقوله :

فالحمد لله العلي الأعظم
ذي الجبروت والجلال الأفخم[4]

(١) الأخبار الطوال ٢٨٦ .
(٢) أخبار الزجاجي ١٠٣
انظر ديوان العجاج ٢٦٦
الديوان ٢٩٤

وتستمر على هذه الوتيرة حتى تبلغ اثنين وثلاثين شطرا .
وحتى الشاعر ذو الرمة ، الذي لا نجد اثرا للاسلام في شعره ، تأثر في رجزه بالالفاظ والمعاني الدينية ، فقال في آخر أرجوزة له :

فقلت : لا والمبدىء والمعيد　　الله أهل الحمد والتمجيد
ما دون وقت الاجل المعدود　　موعود ربٍّ صادق الوعود
هل اغدون في عيشة رغيد　　والله أدنى لي من الوريد
والموت يلقى أنفس الشهود .[1]

وهكذا استطاع الرجز استيعاب المعاني الاسلامية ، ولم يعد كما كان في العصر الجاهلي مقتصرا على موضوعات خاصة بالحروب وما يتفرع عنها من فخر أو هجاء . وأصبح فنا من الفنون الشعرية المستقلة ، لا مقطعات قصيرة يأنف النظم فيه فحول الشعراء .

(١) الديوان ٢٢٥

البَابُ الثالث
الخصائص الفنيّة

الخصائص الفنية

من الطبيعي ألاّ يكون الشعراء في صدر الاسلام والعصر الاموي على درجة واحدة من الالتصاق بعقيدتهم الاسلامية ، وانصهار وجدانهم بها ، ومن هنا اختلفت تجاربهم الشعرية حدّة في الانفعال ، وقدرة على التعبير عن ذلك الانفعال فتفاوتت اشعارهم . ومع ذلك فثمة سمات عامة يمكن ان يتميز بها شعر تلك الفترة .

ومن تلك السمات أن أشعارهم كانت تعبيرا ، جمالياً مؤثراً ، عن مواقف وتجارب وتصورات اولئك الشعراء ، ازاء الكون والحياة والانسان .

فقد حاول الشعراء التوفيق بين جمالية النص من ناحية وتأثيره من ناحية اخرى .

ومع ذلك فقد شاع في اشعارهم ما نطلق عليه اليوم مصطلح الالتزام ، حيث اتخذ الشعر اداة لاصلاح المجتمع ، وخدمة العقيدة التي آمنوا بها .

كما تميز الشعر بالواقعية ، حيث كان الشعراء يعيشون حياة الناس وينقلون مشاعرهم واحاسيسهم ، ويعبّرون بصدق عما يعتمل في صدورهم ، ويجري بينهم ، وقت السلم وعند الحرب . ان هذه السمات العامة يمكن أن نلمسها في أي ديوان او مجموعة شعرية في تلك الفترة .

والى جانب هذه السمات العامة يمكن ان نرى بوضوح اثر الاسلام في كل الجوانب الفنية لتلك الاشعار . حيث يظهر ذلك جليا في انواع القسم والدعاء والقصص التي قد يستعين بها الشعراء في تعبيرهم فترد في ثنايا أشعارهم .

وامتدّ هذا التأثير الى مضامين أشعارهم ومقدماتهم الشعرية والى طريقة التكرار التي برزت في الفاظ تلك الاشعار وتراكيبها .

اما اسلوب الشعر ، فيمكن أن نحسّ باثرالاسلام الكبير فيه في بناء القصيدة وصورها وأخيلتها ، وفي ثقافة الشاعر التي كان يودعها أشعاره ، وفي الفاظه وتراكيبه ومعانيه . حيث كان الشعراء يغترفون من القرآن الكريم والحديث الشريف ، نصاً أو روحاً ، فصدروا عنهما صدور الشذى الفوّاح عن الازهار العطرة . وهو ما سمي بالاقتباس .

وعندما يريد الباحث ان يفصل القول في ذلك يجد ذلك جليا واضحا في كل الاساليب الشعرية لتلك الفترة .

القسم :

ومن الاساليب الاسلامية المتميزة القسم ، فقد استعان الشعراء بألوان القسم الجديدة التي وردت في القرآن الكريم ، او التي استحدثتها المفاهيم والحياة الاسلامية ، كالذي نراه في شعر أبي صخر الهذلي .[1]

أمـا والـذي ابـكى واضحـك والذي
أمـات واحيا والـذي امـره الأمر

حيث تأثر الشاعر بقوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا »[2]

ويقسم المتوكل الليثي في قوله :[3]

لا والـذي يهـوى الى بيته   من كل فجّ محـرم ناحل

(١) الأمالي ١/ ١٤٩ .

(٢) النجم آية ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) شعر المتوكل ٢٣٩ .

وهو متأثر الى حد بعيد بما في قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق » . [1]

ويقسم مجنون بني عامر قسما قرآنيا مستعينا بما ورد في آي الذكر الحكيم ، فيقول : [2]

ألا زعمت ليلى بأن لا احبها
بلى ، والليالي العشر والشفع والوتر

وينص القسم القرآني على قوله تعالى : « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر » . [3]

ويقتبس المختار الثقفي قسمه من القرآن أيضا ، فيقول : [4]

أما وربّ المرسلات عرفا لتقتلنّ بعد صفّ صفّا
وبعد ألف قاسطين ألفا

وقسم القرآن هو قوله تعالى : « والمرسلات عرفا » . [5]

وقد يعدّد الشعراء صفات الله تعالى التي وردت في القرآن الكريم ، وهي صفات لم تكن معروفة في قسم الجاهليين . يقول جرير . [6]

احلف بالله العزيز القهار ما لكليب من حمىً ولا دار

واتخذ الشعراء من مناسك الحج ومراسمه في الاسلام وسيلة جديدة للقسم ، لما يستشعر الانسان في تلك المناسك من قدسية ورهبة ، ولما يشيع ذكرها من جو ديني .

(١) الحج آية ٢٧ .
(٢) الزهرة ٣٣ .
(٣) الفجر آية ٢ ، ٣ .
(٤) الطبري ٣/٢١٧ .
(٥) المرسلات آية ١ .
(٦) ديوان جرير ١/٤٤٧ .

فيقسم كعب بن معدان الأشقري بربّ المناسك ، ومقام ابراهيم ، فيقول : (١)

انـي وربّ منىً ومـا جمعت   يوم الحجيج وأشهـر الحرم
ومقـام ابـراهيم يمسحه   من كلّ أشعث ناحـل الجسم

ويقسم مجنون ليلى بمن شرع المناسك ، ثم راح يعـدد تلك المناسك ، مبتدئا بصلاة منىً ، فرمي الجمرات يوم الافاضة ، فالنحر ، فحلق الرؤوس ، ثم التلبية في صباح العاشر من ذي الحجة ، فيقول : (٢)

حلفـت بمـن صلّـت قريش وجمّرت
لـه بمنـىً يوم الإفاضـة والنحر
ومـا حلقـوا من رأس كل ملبّي
صبيحـة عشر قد مضـين من الشهر

ويذكر الأخطل تلك المناسك في حلفه ، مترسما طريقة الشعراء المسلمين في ذلك فيقول : (٣)

لقـد حلفـت بمـا أسرى الحجيج له
والنـاذرين دمـاء البـدن في الحرم

ويقسم في موضع آخر بقوله :

حلفـت بمـن تسـاق له الهدايا
ومـن حلّـت بكعبتـه النذور

وحاول الشعراء تأكيد بعض المفاهيم الاسلامية الجديدة من

(١) شعراء امويون ٢/ ٤١٩ .
(٢) ديوان مجنون ليلى ١٥٧ .
(٣) ديوان الاخطل ٣١٠ و ٣٠١ .

خلال قسمهم ، كنزول القرآن من الله تعالى ، وإرساله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول عبدالله بن عمر بن الخطاب : [1]

وحــقّ من أنــزل الآيات في السور
وأرســل المصطفــى المبعــوث من مضر

ويقسم ايمن بن خريم بمن أنزل القرآن في ليلة القـدر ، ليؤكد هذه الفكرة الاسلامية الجديدة ، فيقول : [2]

أمــا والــذي ارسى ثبــيراً مكانه
وانــزل ذا الفرقــان في ليلــة القدر

ولم يكتف كثير من الشعراء بقسم واحد في حلفهم ، بل كانـوا يكثرون من الاقسام المتعددة ، ليرسموا صورا متتابعـة ، ومشاهـد متوالية زيادة في الابداع الفني ، وتقريرا لما يقصدون من المعاني ، كالذي نراه في قسم كعب بن جعيل : [3]

انــي ورب النصــارى في كنائسها
والمسلمــين اذا ما جمعــوا الجمعا
والقائــم الليل بالانجيل يدرسه
لله تسفــح عينــاه إذا ركعا
ومهــرق لدمــاء البــدن عنــد منى
لأشــكرن لابــن سيف الله ما صنعا

وتتوالى مثل هذه المشاهد والصور الاسلامية في قسم حميد بن ثور الهلالي وهو يرثي الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، فيقول : [4]

انــي وربّ الهــدايا في مشاعرها
وحيث يقضى نذور النــاس والنسك

(١) فتوح الشام ٢/ ١٤٤ .
(٢) وقعة صفين ٥٧٦ .
(٣) نسب قريش ٣٢٦ .
(٤) ديوان حميد ١١٤ .

وربّ كلّ منيب بات مبتهلا
يتلـو الكتـاب اجتهـادا ليس يترّك
لا انـكرنّ الـذي أوليتنـي أبداً
حتـى أعـدّ مع الهلـكى إذا هلكوا

إن هذه الاقسام جميعا متأثـرة الى حد كبـير بالافـكار والمفـاهيم والحيـاة الاسلامية الجديدة ، كما انهـا من مميزات الشعـر في صدر الاسلام وعصر بني امية ، ذكرناها نموذجا لما شاع في دواوين واشعار تلك الفترة .

الدعاء :

وكان الدعاء من الأساليب ذات العناصر الاسـلامية الجـديدة ، فقد تفنن الشعراء الاسلاميون في ادعيتهـم وابتهالاتهـم الـدينية ، فكانت ضروبا مختلفة ، منها توحيد الله ، والثناء عليه ، كقول عمرو ابن الجموح الانصاري : [١]

أتـوب الـى الله سبحانـه	واسـتغفـر الله مـن نـاره
واثنـي عليـه بـآلائـه	بـإعـلان قلبـي وإسـراره

ومنها سؤال الله العفو والمغفرة والرحمة ، تضرعـا اليه ، وخشية من عذابه ، كقول النعمان بن بشير الانصاري : [٢]

ربّ انـي ظلمـت نفسي كثيراً	فاعف عني أنت الغفور الودود
وقنـي شرّ من أخـاف فإني	مشفـق خائف لما تستعيد
من خطـوب إذا ذكرت ذنوبي	وقـرأت القـرآن فيه الوعيد

وتضرع الشعراء الى الله بنفوس منكسرة ، وبقلوب ذليلة ، ولهجة

(١) الاصابة ٢/ ٥٢٣ .
(٢) شعر النعمان ٩٢ .

مقرة بالزلل ، معترفة بالخطأ ، ومع ذلك فهي تطمع بعفو الكريم ومغفرة الرحيم ، يقول هدبة بن الخشرم : [1]

أذا العرش إني عائذ بك مؤمن ... مقر بزلاتي ، إليك فقير
وإني ـ وان قالوا : امير مسلّط ... وحجاب ابواب لهن صرير
لأعلم أنّ الأمر أمرك . إن تدن ... فربّ ، وإن تغفر فأنت غفور

وعندما كان يخوض الشعراء غمار الحرب ، وهم يشدّون على اعدائهم ، لم تفارق ألسنتهم تلك الدعوات الصالحات .

فضرار بن الأزور يتقدم نحو العدو فيقاتل ، وهو ينشد متضرعا الى الله ، بان يغفر ذنوبه ، ويمحو زلاته ، ويوفقه الى خير العمل : [2]

عليك ربي في الأمور المتّكل
اغفر ذنوبي إنْ دنا مني الأجل
يا ربّ وفّقني الى خير العمل
عني وامح ـ سيدي ـ كلّ الزلل

ولم يجد الشعراء خيراً من الدعاء ملاذا لهم حين تزل منهم الاقدام ، وتحيق بهم الاخطاء ، يطلبون به التوبة من الله ، ويرجون بواسطته المغفرة من الرحمن .

فهذا الشاعر عبدالله بن عوف الاحمر الازدي ، يفتك بحوثرة بن وداع الاسدي ، لانه من الخوارج ، ولكنه يرى بعد مقتله أثر السجود على وجهه ، فيندم على فعلته ، ويلجأ الى الدعاء ، لعل الله يغفر له ما ارتكب من خطأ ، ويقول : [3]

(١) الكامل في اللغة ٤/ ٨٧ .
(٢) فتوح الشام ٢/ ١٤٨ .
(٣) الكامل ٣/ ٤١١ .

قتلت أخا تقى لأنال دنيا ... وذاك لشقوتي وعثار جَدي
فهب لي توبة يا رب واغفر ... لما قارفت من خطأ وعمد

ومن ضروب الدعاء الاخرى مسألة الخير في الدنيا ، والاستزادة من الفضائل فيها ، يقول النمر بن تولب : [1]

أعذني ربّ من حصر وعيّ ... ومن نفس أعالجها علاجا
ومن حاجات نفسي فاعصمني ... فإنّ لمضمرات النفس حاجا
وأنت وليّها وبرئت منها ... إليك وما قضيت فلا خلاجا
وانت وهبتها كوماً جلاداً ... ارجّي النسل منها ، والنتاجا
فلست بحارم الأضياف منها ... وجاعل دونهم بابي رتاجا[2]

وعندما كان يداهم المرض الشعراء ، ويعجز الدواء عن الشفاء ، لا يجدون أنجع من الدعاء ، يستنزلون به البرء من الله ، أو يستسلمون بواسطته الى حسن القضاء .

فعندما ألمّ المرض بالشاعر الاموي عمرو بن أحمر الباهلي ، توجه الى الله بالدعاء قائلا : [3]

إليك إله الحقّ ارفع رغبتي ... عياذاً وخوفاً أنْ تطيل ضمانيا
فإن كان برءا فاجعل البرء نعمة ... وإنْ كان فيضاً فاقض ما أنت قاضيا

وقد يعاني الشعراء المذنبون من وطأة احتدام الصراع بين الشر والخير في داخل نفوسهم ، فيتوجهون الى الله بالدعاء الخالص ، ليجيرهم مما هم فيه ، كما نرى في دعاء الشاعر الاموي جحدر

(١) شعر النمر بن تولب ٤٦ .
(٢) حاج : جمع حاجة ، حلاج · اعتراض . الكوم : واحدها كوماء ، وهي الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .
(٣) الشعر والشعراء ١/ ٣٥٦ .

المحرزي ، وكان يتهم باللصوصية ، حيث يقول : [1]

إنـي دعوتـك يا إلـه محمد ... دعـوى ، فأولها لي استغفار
لتجيرني من شرّ ما أنا خائف ... ربّ البـرية ، ليس مثلك جار
تقضي ولا يقضى عليك وانما ... ربـي بعلمـك تنـزل الأقدار
أدعـوه سراً منـاديه علانية ... والله يعلـم إعلانـي وإسراري

إن هذا الدعاء الصادق ، المنبعث من قلب الشاعر ، المقر بقدرة الله ، وحسن جواره للمذنبين والعاصين ، يدل على تأثره بالمحيط الجديد الذي يعيش فيه ، مع ما عرف عنه من اللصوصية والعدائية في سلوكه .

القصص :

لقد استحوذت قصص القرآن على مشاعر الناس في مختلف العصور الاسلامية ، وشغفوا باسلوبها الممتع الأخاذ ، وكان للقصاصين والوعاظ دور بارز في انتشار تلك القصص بين الناس ، بعد أن توسعوا فيها ، وافادوا من الكتب السماوية الاخرى .

وكان من الطبيعي أن ينتفع الشعراء بتلك الذخيرة الضخمة التي يحويها القرآن الكريم ، ولما لم تكن اشعارهم تستوعب تلك القصص كما وردت في القرآن ، فقد اكتفوا بالتقاط ما فيها من ايحاءات موضوعية أو فنية ، وأدخلوها في أشعارهم ، وهم يعالجون قضايا مجتمعهم الجديد ، أو مشاكلهم الخاصة .

وقد توخى هؤلاء الشعراء الغاية التي كانت ترمي اليها قصص القرآن ، وهي الاتعاظ والاعتبار ، وبخاصة حين كانوا يستشهدون بقصص الاقوام الغابرين ، او قصص الانبياء التي سردها القرآن .

---

(١) شعراء أمويون ١/ ١٧٣ .

فعندما دالت دولة فارس ، وانهار حكمهم ، وصار ابناء فارس يرعون شياه المسلمين ، بعد ان كانوا ملوك وسادة الدنيا ، وانهار ملكهم وصار كأنه أضغاث أحلام ، حاول الشاعر الاسلامي النابغة الجعدي تشبيه كل ذلك بملك سبأ ، الذي أتى عليه سيل العرم من القواعد ، فانهار وتهدم ، كما قصّ ذلك القرآن الكريم في سورة سبأ : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة وربّ غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم »[1] فقال :[2]

يا ايها الناس هل ترون الى ... فارس بادت وجدّها رغما

أمسوا عبيدا يرعون شاءكم ... كأنما كان ملكهم حلما

أو سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

وعندما مدح الشاعر الاموي الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازني ، واستماحه ، فوعده الرفد ، ثم ردده زمانا حتى ضجر ، ثم امر له بعشرين درهما ، فدفعها اليه وكيله غلة ، فردها ، وقال يهجوه بأن لو كان معه مثلا كنز قارون ، وقيل له : انتظر رفده . لما قصده وعاد إليه ، وقارون ممن قصّ القرآن غناه وكثرة ماله بمثل قوله تعالى : « فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم »وقوله تعالى: « إنّ قارون كان من قوم موسى ، فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .[3]

(١) سورة سبأ الآية ١٥ و ١٦ .

(٢) شعر النابغة ١٣٤

(٣) القصص ٧٩ و ٧٦ .

قال الشمردل : [1]

ولـو قيل مثـلا كنـز قارون عنده
وقيل التمس موعوده لا اعاوده

ويهجو الشاعر الاسلامي عبدالله بن الحارث قريشا لجحودها حق الله ، مشبها جحودهم بجحود عاد ومدين والحجر ، وهم ثمود ، وكل اولئك الاقوام قص القرآن جحودهم في آيات كثيرة ، وفي سور مختلفة ، قال : [2]

وتلك قريش تجحـد الله حقه
كما جحـدت عاد ومـدين والحجر

ووجد الشعراء في قصص الانبياء التي سردها القرآن الكريم كنزاً يستمدون منه تشبيهاتهم ، ويلتمسون فيه الصور التي يرسمون ، فعندما يريد النابغة الجعدي أن يهجو رجلا لا يجد خيراً من الإشارة الى قصة السامري وموسى ، التي منها قول موسى للسامري : « وإن لك في الحياة أن تقول لا مساس »[3] فحرمه مخالطة الناس عقوبة له ، فقال الجعدي : [4]

فاصبـح في النـاس كالسامري
إذ قال موسى له : لا مساسا

ولما أراد حسان بن ثابت هجاء صفوان بن أمية ، الذي كان قد أمر بنيه أن يدخلوا بيت رجل كان بينه وبينه شيء ففعلوا ، فعمد حسان الى المقارنة بين هذه الوصية ووصية يعقوب بنيه التي قصّها القرآن ، وشتان بينهما ، اذ وصّى يعقوب بنيه : « يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم

(1) شعر ء امويون ٢/ ٥٢٤
(2) س هشام ١/ ٣٣١
(3) سورة طه اية ٩٧
(4) شعر النابغة الجعدي ٨٣

الدين ، فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون » . [1]

قال حسان : [2]

والله ما أوصى أميّة بكره
بوصيّة أوصى بها يعقوب

ويفصل حسان قصة قرآنية في هجائه شاعر المشركين ، بطريقة اوضح من الاشارات المقتضبة التي رأيناها في النماذج السابقة ، فيقول : [3]

يكون إذا بثّ الهجاء لقومه
ولاح شهاب من سنا البرق واقد
كأشقى ثمود اذ تعاطى بسيفه
خصيلة أم السَّقب والسقب وارد
فوّلى فأوفى عاقلا رأس صخرة
نما فرعها واشتد منها القواعد
فقال : ألا فاستمتعوا في دياركم
فقد جاءكم ذكر لكم ومواعد
ثلاثة أيام من الدهر لم يكن
لهنّ بتصديق الذي قال زائد

فحسان يشبّه مهجوه بأشقى ثمود ، الذي عقر ناقة النبي صالح ، وكان شؤما على قومه ، وقص تعالى حديثه بقوله : « إذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها » [4] وفي قول حسان : إذ تعاطى بسيفه . استعان بقصة ثمود أيضا « فنادوا

---

(١) البقرة اية ١٣٢

(٢) ديوان حسان ٢٨٤ .

(٣) ديوان حسان ١٩٧ والسقب : ولد الناقة .

(٤) الشمس آية ١٢ و ١٣

صاحبهم فتعاطى فعقر »[1]

ثم ينتقل في البيتين الاخيرين الى اشارة اخرى من تلك القصة « فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب »[2]

وهكذا التقط الشاعر إشارات من قصة متكاملة وردت في أكثر من موضع في القرآن ، وفي سور مختلفات ، اعتماداً على فطنة السامع ومعرفته بتفاصيل تلك القصة .

وهكذا كان دأب أكثر الشعراء فهم يكتفون بإيراد رموز ، ولا يفصّلون الحديث اعتماداً على فطنة السامع وحفظه القرآن .

ويتحدث النعمان بن بشير عن قصة يونس باختصار شديد ، فيقول : [3]

وابن متّى الذي تداركه الله ... من الغمّ وهو فيه عميد
فدعاه دعوةً وقد غيّبته ... ظلَم دونها حنادس سود

ومعروف أن قصة النبي يونس في القرآن جاءت كالآتي :

« فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ، إذ نادى وهو مكظوم ، ولولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ، فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » . [4]

وينتفع الفرزدق بقصة يونس أيضا ، ولكنه يرويها بأسلوب آخر حيث يقول : [5]

---

(١) القمر آية ٢٩
(٢) هود آية ٦٥
(٣) شعر النعمان ٨٩ .
(٤) القلم آية ٤٨ ـ ٥٠
(٥) ديوان الفرزدق ٢/ ١٣٩

فقلـــت لهـــا : ما باحتيال ولا يد
خرجـــت من الغمّـــى ولا بالجعائل
ولـــكنّ ربـــي ربّ يونس إذ دعا
مـــن الحـــوت في موج من البحـــر سائل
دعـــا ربّـــه ، والله أرحـــم من دعا
وأدنـــاه من داع دعـــا متضائل

ولما أراد جرير أن يمدح أيوب بن سليمان بن عبدالملك ، وجد في قصـة يوسف معينـا ثرّاً يسـتـطيع الانتفــاع به للتعبــير عما يريد ، فقال : [1]

كونـــوا كيوسف لّما جاء إخوته
واستعرفـــوا قال : ما في اليوم تثريب
الله فضّلـــه ، والله وفقه
تـــوفيق يوسف اذ وصّـــاه يعقوب

في اشارة لقوله تعالى : « قال لا تثريب عليكم اليوم »[2]

وكانـــت تلك القصص زادا لكل شعـــراء العصر الامـــوي لا ينضب ، بغض النظر عن دياناتهم .

فهذا الشاعر النصراني الاخطل يزخـر شعـره بإشـارات سريعـة لقصص الانبياء التـي كان يختزنهـــا في ذاكرتـــه ، فيخاطـــب يزيد بقوله : [3]
أمـــا يزيد ، فانـــي لســـت ناسيه
حتـــى يغيّبنـــي في الـــرمس ملحود

(١) ديوان جرير ١/ ٣٤٩
(٢) يوسف آية ٩٢
(٣) شرح ديوان الأخطل ٩٧

جزاك ربـك عن مستفـرد وحد
نفـاه عن أهلـه جرم وتشريد
جزاء يوسف إحسانـاً ومغفرة
أو مثـل ما جزي هارون وداود
او مثـل ما نال نوح في سفينته
إذ استجـاب لنـوح ، وهـو منجود
اعطـاه من لذة الـدنيا وأسكنه
في جنـة نعمـة فيهـا وتخليد

وعندما يهجو نفيع بن صفّار المحاري ، الذي الحّ في الفخر بقومه وأيامهم على التغلبيين ، يشير الأخطل الى حية موسى التي توّسلها يوم أيّده الله بنصره ، والتي ذكرها القرآن في قصة موسى وفرعون بقوله تعالى : « فألقاها فإذا هي حيّة تسعى[1] »

قال الأخطل :[2]

تخـل ابـن صفّـار فلا تذكر العلا
ولا تذكرن حيات قومـك في الذكر
فقـد نهضـت للتغلبيين حيّة
كحيّة موسى يوم أيّد بالنصر

وقد يورد الشاعر شيئا من قصص الغابـرين وشيئـا من قصص الانبياء ، ويجمع بينهما حين يكون ذكرهما يفيد العبرة والاتعاظ .

فقد ضرب النعمان بن بشير المثل بقصص الاقوام الغابرين ، كقوم تبع وثمود ، وبقصص الاقوام الذين كذبوا انبياءهم ، كقوم شعيب وهود ، فقال :[3]

(١) طه آية ٢٠
(٢) شرح ديوان الاخطل ١٥٩
(٣) شعر النعمان ٨٧

قد رأيتـم مساكنـا كان فيها
قبلـكم قوم (تبّـع) و (ثمود)
وقـرون لقتهـم رسـل الله
(شـعيب) فكذّبـوه و (هود)

ويظهر تأثر الفرزدق بقصص القرآن واضحاً، وهو يهجو ابليس في قصيدته الميمية المعروفة حيث يقول : [1]

يظـلّ يمنّينـي على الرحـل واركا
يكون ورائـي مرّة وأمامي
يبشرنـي أنْ لن أمـوت وأنه
سيخلدنـي في . جنّـة وسلام
فقلـت له : هلاّ أخيَّك أخرجت
يمينـك من خضر البحـور طوام
رميت به في اليمّ لمّا رأيته
كفرقـة طودي يذبـلٍ وشمام
فلّما تلاقـى فوقـه الموج طاميا
نكصـت ولـم تحتـل له بمرام
ألـم تأتِ أهل الحجر والحجر أهله
بأنعـم عيش في بيوت رخام
فقلـت : اعقـروا هذي اللّقـوح فإنها
لـكم، أو تنيخوهـا، لقـوحِ غرامِ
فلماّ أناخوهـا تبـرّأت منهم،
وكنـت نكوصـاً عنـد كل ذمام
وآدم قد أخرجتـه، وهـو ساكن
وزوجتـه، من خـير دار مقام

(١) ديوان الفرزدق ٢ / ٢١٣

والفرزدق في هذه الابيات افاد من ثلاث قصص قرآنية ، إذ أشار في الأبيات ٣ ـ ٥ الى قصة فرعون الذي غرق وجنده في البحر . تلك القصة التي فصلها القرآن ، وختمها بقوله تعالى : « فأخذناه وجنوده ، فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » .[١]

وهو يشير في الأبيات ٦ ـ ٨ الى قصة قوم ثمود التي سبق أن ذكرنا بعض آياتها .

وفي البيت الأخير يشير الى قصة إخراج آدم وزوجه من الجنة التي ختمها القرآن بقوله تعالى : « فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » .[٢]

التكرار :

ويعد التكرار سمة بارزة من سمات الشعر الاسلامي ، وقد يكون الشعراء متأثرين بالاسلوب القرآني الذي كثيرا ما اعتمد التكرار من اجل التقرير والتأكيد .

فالشعراء سلكوا هذا المذهب للتأكيد والافهام والاقناع . فحسان ابن ثابت عندما يرثي الرسول (ص) يلجأ الى هذا الاسلوب ويكرر في قوله :[٣]

فبوركت مولوداً ، وبوركت ناشئا
وبوركت عند الشيب ، إذ أنت أشيب
وبورك قبر أنت فيه ، وبوركت
به وله ، أهل لذلك ، يثرب

(١) القصص آية ٤٠ وانظر سورة طه الآيات ٧٧ ـ ٧٩ .
(٢) البقرة آية ٣٦ وانظر سورة طه الآيات ١١٧ ـ ١٢٣ .
(٣) الديوان ٢١

فقد كرر كلمة (بورك) خمس مرات في هذين البيتين ، وعندما كان يفخر يسلك اسلوب التكرار ايضا ، فيكرر صدر البيت في قوله : (١)

ومن خير حيّ يعلمون لسائل
غياثا وعانٍ موثق في السلاسل
ومن خير حيّ يعلمون لجارهم
إذا اختارهم في الأمن أو في الزلازل

ومن التكرار الذي يفيد التأكيد قول انس بن زنيم الدؤلي يخاطب الرسول (ص) : (٢)

تعلّم رسول الله أنك مدركي
وان وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلّم رسول الله أنك قادر
على كل صرم متهمين ومنجد
تعلّم بأن الركب ركب عويمر
هم الكاذبون المخلفو كل موعد

ومن التكرار المفيد قول الفضل بن العباس ، يخاطب المشركين في فتوح الشام : (٣)

أقرّوا بأنّ الله لا ربّ غيره
وإلا تروا امراً عظيما مداجيا
أقرّوا بأنّ الله أرسل أحمداً
نبياً كريماً للخلائق هاديا

(١) الديوان ١٦٧

(٢) ابن هشام ٢/ ٤٢٤ . صرم : بيوت مجتمعة . ومتهمين : ساكنين في التهام اي المنخفض من الأرض . والمنجد المرتفع .

(٣) فتوح الشام ٢/ ١٠

والتكرار ظاهرة عامة في الشعر الأموي ، وقد تكون اكثر وضوحاً فيه من العصر الاسلامي . ومنه تكرار جرير اسم من يهجوه مرات عديدة ، بقصد السخرية وتأكيد اسم المهجو ، كقوله في بني نمير ، قوم الشاعر النميري : حيث كرر اسمهم في قصيدة واحدة اثنتين وعشرين مرة ، حيث قال فيها : (١)

وقد جلّت نساء بني نمير   وما عرفت أناملها الخضابا
إذا حلت نساء بني نمير   على تبراك خبّثت الترابا
ولو وزنت حلوم بني نمير   على الميزان ما وزنت ذبابا
فصبراً يا تيوس بني نمير   فإن الحرب موقدة شهابا
لعمر ابي نساء بني نمير   لساءها بمقصبتي سبابا

وعرف الكميت بكثرة تكراره في الشعر ، نحو قوله يمدح بني هاشم : (٢)

فإنهم للناس فيما ينوبهم
غيوث حيا ينفي به المحل ممحل
وإنهم للناس فيما ينوبهم
أكفّ ندىً تجدي عليهم وتفضل
وإنهم للناس فيما ينوبهم
عرى ثقة حيث استقلوا وحلّلوا
وإنهم للناس فيما ينوبهم
مصابيح تهدي من ضلال ومنزل

ومن تكرار الشعراء الأمويين قول الفرزدق ، حيث كرر لفظة (عشية) اربع مرات في اربعة ابيات متتاليات : (٣)

---

(١) ديوان جرير ٢/ ٨١٣

(٢) الهاشميات ٢٤ والروضة المختارة ٦٩

(٣) ديوان الفرزدق ٢/ ٣٣٢ . وابن دخان : لقب باهلة

عشية لم تمنع بنيها قبيلة بعزّ عراقيّ ولا بيمان
عشيّة ما ودّ ابن غرّاء أنه له من سوانا إذ دعا أبوان
عشية ودّ الناس أنهم لنا عبيد ، اذ الجمعان يضطربان
عشيّة لم تستر هوازن عامر ولا غطفان عورة ابن دخان

ومنه تكرار ثابت قطنة في قوله :[1]

فدت نفسي فوارس من تميم غداة الرّوع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس أكنفوني على الأعداء في رهج القتام

ويفرط مالك بن الريب في تكراره ، حين يكرّر لفظة (درّ) سبع مرات في خمسة ابيات حين رثى نفسه بقوله :[2]

فلله درّي يوم اترك طائعا
بنيّ بأعلى الرقمتين وماليا
ودرّ الظباء السانحات عشية
يخبرن اني هالك من ورائيا
ودرّ كبيري اللذين كلاهما
عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودرّ الرجال الشاهدين تفتكي
بأمري الاّ يقصروا من وثاقيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابتي
ودرّ لجاجاتي ودرّ انتهائيا

ولو دققنا في الاشعار التي قيلت في تلك الفترة لوجدنا نماذج كثيرة اخرى من هذا التكرار .

---

(١) الطبري ٦/ ٦١١
(٢). شعراء امويون ١/ ٤٣

الاقتباس :

نهج شعراء صدر الاسلام والعصر الاموي نهج استيحاء القرآن والحديث النبوي . وحاولوا تقليد اسلوبيهما ، فقد كان القرآن يمثل الذروة العليا في البلاغة العربية ويليه الحديث النبوي في ذلك .

فاقتباس الشعراء منهما انما يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية ، وكلما ازداد الشاعر في اقتباسه كان اقرب الى تلك الذروة .

« وليس المقصود بالاقتباس من القرآن تقليده في طريقة معالجته لموضوعاته ، فالغرض الديني الواضح والأصيل في القرآن هو الذي يحكم موضوعاته وتوجيهاته وتعبيراته ، ولكنه ـ مع وفائه بالغرض الديني كاملا ـ يحمل خصائص فنية تصل الى حد الابداع والاعجاز . وذلك الى جانب المفاهيم التي يعرضها عن الكون والحياة والانسان .

وحين نحاول الافادة من القرآن في مجال الفن ، فسنلجأ الى الناحيتين معا ، المفاهيم وطرق الاداء ، ولكن لا لتقليدها ، وانما لالتقاط التوجيه الذي تحمله ، والنسج على منواله فيما ننشىء من الفنون »(١) والشعر في طليعة تلك الفنون .

وليس من السهل ان يستقصي الباحث ما اقتبس الشعراء الاسلاميون من القرآن لانهم كانوا على صلة وثيقة به ، عاشوا معه ، واستمدوا منه أفكارهم ، واكثر صورهم والفاظهم ومعانيهم ، فتلونت اشعارهم بقرآنية واضحة .

ومع ذلك فيمكن تقسيم ذلك الاقتباس الى اربعة انواع هي :

---

(١) منهج الفن الاسلامي ٢٠٩

النوع الأول : اقتباس الآيات القرآنية مع تحوير بسيط او كبير في تركيب الجمل وترتيبها محافظة على الوزن ، وانسجاما مع القافية .

من ذلك قول حسان بن ثابت متحدثا عن الشيطان : (١)

دلاّهم بغرور ثم اسلمهم ان الخبيث لمن والاه غرّار
وقال : اني لكم جار فأوردهم شرّ الموارد فيه الخزي والعار

اقتبس ذلك من قوله تعالى : (٢) « واذ زيّن لهم الشيطان اعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال اني بريء منكم » .

وقال عمار بن ياسر : (٣)

انهم عند ربهم في جنان يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الأبرار خالطه المسـ ـك وكأساً مزّاجها زنجبيلا

اقتبس ذلك من قوله تعالى : (٤) « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عيناً فيها تسمى سلسبيلا » .

وكان الشاعر النعمان بن بشير الأنصاري من اكثر الشعراء تأثرا بالقرآن ، واقتباسا منه ، فقد كاد ينظم الآيات القرآنية شعراً .

وتعد قصيدته الدالية نموذجاً لاقتباس الشعراء من القرآن ، ومن تلك القصيدة قوله : (٥)

قد اتاكم مع النبيّ كتاب صادق تقشعرّ منه الجلود

(١) ديوان حسان ٣٨٨
(٢) سورة الانفال . آية ٤٨ .
(٣) وقعة صفين ٣٦٢
(٤) سورة الدهر . آية ١٨ ، ١٩ .
(٥) شعر النعمان بن بشير ٨٩

اقتبس ذلك من قوله تعالى : (١) « الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم » . وقوله :

فطعامِ الغواة فيها ضريع وشراب من الحميم صديد

اقتبس ذلك من قوله تعالى : (٢) « ليس لهم طعام الا من ضريع » . وقوله تعالى : « والذين كفروا لهم شراب من حميم » .

ومنها :

وترى الناس يحسبون من الكرب سكارى بل العذاب شديد

اقتبسه من قوله تعالى : (٣) « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد » .

والقصيدة كلها تسير على هذا النهج القرآني الواضح . اما موعظته الدالية ، فهي لا تقل عن هذه القصيدة من حيث الاقتباس ، فقد حاول ترجمة الآيات القرآنية ترجمة فيها شيء قليل او كثير من التصرف ، حيث يقول فيها : (٤)

فكيف لو انّ الليل كان عليكم
ظلاما الى يوم القيامة سرمدا
من الخالق الباري لكم كنهاركم
نهارا يجلّي ليله المتغمّدا
ومن ذا الذي إن أمسك الله رزقه
أتاكم برزق مثله غير أنكدا

(١) سورة الزمر . اية ٢٣
(٢) سورة الغاشية . آية ٦ وسورة يونس . اية ٤
(٣) سورة الحج . آية ٢ .
(٤) شعر النعمان ٩٨

فهو يقتبس ذلك من قوله تعالى :(1) « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء » . و « أمنّ هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه » . ومنها :

مرجت لنا البحرين : بحراً شرابه
فرات وبحراً يحمل الفلك اسودا
اجاجا اذا طابت له ريحه جرت
به ، وتراها حين تسكن ركَّدا
فما منكم محصٍ لنعمة ربّه
وان قال ما شا أن يقول وعدّدا

اقتبس ذلك من قوله تعالى :(2) « وهو الذي مرج البحرين ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح اجاج » و « وإنْ تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

وعندما يفخرعبيدالله بن قيس الرقيات بالبيت الحرام قائلا :(3)

ليس لله حرمة مثل بيت نحن حجّابه عليه الملاء
خصّه الله بالكرامة فالبا دون والعاكفون فيه سواء

يأخذ ذلك من قوله تعالى :(4) « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » .

والنوع الثاني : اقتباس المعنى او الفكرة التي وردت في آيات القرآن الكريم .ـ من ذلك قول حسان بن ثابت :(5)

(1) سورة القصص . اية 71 وسورة الملك . 21 .
(2) سورة الفرقان . آية 53 . وسورة ابراهيم . آية 34 .
(3) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات 95
(4) سورة الحج . آية 25
(5) ديوان حسان 377

وهـــل يستـــوي ضلاّل قوم تسفّهوا
عمـــىً وهـــداة يهتـــدون بمهتد

اخذ هذا المعنى من قوله تعالى : (١) « قـل هل يستـوي الأعمـى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » .

أما قوله : (٢)

صلى الالـــه ومـــن يطيف بعرشه
والطيبـــون على المبـــارك أحمد

فقد نظر فيه الى قوله تعالى : (٣) « ان الله وملائكته يصلـون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وقال عبدالله بن رواحة يصف النبي (ص) : (٤)

يبيت مجـــافي جنبـــه عن فراشه
اذا استثقلـــت بالكافـــرين المضاجع

وقد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى : (٥) « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » .

وقال النعمان بن بشير : (٦)

وأخـــرج ذريّاتـــكم من ظهوركم
جميعـــا لكيما تستقيمـــوا ، واشهدا
عليكم ونـــاداكم : ألســـت بربكم ؟
فقلتـــم : بلى عهـــداً علينـــا مؤكدا

(١) سورة الرعد . اية ١٦
(٢) ديوان حسان ٢٠٩
(٣) سورة الاحزاب . آية ٥٦
(٤) الاذكياء ٢٧ .
(٥) سورة السجدة . آية ١٦
(٦) شعر النعمان ٩٥ .

لكيلا يقولوا : انما ضلَّ قبلنا
القرون نصارى هم ومن قد تهوّدا
وكنا خلوفاً بعدهم ، لم يكن لنا
كتاب ، ولم يجعل لنا الله موعدا

وقد اقتبس الشاعر افكاره وحواره من القرآن الكريم في قوله تعالى : (١)

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

وقال جرير : (٢)

لمّا أضلّهم الشيطان قال لهم :
اخلفتكم عند امر الله ميعادي

اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى : (٣) « وقال الشيطان لمّا قضي الأمر : إنَّ الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم » .

وقال الفرزدق : (٤)
إن الرسول قضاه الله رحمته
للناس ، والناس في ظلماء ديجور

اقتبس معنى البيت من قوله تعالى : (٥) « وما أرسلناك إلا رحمة

---

(١) سورة الاعراف . آية ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٢) ديوان جرير ٢/ ٧٤٣
(٣) سورة ابراهيم . آية ٢٢ .
(٤) ديوان الفرزدق ١/ ٢١٥
(٥) سورة الانبياء . آية ١٠٧

للعالمين » .

واللون الثالث من الاقتباس ان يكتفي الشاعر باقتباس اشارة توحي للقارىء اللبيب بآية او اكثر من آيات القرآن الكريم .

من ذلك اشارة كعب بن مالك في قوله :[1]

امر الاله بربطها لعدوّه
في الحرب ان الله خير موفّق
لتكون غيظا للعدو وحيطا
للدار ان دلفت خيول النزّق

حيث يشير الى قوله تعالى :[2] « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ومنه قول ذي الرمة :[4]

وعينان قال الله : كونا فكانتا
فعولين بالالباب ما تفعل الخمر

وهو يشير في هذا البيت الى قوله تعالى :[4] « إنما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » .

وقول جرير :[5]

إنـي لآمل منك خيراً عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجل

(١) ديوان كعب ٢٤٦
(٢) سورة الانفال . آية ٦٠
(٣) ديوان ذو الرمة ٢٩٧
(٤) سورة ياسين . آية ٨٢
(٥) ديوان جرير ٢/ ٧٣٧

والله أنــزل في الكتــاب فريضة
لابــن الســبيل وللفقــير العائل

يشير الشاعر في البيت الثاني الى قوله تعالى : [1] « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله » .

ومعظم ما ذكرنا من قبل في « قصص القرآن في الشعر الاسلامي » يمكن ان يدخل في هذا اللون من الاقتباس .

أما النوع الرابع فهو ان يقتبس الشاعر الآية نفسها ، ويضمنها شعره ، بلا تغيير او تبديل ، وهو قليل ، لان الالتزام به صعب ، وقد لا يستقيم تطبيقه مع وزن الشعر او قافيته .

ومن ذلك القليل قول الحصين بن الحمام المري : [2]

اعــوذ بربــي من المخزيات يوم ترى النفس اعمالها
وخف الموازين بالكافرين وزلزلــت الأرض زلزالها

حيث اقتبس الاخــير من نص الآية : [3] « اذا زلزلــت الأرض زلزالها » .

ومن هذا الاقتباس قول حمزة بن عبدالمطلب في صفات الشيطان : [4]

وقــال لهــم : اذ عاين الأمــر واضحا
برئــت اليكم ما بي اليوم من صبر
فإنــي ارى ما لا ترون وانني
اخــاف عقــاب الله والله ذو قسر

(١) سورة التوبة . آية ٦٠
(٢) الاصابة ١/ ٣٣٥
(٣) سورة الزلزلة . آية ١ .
(٤) ابن هشام ٢/ ٨

اقتبس صدر البيت الثاني من نص الآية : (1) « وقال : اني بريء منكم . اني ارى مالا ترون » .

وكما اقتبس الشعراء من القرآن فقد تواردوا على الحديث النبوي ، يقتبسون من بلاغته الرائعة ، ويعبّون من اسلوبه المشرق ، فقد وهب الله النبي جوامع الكلم كما قال : (2) « بعثت بجوامع الكلم » ومنحه فصاحة المنطق حيث قال : (3) « انا افصح من نطق بالضاد » .

وتلون اقتباس الشعراء من الحديث ايضا ، فكان على أنواع :

النوع الأول : أن يقتبس الشعراء نص الحديث ، ولكنهم يغيرون في بعض الفاظه أو تراكيبه ، محافظة على وزن الشعر او قافيته ، من ذلك قول الشاعر التميمي في حروب الردة ، يمدح قيس ابن عاصم التميمي : (4)

وقال النبي له اذ أتى هو اليوم سيد أهل الوبر

اقتبس ذلك من قول الرسول (ص) عن قيس(5) : هذا سيد اهل الوبر .

ومن ذلك قول النمر بن تولب : (6)

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً
ليصحّني فاذا السلامة داء

اقتبس ذلك من الحديث : (7) « كفى بالسلامة داء » .

ومن هذا الاقتباس قول شاعر الانصار : (8)

---

(1) سورة الانفال . آية ٤٨
(2) اللؤلؤ والمرجان ١٠٤
(3) المقاصد الحسنة ٢٩
(4) الردة ورقة ٢٨
(5) الاصابة ٣/ ٢٤٣
(6) شعر النمر بن تولب ١٢٩
(7) الجامع الصغير ٢/ ٩
(8) بهجة المجالس ١/ ٦٢

وقـال رسـول الله والحـق قوله
لمن قال منـا : من تسمـون سيّدا ؟
فقالـوا له : الجـد بن قيس على التي
نبخّلـه فيهـا وان كان أسودا
فتـى ما تخطـى خطـوة لدنية
ولا - مدّ في يوم الى سوءة يدا
فسـوّد عمـرو بن الجمـوح بجوده
وحـق لعمـرو بالنـدى أن يسودا

وقد اقتبس ذلك من المحـاورة التـي جرت بـين الرسـول (ص) والانصار ، حيث قال الرسول (ص) : [1] « من سيدكم ؟ فقالوا : الجد بن قيس على بخل فيه . فقال عليه السلامْ : أي داء أدوى من البخل ؟ بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح » .

ومن الشعراء الذين اقتبسوا من الحديث ، وتصرفوا في تركيبه بما يوافق الوزن والقافية ، الشاعر الامـوي هدبـة بن الخشرم ، حيث يقول : [2]
واحبـب اذا احببـت حبّـاً مقارباً
فإنـك لا تدري متـى أنـت نازع
وابغض اذا أبغضـت بغضـاً مقاربا
فإنـك لا تدري متـى انـت راجع

اخذ ذلك من قول الرسول (ص) : [3] « احبب حبيبك هوناً ما ، عسى ان يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هوناً ما ، عسى ان يكون حبيبك يوماً ما » .

---

(١) م . ن وانظر ابن هشام ١/ ٤٦١

(٢) امالي القالي ٢/ ٢٤

(٣) صحيح الجامع الصغير ١/ ١١١ وسنن الترمذي ١٩٩٧

والنوع الثاني من الاقتباس أن يختصر الشاعر كلمات الحديث بألفاظ قليلة ، تناسب طبيعة الشعر ولا تخل بالمعنى ، او يرمز الى حديث باشارة سريعة ، من ذلك قول بجيد بن عمران الخزاعي يفخر بقومه : (١)

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا
ركام سحاب الهيدب المتراكب

وهو يشير بذلك الى قول الرسول (ص) حين استنصره عمرو بن سالم الخزاعي : (٢) « نصرت يا عمرو بن سالم » ثم عرض لرسول الله (ص) سحاب من السماء ، فقال : « ان السحابة لتستهل بنصر بني كعب » .

ومن هذا النوع قول احد ابناء سعد بن معاذ الانصاري : (٣)

وما اهتز عرش الله من موت هالك
سمعنا به الا لسعد ابيّ عمرو

يشير بذلك الى قوله (ص) : (٤) « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » . ومنه قول حسان بن ثابت : (٥)

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

اقتبس ذلك من قول الرسول (ص) : (٦) « ان الله جعل لجعفر جناحين مضرجين بالدم ، يطير بهما مع الملائكة » .

واللون الثالث من اقتباس الحديث هو اقتباس النص الحرفي

(١) ابن هشام ٢/ ٤٢٨
(٢) م . ن
(٣) الاستيعاب ٢/ ٢٩
(٤) اللؤلؤ والمرجان ٦٦٦
(٥) ديوان حسان ٢٢٣
(٦) صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٢٠

للحديث وهذا اللون قليل وصعب ، كما كان في اقتباس القرآن قليلا وصعب التحقيق ، فلم أجد له مثالا من العصر الاسلامي او الاموي ، الا انه شاع في العصور التالية ، كقول صالح بن عبدالقدوس من العصر العباسي : [1]

احفظ لسانك ان تقول فتبتلي
ان البلاء موكل بالمنطق

اخذ ذلك من نص الحديث[2] « البلاء موكل بالمنطق » . ومنه قول الامام الشافعي : [3]

عفوا تعف نساؤكم في المحرم
وتجنبوا مالا يليق بمسلم

اقتبس نص الحديث : [4] عفوا تعف نساؤكم » .

الافكار :

وقد نلمس اثر الاسلام واضحا في الافكار التي كان يتناولها الشعراء سواء في العصر الاسلامي او الاموي ، فتكررت في اشعارهم ، وتوارد عليها الشعراء في كل مكان .

ومن تلك الافكار الاسلامية الجديدة فكرة (ان الملك والحكم لله وحده ، لا رادّ لأمره ، ولا تبديل لقضائه) .

وهي فكرة رددها القرآن ، واكدها في اكثر من سورة من سوره ، نحو قوله تعالى : « ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير » و « إنْ الحكم إلا لله » و « ولا مبدّل لكلمات الله » و « ليقضي الله امراً كان مفعولا » [5]

---

(١) حماسة البحتري ١٩٨
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٢٨
(٣) ديوان الشافعي ٧٦
(٤) الجامع الصغير ٢/ ٦٠
(٥) آل عمران . آية ١٨٩ والانعام . آية ٥٧ ، ٣٤

قال حسان بن ثابت في يوم بدر : [1]

وتعلــم ان الملك لله وحده
وان قضـــاء الله لا بدّ واقع

وقال العباس بن مرداس : [2]

اقــام به بعــد الضلالــة امرنا
وليس لأمــر حمّــه الله دافع

وتناول النعمان بن بشير فكرة « الملك والحكم لله وحده » : [3]

مالك الملك لا يشــارك فيه
ولــه الحــكم فاعــلا ما يريد

وأكد جرير وهو يخاطب عبدالملك بن مروان فكرة (لا تبديل لقضاء الله) . [4]

الله طوّقــك الخلافــة والهدى
والله ليس لما قضى تبديل

ومن الافكار التي ترددت في شعر تلك الفترة فكرة (فناء كل شيء سوى الخالــق سبحانــه وتعــالى) وهــي فكرة قرآنية ايضــا ، قال تعالى : [5]

« كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

ردد النعمان بن بشير هذه الفكرة فقال : [6]

كل شيء سوى المليك يبيد
ولا يبيد المسبَّح المحمود

---

(١) ديوان حسان ٢٤٢
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٩٦
(٣) شعر النعمان بن بشير ٨٥
(٤) ديوان جرير ١/ ٩٤
(٥) سورة الرحمن . آية ٢٦ ، ٢٧
(٦) شعر النعمان ٨٥

كما تداولوا فكرة « حتمية الموت » وان الاجل لا يتقدم ولا يتأخر » وهي فكرة قرآنية ايضا ، تحدثت عنها الآيات القرآنية في اكثر من سورة ، من ذلك : « لكل اجل كتاب » و « كلٌ يجري لأجل مسمى » و « إن اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون » و « لكل أمة أجل ، فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .(١)

لقد كان لهذه الآيات وغيرها مما عالج قضية الأجل المحتوم صدى عميق في افكار الشعراء واشعارهم ، فنهلوا منها ، وتفننوا في طريقة عرض فكرتها ، فتعددت اساليبهم في ذلك ، نحو قول محمد بن خالد بن الوليد :(٢)

هل في الخلود الى القيامة مطمع ؟
أم للمنون عن ابن آدم مدفع ؟
هيهات ما للنفس من متأخر
عن وقتها لو أن علماً ينفع

وترددت هذه الفكرة في قول وضاح اليمن :(٣)

سأصبر للقضاء فكل حيّ سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها من الاحياء ذو عين رموق
وللأحياء ايام تقضّى يلف ختامها سوقاً بسوق

وعالج الفرزدق هذه الفكرة باسلوب آخر فقال :(٤)

ألا كل شيء في يد الله بالغ
له اجل عن يومه لا يحوّل

(١) سورة الرعد . اية ٣٨ ونوح . اية ٤ والاعراف ٣٤
(٢) معجم الشعراء ٣٤٥
(٣) الاغاني ٦/ ٢٢٩
(٤) ديوان الفرزدق ٢/ ٧٩

وتناول عمر بن معمر الهذلي هذه الفكرة ، ونفذ اليها من خلال رثائه مصعب وعبدالله ابني الزبير : [1]

فإنْ يك هذا الدهــر اودى بمصعب
واصبــح عبــدالله شلــوا ملحبا
فكل امــرىء حاسٍ من الموت جرعة
وإنْ حاد عنهــا جهــده وتهيّبا

وترددت فكرةالبعث والنشور والحساب والجـزاء في اشعـار هذه الفترة ، وقد تطـرق القـرآن الـكريم الى هذه الافـكار في عشرات الآيات ، منها قوله تعالى : « قل بلى وربي لتُبعثنّ » و « بل كانوا لا يرجون نشوراً » و « ثم انّ علينا حسابهم » و « ليجزي الله كلَّ نفس ما كسبت » . [2]

فالامام علي يؤكد ان الانسـان لم يخلـق سدى ، وانـه سيبعـث ليحاسب على ما قدمت يداه ، وليسأل عما اكتسب فيقول : [3]

ولــو أنــا اذا متنــا تركنا
لــكان الموت راحــة كل حي
ولكنــا اذا متنــا بعثنا
ونســأل بعــده عن كل شيء

ويتحدث النابغة الشيباني عن النشور ، فيقول : [4]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧/ ٤٢٢

(٢) سورة التغابن . آية ٧ وسورة الفرقان . آية ٤ . والغاشية . آية ٢٦ . وابراهيم . آية ٥١

(٣) ديوان علي ٦٤

(٤) ديوان النابغة ١٦

ألا ايها الانسان ، هل انت عامل ؟
فإنك بعد الموت لا بدّ ناشر

ويعلن ابو صخر الهذلي ايمانه بالبعث والحساب ، فيقول : [1]

ولولا يقين أنما الموت عزمة
من الله حتى يبعثوا للمحاسب
لقلت له فيما ألم برمسه :
هل انت غداً غادٍ معي فمصاحبي ؟

ويتحدث بجير بن زهير عن يوم القيامة والحساب ، فيقول : [2]

الى الله - لا العزى ولا اللات - وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار الا طاهر القلب مسلم

أما النابغة الشيباني فانه تناول فكرة الحساب والجزاء فقال : [3]

ومن يعمل الخيرات او يخط خاليا
يجاز بها أيام تبلى السرائر

وتناول الشعراء فكرة (الهدايةوالضلال من الله تعالى) وقد تناول القرآن هذه الفكرة في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : [4] « ومن يضلل الله فما له من هادٍ ، ومن يهد الله فما له من مضلّ » .

ويتحدث جرير عن هذه الفكرة بدقة ، فيقول : [5]

من يهده الله يهتد لا مضلّ له
ومن أضلّ فما يهديه من هاد

---

(١) شرح اشعار الهذليين ٩١٩
(٢) ابن هشام ٢/ ٥٠٢
(٣) ديوان النابغة الشيباني ١٦
(٤) سورة الزمر . آية ٢٦ ، ٣٧
(٥) ديوان جرير ٢/ ٧٤٣

الاسلوب

قد لا يختلف الشعر الاسلامي عن الشعر الجاهلي في أسلوبه كثيراً ، لأنه امتداد له ، ولأن شعراء الاسلام هم انفسهم شعراء الجاهلية ، ولذلك سموا بـ (المخضرمين) وهو مصطلح أدبي جديد يعني من أدرك عصر الجاهلية وعصر الاسلام ، وقال الشعر فيهما .

ومع ذلك فثمة خصائص جديدة بدأت مع الاسلام ، الذي فتح أمام الشعراء آفاقاً رحبة جديدة لم يلجوها من قبل ، ثم تعمقت تلك الخصائص وتأكدت في العصر الأموي ، سواء من حيث بناء القصيدة وتقاليدها ، أو الصور والاخيلة ، أو الألفاظ والتراكيب والمعاني .

بناء القصيدة وتقاليدها :

لقد تحرر معظم الشعراء في هذا العصر من الالتزام بكثير من تقاليد الجاهليين في اشعارهم ، كمخاطبة الاثنين ، وهو التقليد الذي يحرص الشعراء الجاهليون على إيراده في أشعارهم ، لطبيعة حياتهم المحتاجة الى الأصحاب والرفاق .

كما تحرروا في الحديث عن تجربة الناقة والجمل والصحراء والرحلة ، وما يستتبعها من ألفاظ تعبر عن تلك الرحلة .

تلك التجارب التي كان يحفل بها الشعر الجاهلي ، واستبدلوا بها تجارب جديدة ، اقتضتها طبيعة حياتهم الجديدة .

وتحرر معظم الشعراء من المقدمات الطللية او الغزلية التقليدية ، واستبدلوا بها احيانا مقدمات دينية جديدة ، ظهرت بدايتها في العصر الاسلامي ، ثم شاعت فيما بعد في العصر الاموي ، وقد تكون مقدمة الشاعر الاسلامي عبدالله بن الاحمر الأزدي بداية تلك المقدمات ،

حيث يقول فيها[1] :

صحــوت وودّعــت الصبــا والغوانيا
وقلــت لأصحابــي : أجيبــوا المناديا
وقولــوا له اذ قام يدعــو الى الهدى
وقبــل الدعــا : لبيك لبيك داعيا

يقول الدكتور يوسف خليف عن هذه المقدمة[2] : « والشيء الذي نريد ان نسجله هو أن هذه المقدمة تعد شيئا جديداً في الشعر العربي في ذلك الوقت .

وانها تعدّ ـ بلا شك في ذلك عندي ـ مقدمة لظهور المقدمات الدينية فى هاشميات الكميت » .

وقد انتشرت هذه المقدمات الدينية في العصر الأموي ، وتحتوي دواوين الكميت والعجاج ورؤ بة وذي الرمة على الكثير منها .

وتصدرت اشعار تلك الفترة لفظة (أبلغ) ومشتقاتها ، وتكررت في مطالع كثير من قصائد الشعراء ، لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على اشعارهم ، ولحرص كل فريق على إيصال خطابه الى الفريق الآخر .

فحسان بن ثابت مثلا يصدّر قصيدته في هجاء أبى سفيان بن الحارث بقوله[3] :

أبلــغ أبــا سفيان أن محمدا
هو الغصن ذو الافنان لا الواحد الوغد

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٩٣

(٢) حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ٣٨٢

(٣) ديوان حسان ١١٨

ويصدّر قصيدته في هجاء أبي لهب بقوله[1] :

أبلـغ أبـا لهـب بأنّ محمداً
سيعلـو الـذي يهـوى وإن كنـتَ راغما

وحين يهجو الضحاك بن خليفة الأشهلي يبدأ شعره بقوله[2] :

الا أبلـغ الضّحـاك أن عروقه
أعيت على الاسـلام أن يتمجّدا

وفي مقدمـات ديوانـه عشرات المواضـع التـي تبـدأ بمثـل هذا اللفظ[3] .

ونجد هذه الصيغة في مطالع قصائد كعب بن مالك أيضا ، مثل قوله [4] :

أبلـغ أبيّاً أنـه فال رأيه
وحـان غداة الشعـب والحـين واقع

وقوله[5] :

من مبلـغ الأنصـار عنـي آية
رسـلاً تقصّ عليهـم التبيانا

وقد شاع هذا التقليد عند كثير من الشعراء بعد حسان وكعب ، كالوليد بن عقبة الذي يقول[6] :

(١) م . ن ١٥٤
(٢) م . ن ٣٠٢
(٣) انظر ديوان حسان ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
(٤) ديوان كعب بن مالك ٢١٧
(٥) نفسه .
(٦) شعراء أمويون ٣/ ٥٥

ألا أبلــغ معــاوية بن حرب
فإنــك من أخــي ثقــة مليم

وأبى الأسود الدؤ لي الذي يقول[1] :

ألا ابلـغ معـاوية بن حرب
فـلا قرّت عيون الشامتينا

والمتوكل الليثي الذي يقول[2] :

أبلــغ أبــا إسحــاق إن جئته أنــى بكرسيكم كافر

وثمة تركيب حرص الشعراء على تكراره في مطالع قصائدهم ، وهو « يا راكبا إما عرضت فبلغن » كقول حسان[3] :

يا راكبــا إمــا عرضــت فبلغن
على النــأي منــي عبــد شمس وهاشما

وكان يعد من الذخائر الفنية ، فقد توارد عليه كثير من الشعراء في ذلك العصر ، فأورده حسان في مطلع قصيدة أخرى[4] ، واستهل به عبدالله بن الحارث إحدى قصائده[5] ، وكذلك عبدالله بن الزبير الاسدي[6] .

ونتيجة للصراع العقائدي بين المسلمين والمشركين ، أو المنافقين ، وبين المسلمين واهل الكتاب في صدر الاسلام ، ثم بين الاحـزاب السياسية المختلفة في العصر الأموي بعد ذلك ، فقد برز تيار جديد في اسلوب الشعـر العربـي ، يعتمـد المناقشـات المنـطقية والمناظـرات

(١) ديوان أبي الاسود الدؤ لي ١٧٥ (الدجيلي)
(٢) الطبري ٦/ ٨٤
(٣) ديوان حسان ١٠٤
(٤) ديوان حسان ١١١
(٥) ابن هشام ١/ ٣٣٠
(٦) الاغاني ١٣/ ٣٨

الفكرية ، المستمدة من أصول الدين أو فروعه ، وهو أسلوب قرآني جديد ، حيث وضع القرآن الأسس الأولى لهذا المنهج ، عندما ناقش المشركين في عقائدهم ، وكذلك أهل الكتاب أو المنافقين ، ممن كان يقف ضد رسالة الاسلام .

ونصادف كثيراً من تلك المناقشات لأفكار الناس ومعتقداتهم في سورة التوبة ، حتى انها سميت (الفاضحة) لما كشفت من سرائر الناس[1] . وفي سورة البقرة والمائدة[2] .

لقد ناقش القرآن في آيات تلك السور المشركين والمنافقين وأهل الكتاب ، بإقامته الحجج الدامغة ، وإلزامهم الأدلة الواضحة البينة ، من خلال إيراد أفكارهم ثم نقضها بتضعيف ما تستند إليه من البراهين والحجج . وهو أسلوب جديد على العرب ، سواء في التفكير أو في طريقة النقاش .

وقد كان لهذا الاسلوب صداه الكبير في أشعار المسلمين ، فانتفعوا به واندفعوا في سلوك طريقه . وإن كان ذلك متأخراً . فقد غاب هذا الاسلوب عن أشعار صدر الاسلام ، ولم نجد صداه إلا في بعض الشذرات المتناثرة في أشعارهم ، كقول حسان بن ثابت لابى سفيان بن الحارث قبل فتح مكة[3] .

هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفو
فشرُّكما لخيركما الفداء

---

(١) انظر اللؤلؤ والمرجان ٣/ ٨٤٣

(٢) سورة البقرة الآيات ٨ ـ ٢٠ ـ ٧٥ ـ ١٠٢ والمائدة الآيات ٥١ ـ ٦٦

(٣) ديوان حسان ٧٦

وفي هذين البيتين نفحة من اسلوب القرآن في المناقشة ، وقد قيل عن البيت الثاني « انه أنصف بيت قالته العرب » .

وتأكد هذا الاسلوب في العصر الاموي ، وجسده شعراء الاحزاب والفرق الاسلامية ، بعد ان ساد في عصرهم علم الكلام والجدل في مسائل العقيدة داخل حلقات الدرس والمناظرة .

ونلمح طرفاً من هذا الاسلوب في المناقشات العقلية في قصيدة كعب بن جعيل ، شاعر الامويين ، حين أبى معاوية أن يبايع لعلي ابن ابي طالب (رض) حيث قال [١]:

أرى الشام تكره ملك العراق ... واهل العراق لهم كارهينا
وكلٌّ لصاحبه مبغض ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
وقالوا : عليٌّ إمام لنا ... فقلنا : رضينا ابن هند رضينا
وقالوا : نرى أن تدينوا به ... فقلنا لهم : لا نرى أن ندينا
وكلّ يسرّ بما عنده ... يرى غثّ ما في يديه سمينا
وما في عليّ لمستعتب ... مقال سوى ضمّه المحدثينا
وليس براضٍ ولا ساخط ... ولا في النهاة ولا الآمرينا

ويسير على هذا النهج من ايراد الحجج والمناقشات الفكرية .

وكانت هاشميات الكميت مجموعة من المناظرات والمناقشات المعتمدة على الاقناع الفكري ، الذي يستعين فيه الشاعر بآيات القرآن وأحكامه ، عندها يريد تقرير حق الهاشميين في الخلافة ، حيث يقول [٢] :

(١) الأخبار الطوال ١٦٢
(٢) الهاشميات ص ٣٧

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم
فلم أر غصبا مثله يتغصَّب
وجدنا لكم في آل حاميم آية
تأوّلها منا تقيٌّ ومعرب
وفي غيرها آياً وآيا تتابعت
لكم نصب فيها لذي الشكّ منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا
وبالفذّ منها والرَّدّ يفين نركب
وقالوا : ورثناها أبانا وأمّنا
وما ورّثتهم ذاك أمٌّ ولا أب
يرون لهم فضلا على الناس واجبا
سفاها وحقّ الهاشميين أوجب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي
به دان شرقيّ لكم ومغرّب
فدىً لك موروثاً أبى وأبو أبي
ونفسي ، ونفسي بعد بالناس أطيب
وتستخلف الأموات غيرك كلهم
ونعتب لو كنا على الحقّ نعتب
يقولون : لم يورث ولولا تراثه
لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعكٌّ ولخم والسكون وحمير
وكندة والحيّان بكر وتغلب
ولا نتشلت عضوين منها يحابر
وكان لعبد القيس عضو مؤ رّب[1]

(١) كل هذه الاسماء بطون واحياء عربية . ومؤ رب : تام .

وما كانت الأنصار فيها أذلة
ولا غيّبا عنها إذ الناس غيّب
هم شهدوا بدراً وخيبر بعدها
ويوم حنين والدماء تصبّب
فإن هى لم تصلح لحيّ سواهم
فإنّ ذوى القربى أحقّ وأقرب

والشاعر في هذه الابيات يستند الى القرآن وآياته ، في سورة حاميم والشورى ، وغيرها ، في قوله تعالى[1] : « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودّة في القربى » ، وقوله تعالى[2] : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، وقوله تعالى[3] « فإنّ لله خمسه وللرسول ولذى القربى » التي تحدثت عن حق آل البيت وذوى القربى ، وهو يناقش مسألة الوراثة ليخلص إلى تبيان تناقض الأمويين في نفيهم الوراثة وقولهم انهم أهل ميراثه ، ولو كانت الخلافة لا تورث لصارت من حق كل القبائل التي ذكر بعضاً منها في شعره ، ولأصبح الانصار ، وهم السابقون في نصرة الاسلام ، أولى بها من غيرهم ، ثم طالب بتطبيق قانون الوراثة ، لردّ الخلافة الى ورثة الرسول الحقيقية وهم أهل بيته .

إن هذه المناقشات المنطقية ، والاحتجاجات العقلية ، لون جديد لم يعرفه أسلوب الشعر العربي من قبل .

وقد أثر هذا الاسلوب في النقاش بمن جاء بعد الكميت من الشعراء ، مثل الشاعر الاموى ابراهيم بن المهاجر البجلي ، وهو من

---

(١) سورة الشورى . آية ٢٣

(٢) سورة الاحزاب . آية ٣٣ .

(٣) سورة الانفال . آية ٤١

أوائل الدعاة العباسيين في العصر الاموي ، فسلك مسلك الكميت عندما اراد مناقشة الامويين حول حق بني العباس في الخلافة ، حيث يقول[1] :

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل العجب
عجباً من عبد شمس ، أنهم فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه يحرز الميراث إلا من قرب

وظهر هذا الاتجاه من المناقشات العقلية عند بعض الشعراء الخوارج ، وانشغلوا بالمجادلات فيما بينهم حتى قال شاعرهم[2] :

ما كان أغنى رجالا ضلّ سعيهم
عن الجدال واغناهم عن الخطب
كنا أناسا على دين ففرّقنا
طول الجدال وخلط الجد باللعب

وسبق لنا ذكر مناقشة شاعر الخوارج خصومهم ، عندما انتصر أربعون منهم على الفي رجل من خصومهم .

وازدهر هذا الاتجاه الشعري في أوساط الفرق الدينية ، كالمرجئة وغيرهم ، وقد ترك شعراؤهم كثيراً من تلك المحاورات والمناظرات القائمة على العقل والمنطق ، مثل قصيدة شاعر فرقة المرجئة ثابت قطنه ، حيث يقول[3] :

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٣٣ .
(٢) البيان والتبيين ١/ ٤٢
(٣) الاغاني ١٣/ ٩٥ (دار الفكر بيروت)

يا هنـد فاستمعـي لي إن سيرتنا
أن نعبـد الله لم نشرك به أحدا
نرجـي الأمـور إذا كانـت مشبّهة
ونصـدق القـول فيمـن جار أو عندا

وهى طويلة ، تسير على هذا النهج في عرض الأفكار ومناقشة أفكار الاخرين .

ويروى المؤرخون[1] : ان الخليفة عمر بن عبد العزيز طلب قادة المرجئة وناظرهم في عقائدهم ، فخرج احدهم وهو عون بن عبد الله الهذلي بعد المناقشة متبرئا من مذهب المرجئة . ثم انشد أبياتا طويلة ناقش فيها آراءهم ، مستنداً الى الحجج المنطقية فيما كان يذهب إليه ، ومنها قوله :

وأول ما نفـارق غـير شك ... نفـارق ما يقـول المرجئونا
وقالوا : مؤمـن من أهـل جور ... وليس المؤمنـون بجائرينا
وقالوا : مؤمـن دمـه حـلال ... وقـد حرمـت دمـاء المسلمينا

ويحمل نصر بن سيار على المرجئة ، مسفهاً عقائدهم ، مخطئاً سيرتهم ، متهما إياهم بالشرك ، وتعد قصيدته في ذلك طرفاً مما كان يدور من مناقشات فكرية ، حيث يقول[2] :

فامنح جهادك من لم يرج آخرةً ... وكن عدواً لقـوم لا يصلّونا
واقتـل مواليهـم منـا وناصرهم ... حينـا تكفّرهـم والعنهـم حينا
والعائبـين علينـا ديننـا وهم ... شرّ العبـاد إذا خابرتهـم دينا

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٢٨

(٢) الطبري ٧/ ١٠٠

والقائلين سبيل الله بغيتنا لبعد ما نكبوا عما يقولونا
فاقتلهم غضبا لله منتصراً منهم به ودع المرتاب مفتونا
إرجاؤكم لزّكم والشرك في قرن فأنتم أهل إشراك ومرجونا
لا يبعد الله في الأحداث غيركم اذ كان دينكم بالشرك مقرونا
القى به الله رعباً في نحوركم والله يقضى لنا الحسنى ويعلينا

وتزخر قصائد الشعراء الكبار في العصر الأموي بمثل هذه المناقشات لتقرير حق بني أمية في الخلافة .

ويسير على منهاجهم في ذلك أكثر الشعراء الآخرين الذين كانوا يدورون في فلك الخلفاء الامويين وعمالهم .

وفي نقائض العصر الأموي طرف من تلك المحاورات والمناقشات الفكرية ايضاً .

الصور والاخيلة :

استمد شعراء هذا العصر كثيرا من صورهم عن النور والضياء والقمر والنجوم ، لما لهذه الاشياء في حياة العرب من مكانة وأهمية ، ولما يحّسه الشعراء في بيئتهم من رهبة الظلام وقسوته ، فالرسول نور عند حسان(١) :

وأرسله في الناس نوراً ورحمة فمن يرض ما يأتي من الأمر يهتد

وهو الضياء والنور أيضا(٢) :

كان الضياء وكان النور نتبعه وكان بعد الإله السمع والبصرا

(١) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٥ وانظر ٢٠٨ و ٢٠٩ .
(٢) م. ن ٢١٠ .

وهو كالهلال[1] :

مثل الهلال مباركا ذا رحمة ... سمح الخليقة طيّب الأعواد

وهو السراج المستنير[2] :

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهنّد

وهو الشهاب والبدر معاً[3] :

وافٍ وماض شهاب يستضاء به ... بدر أنار على كل الأماجيد

والرسالة نور عنده أيضا[4] :

فلما أتانا رسول الإله ... بالنور والدين بعد الظلم

والقرآن نور كذلك[5] :

ينتابنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام
يتلو علينا النور فيها محكما ... قسماً لعمرك ليس كالأقسام

وهو نور في شعر عمرو الجهني ايضا[6] :

كتاباً من الرحمن نور لجمعنا ... وأحلافنا في كل باد وحاضر

والرسول شهاب يتبعه النور في شعر كعب بن مالك[7] :

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضيء له فضل على الشهب

ومصعب بن الزبير شهاب من الله عند ابن قيس الرقيات[8] :

---

(١) م . ن ٣٣٨ .
(٢) م . ن ٣٣٩ .
(٣) م ن ٢٤٢ .
(٤) م . ن ١٣٩ .
(٥) م . ن ١٤٣ .
(٦) الاصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٥٢
(٧) ديوان كعب بن مالك ١٧٤
(٨) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ٩١ .

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

والمسلمون نجوم في شعر كعب بن مالك [1] :

أولاك نجوم لا يغبّك منهم
عليك بنحس في دجى الليل طالع

والقرآن كالمجرة عند النابغة الجعدي [2] :

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرّة نيرا

وكثيرا ما لجأ الشعراء ، في صورهم الى القرآن ، يستمدون منه أخيلتهم وتشبيهاتهم .

فالنابغة الجعدي حينما يريد توكيد صفات الله تعالى لا يجد خيرا من صور القرآن الغنية ، فيستعير منها ، ليؤكد القدرة الالهية في قوله [3]

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار وفي الليل نهاراً يفرّج الظلما

وهو قد استعار تلك الصورة من قوله تعالى [4] : « تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل » .

وعندما يقول معن بن أوس [5] :

فما زلت في ليني له وتعطّفي عليه كما تحنو على الولد الأم

---

(1) ديوان كعب بن مالك ٢١٩

(2) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣/ ٥٥٣ .

(3) شعر النابغة ١٣٢ .

(4) آل عمران . آية ٢٧ .

(5) ديوان معن بن أوس المزني ٤٥ .

وخفض له منـى الجنـاح تألفاً لتـدنيه منـى القرابـة والرحم

فهو متأثر إلى حد بعيد بالصـورة القـرآنية التـي وردت في قولـه تعالى(١) : « واخفض لهما جناح الذّل من الرحمة » .

والكميت يصور حالته بحالة نبيّ الله موسى ، عندما وكز الرجل فأصبح في المدينة خائفاً يترقب(٢) :

ألـم ترنـى في حبّ آل محمد أروح وأغـدو خائفـاً أترقّب

وهذه الصورة وردت في قوله تعالى (٣) : « فأصبح في المدينة خائفا يترقب » .

وعندما يقول الكميت(٤) :

ألـم يتدبـر آية فتدلّه
على ترك ما يأتـى أم القلـب مقفل ؟

فهو ـ من غير شك ـ متأثر بالصورة التي رسمها القرآن في قوله تعالى(٣) : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

ويفزع الفرزدق الى القرآن ، يستمدّ منه صورة بيت العنكبوت في الوهن فيقول(٥) :

ضربـت عليك العنكبـوت بنسجها
وقضى عليك به الكتـاب المنزل

وهى الصورة التي رسمها القرآن في قوله تعالى(٦) : « مثل الذين

(١) الاسراء . اية ٢٤ .
(٢) القصص . آية ١٨
(٣) الهاشميات ٢٤ .
(٤) سورة محمد . آية ٢٤
(٥) ديوان الفرزدق ٢/ ١٥٥
(٦) العنكبوت . آية ٤١ .

اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت » .

ولما طلّق الفرزدق زوجته النوار ثم ندم عليها ، صوّر خروجه من نعيم حياته معها بصورة قرآنية ، هي صورة خروج آدم من الجنة ، فكلاهما عصى وخالف فعوقب ، يقول (١) :

ندمت ندامة الكسعيّ لمّا غدت منّى مطلّقة نوار
وكانت جنتي ، فخرجت منها كآدم حين لجّ به الضرار

ويقول تعالى(٢) : « وعصى آدم ربّه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعا » .

وعندما كان ذو الرمة يرسم حيوانات الصحراء ، كان يستعير الصور الاسلامية الجديدة في تلك الرسوم والتشبيهات ، من مثل قوله (٣) :

فكرّ يمشق طعناً في جواشنها كأنه الأجر في الاقبال يحتسب

ومثل هذه الصور كثيرة ، نجدها مثبوتة في الدواوين الاسلامية والاموية،وقد استمد الشعراء تلك الصور من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية التي الفوها ، فطعنات الرماح كفم السقاء الذي يتدفق ماؤه ويسيل ، ليبين الشاعر سعتها : (٤)

تكرّ القنا فيكم كأن فروعها
عزالى مزاد ماؤها يتهزع

(١) ديوان الفرزدق ١/ ٢٩٤ الكسعى : شخص يضرب به المثل في الندامة .
والضرار : العصيان والمخالفة .

(٢) طه . آية ١٢١ - ١٢٣

(٣) ديوان ذي الرمة ٦ .

(٤) ديوان كعب بن مالك ٢٦٦ .

والحرب كالناقة ، كلما شدّ على ضرعها درّت اكثر ، ليوضح شدة الحرب ، فيقول : (١)

ألسنا نشد عليها العصا ... ب حتى تدرّ وحتى تلينا

وراية المسلمين تخفق فوق الجيش الاسلامي كطرف السحابة الرقيقة في سرعة حركتها ، كما يقول العباس بن مرداس : (٢)

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع
امام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع

وقد استخدم الشعراء في تصويرهم مجموعة من الصور الشعرية المتحركة ونجد ذلك واضحاً في اشعار الخوارج التي تزخر بمثل تلك الصورة ، من ذلك قول عمرو بن الحصين العنبري : (٣)

في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفيّة والقنا السمر
متأهبون لكلّ صالحة ... ناهون من لاقوا عن النكر
إلا تجيئهم فإنهم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضًى ... للموت بين ضلوعهم يسري
تلقاهم ، ألأ كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر
فهم كأن بهم جوى مرض ... أو مسّهم طرف من السحر

وهكذا تتتابع الصور في بقية القصيدة .

---

(١) م . ن ٣٦٠
(٢) ابن هشام ٢/ ٤٦٣
(٣) شعر الخوارج ٨٤ .

أثر الثقافة في الشعر :

كتب الشعر الاسلامي والأموي في ظل ثقافة اسـلامية جديدة ، انتشرت في ارجاء الدولة ، حيث كانت تواجه الشعراء صباح مساء حيثما وجدوا ، واينما ساروا ، في المساجد ، وفي الاسواق وفي مجالس العلم وحلقات الفقه او الذكر، لأن الاسلام دين ونظام حياة ، فثقافته تشمل كل جوانب الحياة ، ويلهـج بهـا كل مسلـم ، بقـدر علمـه وبمستوى تفكيره .

ولذلك نجد لتلك الثقافة صدى كبيرا عند الشعـراء ، حتـى في بعض تفصيلاتها الفقهية احيانا .

ولا غرو في ذلك فكبار الشعراء في العصر الاموي كانوا يلزمون حلقات الفقه والعلم ، فقـد روي ان الفـرزدق كان يلـزم الحسـن البصري ، وان جريرا كان يلزم حلقة ابن سيرين .[1]

ويظهـر اثـر تلك الثقافـة في الشعـر الأمـوي بصـورة خاصـة ، وواضحة، ومما روي في ذلك ان رجلا سأل الحسن البصري يومـا ، وعنده الفرزدق ، عن اليمين اللغو في الكلام ، من مثل (لا والله) فقال الفرزدق له : أوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ فقال الحسن : ما كل ما قلت سمعوا ، فما قلت ؟ فقال : قلت :

ولسـت بمأخـوذ بلغـو تقوله
اذا لم تعمـد عاقـدات العزائم

ولم ينشب ان جاء شخص آخر ، فسأل الحسـن عن سبيّة الحـرب

(١) العقد الفريد ٣/ ١٦٩ .

المتزوجة ، أتحل لمن سباها ؟ فقال الفرزدق ايضا : اوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ وأنشد :

وذات حليل أنكحتنا رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق(١)

ويظهر اثر ثقافتهم التأريخية الدينية في اشعارهم ايضا ، ونجد شذرات من الاشارات السريعة في ذلك ، وهي تعبر عن محاولات توظيف تلك المعارف في اشعارهم . من ذلك قول كثير عزة ، متحدثا عن محمد بن الحنفية :(٢)

هو المهدي خبرناه كعب
اخو الاحبار في الحقب الأوالي

وهو يريد كعب الاحبار الذي اخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من اخبار الامم الغابرة ، كما حدث بالكتاب والسنة كثيرا ايضا .

وأودع الشعراء قصائدهم ما كانوا يختزنون من معارف واخبار سمعوا بها او اطلعوا عليها في كتب الاقدمين .

ولنسمع الفرزدق يتحدث عن سليمان بن عبدالملك بهذه الطريقة فيقول :(٣)

أنت الذي نعت الكتاب لنا
في ناطق التوراة والزبر

---

(١) الاغاني (ساسي) ١٩/ ١٤

(٢) ديوان كثير عزة ١/ ٢٧٥

(٣) ديوان الفرزدق ١/ ٢٦٤

كم كان من قسّ يخبّرنا
بخلافة المهدي ، او حبر
جعل الاله لنا خلافته
برء القروح وعصمة الجبر

وحتى في اشعار الغزل نجد هذا التوظيف الذي تحدثنا عنه ، فقد افاد وضاح اليمن من فكرة الحلال والحرام ، والترخيص في اللمم عندما قال :[1]

اذا قلت يوما نوليني تبسمت
وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نوّلت حتى تضرعت عندها
واعلمتها ما رخّص الله في اللمم

وينتفع جرير بثقافته الاسلامية عندما يهجو الاخطل فيتحدث بطريقة تظهر ما لديه من معرفة بقواعد الحرب في الشريعة، عندما يبين انه لولا ما يدفع قوم الأخطل من الجزية، وهم اهل كتاب ، لسباهم المسلمون ، ولأصبحت اموالهم غنائم للمسلمين :[2]

لولا الجزى قسم السواد وتغلب
في المسلمين فكنتم انفالا

وقد مرت بنا ابيات جرير التي فخر فيها بانبياء الله ، وذكر منهم عددا كبيرا مشيرا الى قصة كل منهم بايجاز شديد ، ولكنه يعبر عن ثقافة قرآنية وتأريخية واسعة، وهي الابيات التي بدأها بقوله :

(١) الاغاني ٦/ ٣٢٨
(٢) ديوان جرير ١/ ٦٥ الجزي : جمع جزية . والانفال : الغنائم .

ابونـا ابـو اسحـق يجمـع بيننا
أب كان مهـديا نبيا مطهرا

ان هذا البيت وما يليه من الابيات ، يقفنا على الآفاق الثقافية الرحبة التي كان يتحرك في ظلها الشعر الاسلامي والأموي .

الألفاظ :

لقد توسع الاسلام في دلالة كثير من الألفاظ التي كانت شائعة قبل انتشاره بين ابناء الجزيرة العـربية ، لتتسـع لما جاء به من عبـادات وعقائد لم يعرفها المجتمع العربي من قبل .

وازدهرت تلك الالفاظ الجديدة ، وانتشرت بين الناس وكان من الطبيعي ان تحفل الاشعار بتلك الالفاظ والمصطلحات الاسلامية ، التي اكتسبت معاني جديدة غير التي كانت سائدة في كلام العرب من قبل ، كالايمان والكفر والوحي والقرآن والنبوة والرسالـة ، والجنـة والنار ، والتقوى والجهاد والقيامة والشهيد ، والمسجـد والصـلاة ، والزكاة والفيء والجزية ، والحلال والحرام . . . . . الخ .

يقول ابن فارس : « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهـم وقرابينهـم ، فلما جاء الله ـ جل ثناؤه ـ بالاسلام حالت احـوال ، ونسخـت ديانـات وابطلـت امور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع أخر، بزيادات زيدت ، وشرائـع شرعـت ، وشرائـط شرطـت ، فعفـى الآخـر الأول »[1]

(١) الصاحبي في فقه اللغة ٧٨ .

وكان من الطبيعي ان لا تنتشر تلك الالفاظ والمفردات في الايام الأولى من حياة المسلمين لانها لم تكن قد اكتملت بعد ، ولم يستطع الشعراء استيعابها مبكرا لتدخل في صلب اشعارهم .

ولو نظرنا الى قصيدة حسان بن ثابت التي كانت اول شعر له في الاسلام ، لوجدناها خالية من اية مسحة اسلامية ، او لفظ يشعر بانها قد نظمت في ظلال الدين الجديد .

فعندما قال[1] رجل من قريش في اسرهم سعد بن عبادة حين بايعوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثني عشر نقيبا :

تداركت سعداً عنوة فأخذته
وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلته طلّت هناك جراحه
وكانت جراحا ان تهان وتهدرا

فقال حسان يجيبه :

لست الى عمرو ولا المرء منذر
اذا ما مطايا القوم اصبحن ضمّرا
فلولا ابو وهب لمرت قصائد
على شرف البلقاء يهوين حسرًا
فانا ومن يهدي القصائد نحونا
كمستبضع تمرا الى اهل خيبرا
فلا تك كالوسنان يحلم انه
بقرية كسرى او بقرية قيصرا

(١) ديوان حسان بن ثابت ٣٠٨

ولا تك كالشـــاة التــي كان حتفها
بحفــر ذراعيهـــا فلــم ترض محفرا
ولا تك كالغــادي فأقبــل نحره
ولـم يخشـه سهما من النبــل مضمرا
افتخــر بالكتـــان لمّا لبسته
وقــد تلبس الانبــاط ريطــا مقصرّا

ان هذه الأبيات ـ كما نرى ـ لا تختلف عن الشعـر الجـاهلي في الفاظها او في منهجها .

وبمـرور الايام وانتشـار الاسـلام ، وتـوالي نزول القـرآن ودوام تلاوته ، والنظر في آياته . بدأت تلك الالفاظ تتسلل الى اشعارهم وتتردد على شفاههم .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت يذكر لفظ المؤمنين :(١)

رأيت خيار المؤمنــين تواردوا
شعـوب وقـد خلفــت فيمــن يؤخر

وقوله في القصيدة نفسها ايضا :

غداة غدوا بالمؤمنــين يقودهـم
الى المـوت ميمــون النقيبــة ازهر

ومن ذلك تناول كعب بن مالك لفظ(الكفر) في قوله :(٢)
يذودوننـــا عن ديننـــا ونذودهـم
عــن الكفــر والرحمــن راء وسامع

(١) ديوان حسان ٢٢٣

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٠٣

ووردت الفاظ عديدة ومختلفة للتعبير عن مصطلح القرآن ، فهو القرآن في قول حسان : (١)

جحدوا القران وكذبوا بمحمد
والله يظهر امر كل رسول

وهو الوحي في موضع آخر من شعره : (٢)

أعفَّة ذكرت في الوحي عفتهم
لا يطبعون ولا يرديهم الطمع

وهو الكتاب المنزل في موضع آخر عنده : (٣)

منعنا بها خير البرية كلها
اماما ووقرنا الكتاب المنزلا

وهو كتاب الله في شعر النجاشي الحارثي : (٤)

فأصبح اهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران

ويتردد مصطلح (النبي والرسول) عند كعب بن مالك فيقول : (٥)

ارى النبي برأي صدق
وكان الله يحكم لا يجور

ويقول ايضا : (٦)

---

(١) ديوان حسان ٢٨٤
(٢) م . ن ٢٣٨
(٣) م . ن ٢٧٦
(٤) مروج الذهب ٢/ ٢٧٥
(٥) ديوان كعب بن مالك ٢٠٣
(٦) ديوان كعب بن مالك ٢٠١

وكان رسـول الله قد قال اقبلوا
فولـوا وقالـوا انمـا انـت ساحر

وورد هذا المصطلح في شعر النعمان بن العجلان الانصاري حيث يقول :(١)

نصرنـا وآوينـا النبـي ولـم نخف
صروف الليالي والعـظيم من الأمر

وفي شعر العباس بن مرداس :(٢)

فهنـاك اذ نصر النبـي بألفنا
عقـد النبـي لنـا لواء يلمع

وفي شعر رافع بن عمير :(٣)

فألفيت النبـي يقـول قولا
صدوقـا ليس بالقـول الكذوب

ويخاطبه عبدالله بن رواحة بقوله :(٤)

انـت النبـي ومـن يحـرم شفاعته
يوم الحسـاب فقـد أزرى به القدر

اما لفظة (الجنة) فنجدها في شعر حسان بقوله :(٥)

صلى عليك الله في جنة
عـالية مكرمـة الداخل

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٥٢١
(٢) ابن هشام ٢/ ٤٦٢
(٣) اسد الغابة ٢/ ١٥٦
(٤) م . ن ٣/ ١٥٧
(٥) ديوان حسان ٢٢١

ونجد لفظة (النار) في قول فاتك بن زيد العبسي يصف الردة :[1]

انهــا ردة تقــود الى النار
فــلا تولعــن بقــال وقيل

ويتردد مصطلح (التقوى) كثيرا عند الشعراء كقول الزبرقان بن بدر في حروب الردة ايضا :[2]

اردت بهــا التقــوى ومجــد حديثها
اذا عصبــة سامــى قبيلي فخورها

وجاء لفظ (الجهاد) في قول ذريح بن الحارث متحدثا عن ابنه :[3]

ابغي الحبـاب في الجهـاد ولا ارى له
شبههــا ما دام لله ساجدا

وهذا المصطلح من اكثر المصطلحات الاسلامية تداولا في اشعار الخوارج .[4]

اما مصطلح (القيامة) فنراه في قول حسان :[5]

ومــا فقــد الماضــون مثــل محمد
ولا مثلــه حتــى القيامــة يفقد

وفي قول ابي بكر الصديق يرثي النبي (ص) :[6]

ليت القيامــة قامــت بعــد مهلكه
ولا نرى بعــده مالا ولا ولدا

---

(١) الاصابة ٣/ ٢٠٥
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٥
(٣) الاصابة ٣/ ٢٤
(٤) انظر مثلا « شعر الخوارج » ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ .
(٥) ديوان حسان ٢٧٩
(٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٢٠

ونجد مصطلح (الشهيد) في قول حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبدالمطلب :[1]

مالشهيد بين ارماحكم
شلّت يدا وحشي من قاتل

ويتردد مصطلح (المسجد) في قول ابي زبيد الطائي ، وهو يرثي عثمان بن عفان :[2]

حتى تنصّلها في مسجد طهر
على إمام هدى إن معشر جاروا

ويرد مصطلح (الصلاة) في قول عبدالله بن خنيس العامري :[3]

اضاع الصلاة بنوعامر واهلكها منع انعامها

ويقرن عمرو بن قريط العامري مصطلح الصلاة بمصطلح الزكاة في قوله :[4]

ثقلت صلاة المسلمين عليكم بني عامر والحق جدّ ثقيل
واتبعتموها بالزكاة وقلتم ألا لا تقرّوا منهما بفتيل

ويفعل ذلك حميد بن ثور الهلالي ، فيقول :[5]

فلم نكذّب ، وخررنا سجّدا
نعطي الزكاة ونقيم المسجدا

ويفخر الاسود بن قطبة بدفع الفرس فدية اسراهم الى المسلمين وهم

(١) ديوان حسان ٢٢٠
(٢) شعر ابي زيد الطائي ٦٤
(٣) الاصابة ٣/ ٨٩
(٤) م . ن ٣/ ١١٢
(٥) ديوان حميد بن ثور ٧٨

مرغمون ، فيذكر الفيىء والجزية قائلا : [1]

ألا ابلغـا عنـي الغـريب رسالة
فقـد قسّمـت فينـا فيوء الأعاجم
وردت علينـا جزية القـوم بالذي
فككنـا به عنهـم ولاة المعاجم

ويتحدث حسان عن الحلال والحرام ، فيقول : [2]

فنـكون اول مستحـلّ حلاله   ومحـرِّم لله كـلَّ حـرام

وقد اسهبنا في ايراد هذه الامثلة لندلل على اثر الاسلام المبكر في الفاظ الشعر العربي ، ولان هذه الالفاظ والمصطلحات كانت لما تزل طرية جديدة ، لم يتعود الناس على كثرة استعمالها ، ولأن الشعراء قد ورثـوا الفاظـا ومصطلحـات تختلف تمامـا عن تلك الالفـاظ والمصطلحات الجديدة .

اما في العصر الاموي فقـد شاعـت هذه الالفـاظ والمصطلحـات واصبحت جزءا اصيلا في اسلوب العصر ، بعد ان استقرت احكام الاسلام ، وتأكدت مبادئه في واقع الحياة ، وفي نفوس الناس حيث ولد الكثير منهم في ظل الدولة الاسلامية .

ونظرة واحدة الى نصوص الشعراء الامويين الكبار تؤكد ما ذهبنا اليه من شيوع تلك الالفاظ والمصطلحات في شعـر ذلك العصر من ذلك قول جرير يهجو الاخطل : [3]

---

(١) الاصابة ١/ ١٠٨

(٢) ديوان حسان ١٤٣

(٣) ديوان جرير ١/ ٩٥

فعليك جزية معشر لم يشهدوا
لله ان محمــدا لرسول
تبعـوا الضلالـة ناكبـين عن الهدى
والتغلبــي عن القــران ضلول
يقضي الكتاب على الصـليب وتغلب
ولــكل منــزل آية تأويل
ان الخلافــة والنبــوة والهدى
رغــم لتغلــب في الحياة طويل

لقد استخـدم الشاعـر في هذه المقطوعـة القصـيرة تسعـة الفـاظ ومصطلحات اسلامية ، وهي : جزية ورسـول والضلالـة والهـدى والقرآن والكتاب وآية والخلافة والنبوة .

ولو انتقلنا بنظرنا الى شعر الفرزدق لوجدنا هذه الظاهرة ايضا ، فقصيدته التي مدح بها عبدالملك بن مروان ، والتي يقول فيها :[1]

اذا اتيت امــير المؤمنــين فقل
بالنصح والعلم ، قولا غـير مكذوب
مجاهــد لعــداة الله ، محتسب
جهادهــم بضراب ، غــير تذبيب
فالأرض لله ولاّهــا خليفته
وصاحــب الله فيهــا غــير مغلوب

قـد استخـدم في كل بيت من هذه الابيات مصطلحـا اسـلاميا جديدا ، ففي البيت الاول استخدم مصطلح (امير المؤمنين) وفي الثاني (مجاهد) وفي الثالث (خليفته) .

(١) ديوان الفرزدق ١/ ٢٤

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الشعراء الكبار ، بل شملت كل الشعراء الامويين كالمسيب بن نجبة بن ربيعة الذي يقول :[1]

لست كمن خان ابن عفان مثلهم
ولا مثل من يعطي العهود ويغدر
ولكن تبغى جنة أتقي بها
لعل ذنوبي عند ربي تغفر
شهدت رسول الله بالجو قائما
يبشر بالجنات والنار ينذر

وعروة بن اذينة الذي يقول :[2]

ورثنا رسول الله ارث نبوة
ومخلاف ملك تالد غير رائم
وعلياء من بيت النبي تكنفت
مناسبها حومات انساب هاشم
وملكا خضما سلّ بالحق سيفه
على الناس حتى حاز نقش الدراهم
وقام بدين الله يتلو كتابه
على الناس منا مرسل جدّ قائم

ومثل هذين النموذجين كثير عند بقية الشعراء[3]

اما اللون الثاني من الالفاظ فهو المصطلحات الحضارية التي

(١) معجم الشعراء ٣٠١

(٢) عروة بن أذينه ٧٥

(٣) انظر مثلا شعر عبدالرحمن بن حسان ١٤ و ١٨ و ٢٠ و ٤١ ، وشعر عبدالله بن الحر « شعراء أمويون » ١/ ٩٥ و ١١٥ ، وشعر العديل بن الفرخ (شعراء أمويون) ١/ ٣٠٤ و ٣١٨

استدعتها الحياة الاسلامية الجديدة كالامام والخليفة وامير المؤمنين والجند والجباية . او المصطلحات الشرعية كالفقه والقضاء والشريعة وغيرها .

من ذلك قول حنظلة الكاتب ، مستخدما مصطلح (الخلافة) في فتنة عثمان :[1]

عجبت لما يخوض الناس فيه
يرومون الخلافة ان تزولا

ومنه قول النعمان بن عدي في عصر عمر بن الخطاب ، مستخدما مصطلح (امير المؤمنين)[2]

لعل امير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدّم

وقول ابي الأسود الدؤلي يرثي علي بن ابي طالب : [3]

ألا يا عين ويحك أسعدينا
الا تبكي امير المؤمنينا

واستخدم كعب بن مالك مصطلح (الامام) في رثاء عثمان فقال : [4]

يا قاتل الله قوما كان امرهم
قتل الامام الزكي الطاهر الردن

وفعل ذلك حسان في رثاء عثمان ايضا فقال : [5]

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٨٦

(٢) مناقب عمر ١١٥

(٣) ديوان ابي الاسود الدؤلي ٣٢

(٤) ديوان كعب ٢٨٢

(٥) ديوان حسان ٢١٣

يا قاتل الله قوما كان شأنهم
قتل الامام الأمين المسلم الفطن

وشاعت هذه المصطلحات وامثالها في العصر الأموي بصورة اكثر مما شاعت في العصر الاسلامي ، كقول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :[1]

فأما قولك الخلفاء منا
فهم منعوا وريدك من وداجي

وقول جرير :[2]

إن الذي حرم المكارم تغلبا
جعل النبوة والخلافة فينا

وقوله ، وفيه مصطلح (الامير) :[3]

بكر الأمير لغربة وتنائي
فلقد نسيت برامتين عزائي
ان الأمير بذي طلوح لم يبل
صدع الفؤاد وزفرة الصعداء

وتتردد هذه المصطلحات كثيرا لدى معظم الشعراء الأمويين .[4]

أما مصطلحات القضاء والفقه ، فمنها ما ورد في شعر امرأة مسلمة شكت زوجها الى القاضي كعب بن سور في عصر عمر

---

(١) شعر عبدالرحمن بن حسان ١٨

(٢) ديوان جرير ١/ ٣٨٧

(٣) م . ن ٢/ ٧٣٩

(٤) انظر ديوان جرير ١/ ٣١٧ و ٣٣٥ وديوان الراعي النميري ٥٤ وفتوح البلدان ٤٧٣

فقالت :[1]

يا ايها القاضي الفقيه ارشده
الهي خليلي عن فراشي مسجده

وما ورد في شعر عبدالله بن شبرمه ، حيث استعمل مصطلح الاجتهاد والنظائر والقياس في قوله :[2]

اقضي بما في كتاب الله مجتهدا
وبالنظائر اقضي والمقاييس
اذا قضيت بمرّ الحق مجتهدا
فلست اجهل اقوال الضغابيس

ومقابل هذه الالفاظ والمصطلحات الجديدة ثمة الفاظ ومصطلحات لم يعد لها وجود في ظل الحياة الاسلامية الجديدة ، وزالت بزوال معانيها كالمرباع والنشيطة والفضول ، والصفايا والأتاوة والمكس والحلوان وصرورة .[3]

(١) الاستيعاب ٢/ ٢٥٦

(٢) اخبار القضاة ٣/ ٩٧ والضغابيس واحدها ضغبوس ، وهو الضعيف .

(٣) المرباع : ربع الغنيمة كان الرئيس يأخذه في الجاهلية .
النشيطة : ما أصابه الجيش في طريقه قبل الغارة
الفضول : ما فضل فلم ينقسم
الصفايا : ما كان يصطفيه الرئيس لنفسه من خيار الغنيمة
الاتاوة : الخراج
المكس : الجباية او ما يأخذه العشار
الحلوان : ما تهبه لانسان على شيء يفعله غير الاجرة ، أو ما يأخذ الرجل من مهر ابنته .
صرورة : الذي يدع النساء تبتلا

ان هذه الالفاظ التي لم يعد لمعانيها وجود بعد الاسلام قد سقطت من معجم الفاظ الشعراء ، ومثلها كثير من التراكيب كقولهم (أبيت اللعن) و (أنعم صباحا) و (أنعم ظلاما) [1]

وحاول معظم شعراء العصر الاسلامي والاموي تحرير اشعارهم مما كان يثقل الشعر الجاهلي من التعقيد والخشونة والصعوبة ، ومالوا نحو السهولة والسلاسة والوضوح وقد ترسموا في ذلك منهج القرآن الذي تميزت الفاظه بالرقة والسهولة والوضوح ، مع الفصاحة والبلاغة .

يقول الجرجاني عن هذا التطور اللغوي الذي طرأ على لغة الشعر بعد الاسلام : [2]

« فلما ضرب الاسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي الى القرى ، وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي اسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعا ، وألطفها من القلوب موقعا ، والى ما للعرب فيه من لغات ، فاقتصروا على أسلسها وأشرفها » .

ومثّل لذلك بلفظة (طويل) التي اختاروها من بين نحو ستين لفظة ، اكثرها بشع شنع ، فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل ، لخفته على اللسان ، وقلة نبو السمع عنه .

المعاني :

لقد اخترع الاسلام معاني جديدة تناسب ما طرأ على الحياة

(1) انظر الصاحبي في فقه اللغة ٩٠

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٨

العربية من تطور وتغيير في حياة الافراد وفي حياة الجماعة ، واختار لتلك المعاني الفاظا للتعبير عنها ، سواء في ميدان العقيدة والعبادة او في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والادارية والاقتصادية .

وتفيض الاشعار بتلك المعاني الجديدة ، ويصدر الشعراء عنها في كثير من آثارهم الشعرية .

وتلقانا تلك المعاني في صور مختلفة لدى الشعراء . فبعض المعاني المتداولة بين الناس لم تعد لها تلك المعاني المعروفة بينهم ، بل اصبحت تعني اشياء جديدة ، اخذها الشعراء عن الاسلام .

فالحزم ليس هو المعنى المعروف بين الناس ، بل اصبح معناه تقوى الله ، تلك التقوى التي يفتقر اليها الفاجر ، فهو غير حازم ، كما يقول الفضل بن العباس :[1]

والحزم تقوى الله فاتقه ترشد ، وليس لفاجر حزم

ولم يعد السعيد هو الغني ، ولا السعادة هي المال بل السعيد هو التقي ، وتقوى الله خير ما يملكه الانسان ويدخره يقول الحطيئة :[2]

ولست ارى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد ان يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

والسعيد من ينجو من النار كما يقول مروة بن نوفل :[3]

---

(١) حماسة البحتري ١٦١

(٢) ديوان الحطيئة ٣٩٣

(٣) شعر الخوارج ٥

لقد علمت وخير العلم انفعه
ان السعيد الذي ينجو من النار

والشقي ليس هو من لا يملك المال ولا السعيد من يملكه ، يقول صخر بن حبناء : [1]

ما شقوة المرء بالاقتار يقتره
ولا سعادته يوما بإكثار

والشقي ايضا من كانت النار منزله ، والفائز من ينجو من النار . قال جرير : [2]

ان الشقي الذي في النار منزله
والفوز فوز الذي ينجو من النار

والحظ ليس هو النجاح في الدنيا ، او اصطياد المكانة السامية فيها بل هو المنزلة التي يحصل عليها الانسان في الآخرة ، كما عبر عن ذلك عمرو القنا العنبري : [3]

لا خير في الدنيا لمن لم يكن له
من الله في دار القرار نصيب

وكسب المال لون من الربح في هذه الدنيا ، ولكن الأربح منه التقوى وعن هذا المعنى عبر تميم بن مقبل : [4]

---

(١) الكامل في الادب ١/ ١٠٥

(٢) ديوان جرير ٢/ ١٠٢٩

(٣) شعر الخوارج ٣٨

(٤) حماسة البحتري ٢٥٠

تقـول : تربـح يعمـر المال اهله
كبيشـة ، والتقـوى الى الله أربح

والانسان اذا خلا ونفسه لا يعني ذلك انه خال حقيقة ، لان الله رقيب عليه يكون معه ويشاركه وحدته ، وقد اشار الى هذا المعنى الجديد الحسن بن عمرو الاباضي فقال :[1]

اذا ما خلـوت الدهـر يومـا فلا تقل
خلـوت ، ولـكن قل : عليّ رقيب
ولا تحسبـن الله يغفـل ساعة
ولا أن ما يخفـى عليه يغيب

ان هذه التفسيرات وتلك المعاني الجديدة التي طرأت على الالفاظ والمصطلحات التي كانت شائعة قبل الاسلام هي حصيلة التغييرات التي احدثها الاسلام في نظرة الانسـان الى الـكون والى الحياة والى الاشياء من حوله .

وثمة معان جديدة ، لم تعرف من قبل غيرت الاشعـار في هذا العصر ، كالتوكل على الله والانابة اليه ، والتوجـه نحـوه في السراء والضراء ، حيث يجد المؤمنون في ذلك الراحـة النفسية والطمأنينـة القلبية اللتين يفتقدهما غير المؤمنين بالله .

والى هذا المعنى الجديد اشار ابو الأسود الدؤلي في قوله :[2]

اذا كنـت معنيا بأمـر تريده
فما للمضـاء والتـوكل من مثل

(١) شعر الخوارج ٩١

(٢) ديوان أبي الاسود الدؤلي ١١٩ والشمل · المكث والخفض

توكّل وحمّل امرك الله إنما
تراد به آتيك فاقنع بذي الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للردى
من الخفض في دار المقامة والشمل

ويظهر هذا المعنى بوضوح في قول كعب بن عميرة الخارجي ، وكان قد اشترى فرسا وسلاحا ليحارب بهما الا انه لم يكن يستغني بهما عن التوكل على الله ، والاستعانة به حيث يقول : (١)

هذا عتادي في الحروب وانني لآمل أنْ القى المنية صابرا
وبالله حولي واحتيالي وقوتي اذا لقحت حرب تشيب الحوادرا

وقال عبدالله بن حذف : (٢)

توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا

ويشيع معنى التوبة في الشعر الاموي ايضا ، حيث يتناوله الفرزدق في شعره مع جملة من المعاني الاسلامية الجديدة فيقول : (٣)
الا كل شيء في يد الله بالغ
له اجل عن يومه لا يحوّل
وان الذي يغترّ بالنصح ضائع
ولكن سينجي الله من يتوكل
ويقرن ابو كلدة بن عبيد اليشكري التوبة بالتقوى والعلم ،

(١) شعر الخوارج ٥ . والحوادر : جمع حادر ، وهو الغلام الممتلىء شبابا .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٧
(٣) ديوان الفرزدق ٢/ ٧٩ . يغتر بالله : اي يغتر بحلم الله

فيقول : [1]

سأركض في التقوى وفي العلم بعدما
ركضت الى أمر الغوى المشهر
وبالله حولي واحتيالي وقوتي
ومن عنده عرفي الكثير ومنكري

كما تحدث الشعراء عن معنى التوحيد،ويتجلى هذا المعنى في غمرة صراعهم مع المشركين الذين لم يكونوا يؤ منون بعقيدة التوحيد وهو معنى لم يعالجه الشعراء من قبل ، مع وجود بعض الموحدين من الاحناف قبل الاسلام ، الا ان ذلك لم يكن عقيدة شائعة يرددها الشعراء ، في حين انها اصبحت العقيدة الرئيسية التي يقوم عليها الدين الاسلامي الجديد ، يقول حسان : [2]

ونعلم أن الله لا ربّ غيره
وأن كتاب الله أصبح هاديا

ويقول كعب بن مالك مؤكدا هذا المعنى ايضا : [3]

فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر

كما ظهر معنى التوحيد في حروب الردة ايضا ، عندما اهتزت صورته لدى بعض المرتدين فقال جندب بن سلمى المدلجي : [4]

---

(١) الاغاني ١٠/ ١١٩

(٢) ديوان حسان ١٤١

(٣) ديوان كعب بن مالك ٢٠٠

(٤) الطبري ٣/ ٣١٩

شهـدت بان الله لا شيء غيره
بنـي مدلـج فالله ربـي جارها

وعندما ترتد اسد ، وتتبع طليحة ، يهب الشاعر حبيش الأسدي فيواجه طليحة بالتكذيب وينشده ابياتا في التوحيد والثبات على الاسلام ، منها قوله :[1]

شهـدت بأن الله لا رب غيره
طليح وان الـدين دين محمد

وشدا المجاهدون بهذا المعنى في فتوحاتهم ايضا ، كما مر بنا في باب « شعر الفتوحات الاسلامية » .

وحلت رابطة الدين الجديدة مكان رابطة النسب والقبيلة التي كانت تربط بين العرب قبل الاسلام ، وهذه الرابطة معنى جديد ، وصورة لم يألفها العرب من قبل .

وقد كان الشعراء يرددون هذا المعنى ويفخرون به على من سواهم ، ونجده شائعا في النصوص الشعرية المبكرة ، حيث تناول ابو احمد بن جحش هذا المعنى في شعره بعد هجرته وقومه الى المدينة ، وقبل اشتداد الصراع الشعري بين المشركين في مكة ، والمسلمين في المدينة حيث قال :[2]

وكنـا واصحابـا لنـا فارقـوا الهدى
اعانـوا علينـا بالسـلاح وأجلبوا

---

(١) الاصابة ١/ ٣٧٣

(٢) ابن هشام ١/ ٤٧٣

كفوجين : أما منهما فموفّق
على الحق مهديّ وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلّهم
عن الحق ابليس فخابوا وخيّبوا
ورعنا الى قول النبي محمد
فطاب ولاة الحق منا وطيّبوا
نمتْ بأرحام اليهم قريبة
ولا قرب بالأرحام اذ لا تقرّب

ان ما ورد في البيت الاخير يعد من الاشارات الأولى لهذا المعنى الجديد ، الذي تعمق اكثر ووضح بصورة اجلى في الاشعار التي نظمت فيما بعد . فمرداس بن أدية يجسد هذا المغنى في قوله :(١)

من كان من أهل هذا الدين كان له
ودّي وشاركته في تالد المال
الله يعلم اني لا احبهم
الا لوجهك دون العمّ والخال

وحين ينادي المنادي ، قوم النعمان بن بشير ، بالأوس والخزرج ، ينتفض النعمان مستنكرا هذه النسبة ، ولا يجد لها تشريفا بعد ان انعم الله عليهم بنسب الانصار ، ويقول مخاطبا من نودي من قومه :(٢)

يا سعد لا تجب النداء ، فما لنا
نسب نجيب له سوى الأنصار

(١) شعر الخوارج ١٠
(٢) شعر النعمان بن بشير ١٤٧

نســب تخـيرَه الإلــه لقومنا
أثقــل به نسبــا على الكفار

ويتعمق هذا المعنى عند شاعر الخوارج الذي يرفض كل نسب غير نسب الاسلام ، فيقول عيسى بن عاتك الخطي :[1]

أبــى الاســلام لا أب لي سواه
اذا فخــروا ببــكر أو تميم
كلا الحيّين ينصر مدّعيه
ليلحقــه بذي الحســب الصميم
ومــا حســب ولــو كرمــت عروق
ولــكنّ التقــي هو الكريم

وقد استطاع بعض الشعراء ان يتمثلوا معاني الاسلام ، ويتشربوا مفاهيمه الجديدة ويصيروها سلوكا عمليا وينجحـوا في تجسيد تلك المعاني في آثارهـم الشعرية ، ويقرروا ابعادها في اقوالهم الخالدة .

وقد اوردنا في ثنايا الفصول السابقة نمـاذج رائعـة لتلك المعانـي والمفاهيم ، التي يطرحها اولئك الشعراء الخالدون ، من مثل قصيدة خبيب بن عدي التـي أنشدهـا قبـل مفارقتـه الحياة صريعــا بايدي المشركين .

وأبيات شاعر الفتوح الحثاث بن ذريح ، التـي ارسلهـا الى ابيه الشيخ الذي جزّعه فراق ابنـه ، وابتعـاده عنـه ، وابيات عمـير بن الحمام ، التي انشدها في طريقه لنيل شرف الشهادة في بدر .[2]

---

(١) شعر الخوارج ١٣

(٢) الاصابة ٣/١٣

وقول فروة بن عمرو الجذامي الذي كان عامل الروم على معان ، فأسلم فطلبه الرومان ، وحبسوه ، ثم قتلوه فلما قدّموه للقتل ، قال :[1]

بلّـغ سراة المسلمين بأنني
سلم لربي ، أعظمي ومقامي

وهذا المعنى يدل على عمق ايمان ذلك الشاعر الشهيد ، وعلى تمثله لمعاني الاسلام الحقيقية في الثبات على المبدأ والتضحية من اجله بكل غال ونفيس .

وحتى من عرف برقّة الدين من الشعراء كسحيم عبد بني الحسحاس الذي قضى عمره في الغزل الماجن ، فانه لا يكاد يخلو شعره من تلك المعاني الاسلامية ، التي كانت تفيض من حول الشاعر في مجتمعه الاسلامي .

من ذلك قوله في قصيدة :

عميرة ودّع ان تجهزت غازيا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ويقال : انه حين انشد هذا البيت قال له عمر بن الخطاب :

لو قلت شعرك مثل هذا لأعطيتك عليه[2]

ومثل الحطيئة المعروف برقة دينه ، حيث يقول :[3]

(١) ابن هشام ٢/٥٩٢

(٢) الديوان ١٦ وانظر الاغاني (ساسي) ٢/٢٠

(٣) ديوان الحطيئة ٣٩٣

خير ذخر مع اليقين لعبد
عمل صالح وقول سديد

ان هذا المعنى الاسلامي الجديد ما كان ليصدر عن الحطيئة لولا شيوع مثله من المعاني الاسلامية في ذلك المجتمع الذي عاش في كنفه الحطيئة .

والأعراب معروفون بجفاء الطبع ، ومع ذلك فقد هذب الاسلام كثيرا من طباعهم ورقق الوفير من اخلاقهم ، وتجسد ذلك في معاني اشعارهم ، التي حفظ روايتها التأريخ فتجاوزت الزمن والمسافات ، وظلت حية يرددها الاحفاد ، ومن ذلك صورة ومعاني الأعرابي الذي كان يحمل أمه في الطواف وهو ينشد :

اني لها مطيّة لا اذعر
اذا الركاب نفرت لا انفر
ما حملت وأرضعتني أكثر
الله ربي ذو الجلال اكبر

ثم التفت الى عبدالله بن عباس ، فقال له : اتراني قضيت حقها ؟ فقال ابن عباس : لا والله ، ولا طلقة من طلقاتها .[1]

واخيرا فثمة شواهد من الأشعار التي قارن فيهاالشعراء بين المعاني الجاهلية القديمة والمعاني الاسلامية الجديدة ، كقول مازن بن العضوية .[2]

---

(١) المحاسن والمساوىء ٥٥١
(٢) الاستيعاب ٣/ ٤٤٧

وكنــت امــرأ باللهــو والخمــر مولعا

شبابــي الى ان آذن الجســم بالنهج

فبدّلنــي بالخمــر خوفــا وخشية

وبالعهــر إحصانــا فحصّــن لي فرجي

فاصبحــت همّــي في الجهــاد ونيّتي

فللــه ما صومــي ولله ما حجّي

ومرت بنا ابيات الشاعر المخضرم عدي الطائي التي يقارن فيها بين معاني الجاهليين ، ومعاني الاسلام ، عندما تحدثنا عن الشعراء الذين قيل إنهم هجروا الشعر بعد الاسلام .[١]

ويعبر الشاعر الأموي زيد بن الحكيم عن هذه المقارنة في قوله :[٢]

شريت الصبا والجهــل بالحلــم والتقى

وراجعــت عقلي ، والحليم يراجع

حيث وضّح في معرض فخره البـون الشاسـع بـين ما كان عليه الجاهليون ، وما اصبحوا فيه بعد الاسلام .

(١) المرزباني ٨٥

(٢) تاريخ الاسلام ٤/ ٦٩

الخاتمة

وبعد : فهذا عرض سريع حاولت فيه ان اتتبع المواقف المبدئية للاسلام تجاه الشعر والشعراء ، في فترة زمنية محددة بصدر الاسلام والعصر الاموي ، حيث نشأ الشعراء الرواد وتكاملت شاعريتهم ، واستطاعوا ان يتمثلوا الاسلام عقيدة وفكرا وسلوكا .

وحاولت تلمس اثر الاسلام في اشعار تلك الفترة في موضوعاته واسلوبه ، ومفرداته ومعانيه ، فانتظمت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة ابواب :

كان التمهيد للحديث عن مكانة الشعر قبل الاسلام ، ولتبيان اثر الشعر في الحياة العربية ، وعدم استطاعة العربي الاستغناء عنه .

اما الباب الاول : فتحدثت فيه عن دعوى ضعف الشعر الاسلامي ، وعرضت آراء مؤرخي الأدب العربي ، القدامى والمحدثين في هذه الدعوى ، وخلصت الى تفنيد تلك المقولة والى القول بخطلها .

وتناولت الصراع الشعري بين مكة والمدينة في عصر الرسالة ، وكيف اتخذ الفريقان المتصارعان الشعر سلاحا ماضيا شهروه إلى جانب اسلحة الحرب الاخرى . وقد اسهم فيه الى جانب المشركين شعراء اليهود والقبائل العربية ، ولم تتخلف المرأة من كلا الجانبين عن المساهمة في تلك المعارك الكلامية .

وطبيعي أن أتحدث في هذا الباب عن القرآن والشعر ، حيث ورد لفظ الشعر والشعراء في خمسة مواضع ، كلها جاءت للتفريق بين اسلوب الوحي واسلوب الشعر ، وحكاية ما حاول المشركون ان يلصقوه برسول الله من اتهامات باطلة . وفي موضع واحد فقط جاءت اللفظة لمعالجة موقف الاسلام من الشعر ، من حيث هو فن يمكن أن يستخدم في مواطن الخير أو الشر ، فصنّف الشعراء الى فريقين ، وهو لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ، بل هاجم منهجا واسلوبا سلكه بعض الشعراء .

اما موقف الرسول (ص) من الشعر فكان امتدادا لموقف القرآن ومجسدا لاحكامه ، وقد حاولت عرض كل ما وصل الينا من احاديث الرسول في الشعر والشعراء . وقضية تعذر انشاد الرسول (ص) الشعر او نظمه انطلاقا من قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .

ومع ذلك فقد اباح الرسول نظمه واستمع الى الشعراء ينشدونه وأثاب عليه . وشفّع ذوي الحاجات فيه ، وثمّن دوره في المعركة ووقت السلم ، إلا أنه نهى عن رواية اشعار بعينها ، منها قصيدة امية بن ابي الصلت في رثاء قتلى قريش يوم بدر ، وقصيدة الاعشى في هجاء علقمة بن علاثة .

اما الشعراء الذين اهدر رسول الله دماءهم فكانوا ممن حاربوا الاسلام بالسنتهم واسلحتهم ، وهم أحد عشر شاعراً ، نفذ الحكم في سبعة منهم ، ولم ينفذه في اربعة لهرب بعضهم وتوبة البعض الآخر .

ثم تناولت الاغراض الشعرية في ظل الاسلام ، حيث كانت ثلاثة اصناف ، الصنف الاول هو الاغراض التي هجرها المسلمون لانها لم تناسب حياتهم الاسلامية الجديدة ، كالغزل الصريح والخمريات ، وطوّروا الصنف الثاني بما يناسب التعاليم الدينية والمثل الجديدة كالفخر والرثاء والهجاء والمديح ، وابتكروا الصنف الثالث ، حيث نظموا في اغراض جديدة كالشعر الديني والسياسي ، وشعر الوعظ والارشاد والزهد والفتوحات الاسلامية ، وهي اضافات جديدة الى اغراض الشعر العربي .

وكان لا بدّ لي ان اتحدث عن الخصائص الفنية واثر الاسلام فيها ، وما ابتكر الشعراء من اساليب القسم والدعاء والقصص الديني وتكرار الالفاظ والتراكيب لتقرير المعاني وتأكيدها .

وقد توارد الشعراء على الاقتباس من القرآن والحديث النبوي ، حيث وجدوا فيهما ينبوعاً ثرّاً لإغناء صورهم وأخيلتهم ، وألفاظهم وتراكيبهم ومعانيهم .

واخيراً فلست أزعم اني قد أتيت بالجديد الخارق في هذا الكتاب فكل ما فيه من جديد انما هو تقصي النماذج ، وتلمس اثر الاسلام في أشعار صدر الاسلام والعصر الاموي ، للوصول الى البرهنة على خطل الرأي القائل بمعاداة الاسلام الشعر والشعراء .

وأرجو أن أكون قد وفّقت الى ذلك ، ومن الله العون والسداد . . .

* * *

المصادر والمراجع

١ ـ الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة ـ بدر الدين الزركشي . تحقيق سعيد الأفغاني . مطبعة الهاشمي بدمشق ١٩٣٩ .

٢ ـ اخبار ابي القاسم الزجاجي ـ عبدالرحمن الزجاجي . تحقيق د . عبدالحسين المبارك . دار الرشيد . بغداد ١٩٨٠ .

٣ ـ الاخبار الطوال ـ ابو حنيفة الدينوري . تحقيق عبدالمنعم عامر . مكتبة النهضة المصرية .

٤ ـ اخبار القضاة ـ القاضي وكيع . مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤٧ .

٥ ـ الاخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار ـ تحقيق د . سامي العاني . مطبعة العاني . بغداد ١٩٧

٦ ـ الأدب في موكب الحضارة الاسلامية . د . مصطفى الشكعة . دار الكتاب اللبناني . بيروت ط٢ ١٩٧٤ .

٧ ـ الأدب المفرد . الامام البخاري . طشقند . م . أفسيت ١٩٧٠ .

٨ ـ اسباب النزول ـ جلال الدين السيوطي . على هامش تفسير الجلالين . طبعة مكتبة الفلاح . دمشق .

٩ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبدالبر القرطبي . المطبعة الشرقية . مصر .

١٠ ـ الاصابة في تمييز الصحابة . المطبعة الشرقية . مصر .

١١ ـ الاغاني . ابو الفرج الاصفهاني . طبعة ساسي بالقاهرة . وطبعة دار الكتب المصرية . والثقافة . بيروت .

١٢ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٦ .

١٣ ـ امتناع الاسماع ـ تقي الدين المقريزي . تصحيح احمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٤١ .

١٤ ـ أنساب الأشراف ـ البلاذري . تحقيق د . عبدالعزيز الدوري . بيروت .

١٥ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير . مكتبة المعارف . بيروت ١٩٦٦ .

١٦ ـ البرصان والعرجان ـ الجاحظ . تحقيق محمد مرسي الخولي . القاهرة ١٩٧٢ .

١٧ ـ بهجة المجالس ـ ابن عبدالبرالقرطبي . تحقيق محمد مرسي الخولي القاهرة ١٩٦٧ .

١٨ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . مصر ١٩٤٨ .

١٩ ـ تاريخ الاداب العربية في الجاهلية حتى عصر امية . كارل نالينو . ط٢ . دار المعارف . مصر .

٢٠ ـ تاريخ الادب العربي . د . عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٩ .

٢١ ـ تاريخ الاسلام . شمس الدين الذهبي . مطبعة السعادة . مصر ١٩٦٧ .

٢٢ ـ تاريخ دمشق . تأليف ابن عساكر . تهذيب عبدالقادر بدران دمشق ١٣٢٩ هـ .

٢٣ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ ابن جرير الطبري . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف ـ القاهرة .

٢٤ ـ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري . د نجيب البهبيتي . دار الكتب .

٢٥ ـ تاريخ العرب الأدبي . نيكلسون . ترجمة د . صفاء خلوصي . مطبعة المعارف . بغداد ١٩٦٩ .

٢٦ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة . تحقيق سيد صقر . القاهرة .

٢٧ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام . د . شكري فيصل . مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ .

٢٨ ـ تفسير القرآن العظيم . ابن كثير القرشي . البابي الحلبي . القاهرة .

٢٩ ـ التفسير الكبير ـ فخر الدين الرازي . القاهرة .

٣٠ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير) القرطبي . دار الكتب المصرية . القاهرة .

٣١ ـ جمهرة اشعار العرب ـ ابو زيد القرشي . دار صادر . بيروت ١٩٦٣ .

٣٢ ـ الحب العذري نشأته وتطوره . احمد عبدالستار الجواري . دار الكتاب العربي . مصر ١٩٤٨ .

٣٣ ـ الحب المثالي عند العرب ـ د . يوسف خليف . سلسلة اقرأ بالقاهرة رقم (٢٢٠) .

٣٤ ـ الحب في التراث العربي ـ د محمد حسن عبدالله . سلسلة عالم المعرفة بالكويت رقم (٣٦) .

٣٥ ـ حديث الاربعاء ـ د . طه حسين . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٣ .

٣٦ ـ حسان بن ثابت ـ محمد ابراهيم جمعة . دار المعارف . مصر ١٩٦٥ .

٣٧ ـ حسان بن ثابت ـ د . محمد طاهر درويش . دار المعارف . مصر .

٣٨ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ـ ابو نعيم الاصبهاني ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٢ .

٣٩ ـ الحماسة ـ البحتري . تحقيق لويس شيخو . المطبعة الكاثوليكية ببيروت . ١٩١٠ .

٤٠ ـ الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام . د . محمد عبدالمنعم خفاجي . دار الكتاب اللبناني . بيروت .

٤١ ـ حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ـ د . يوسف خليف . دار الكتاب العربي . القاهرة . ١٩٦٨ .

٤٢ ـ الحيوان ـ الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة .

٤٣ ـ خاص الخاص . عبدالملك الثعالبي . القاهرة ١٩٠٨ .

٤٤ ـ خزانة الادب ـ البغدادي . مطبعة بولاق . القاهرة .

٤٥ ـ دراسات في الادب الاسلامي . د . سامي مكي العاني . المكتب الاسلامي . دمشق ـ ١٩٧٥ .

٤٦ ـ ديوان أبى الاسود الدؤ لي . تحقيق محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعارف . بغداد .

٤٧ ـ ديوان أبي تمام . شرح التبريزي . باعتناء . د . عبده عزام . القاهرة . ١٩٥١ .

٤٨ ـ ديوان جرير ـ تحقيق د . نعمان امين طه . دار المعارف . مصر . ١٩٧١ .

٤٩ ـ ديوان جميل ـ جمع وتحقيق د . حسين نصار . مكتب مصر . القاهرة .

٥٠ ـ ديوان حسان بن ثابت . تحقيق د . سيد حنفي حسين . القاهرة ١٩٧٤ .

٥١ ـ ديوان الحطيئة . تحقيق د . نعمان أمين طه . القاهرة . ١٩٥٨ .

٥٢ ـ ديوان حسان بن ثابت الانصاري باعتناء عبدالرحمن البرقوقي . مطبعة السعادة . مصر .

٥٣ ـ ديوان حميد بن ثور الهلالي . تحقيق الميمني . دار الكتب المصرية .

٥٤ ـ ديوان ذي الرمة ـ ط٢ . المكتب الاسلامي . بيروت ١٩٦٤ .

٥٥ ـ ديوان الشافعي ـ جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي . دار الجيل . بيروت ـ ١٩٧٤ .

٥٦ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات تحقيق وشرح . د . محمد يوسف نجم . دار حيادر . بيروت ١٩٥٨ .
وديوانه تحقيق د . ابراهيم عبدالرحمن القاهرة .

٥٧ ـ ديوان العجاج ـ تحقيق د . عزة حسن . بيروت ١٩٧١ .

٥٨ ـ ديوان علي بن ابي طالب ـ المطبعة الاهلية . بيروت ١٩٢٧ .

٥٩ ـ ديوان الفرزدق ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦ .

٦٠ ـ ديوان كثير عزة ـ جمعه وشرحه د . احسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ١٩٧١ .

٦١ ـ ديوان كعب بن مالك الانصاري ـ جمع وتحقيق . سامي مكي العاني ـ مطبعة المعارف . بغداد ١٩٦٥ .

٦٢ ـ ديوان مجنون ليلى ـ جمع وتحقيق ونشر ـ عبدالستار احمد فراج . دار مصر للطباعة القاهرة .

٦٣ ـ ربيع الابرار ـ الزمخشري . مخطوطة الاوقاف العامة ببغداد . وتحقيق د . سليم النعيمي . مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧ .

٦٤ ـ الرثاء ـ د . شوقي ضيف . فنون الشعر . دار المعارف . مصر .

٦٥ ـ الردة ـ المنسوب للواقدي . مخطوطة مكتبة خدا بخش في الهند .

٦٦ ـ الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ـ عبدالرحمن السهيلي . القاهرة ١٩١٤ .

٦٧ ـ الزهرة ابو بكر المعروف بابن داود الاصفهاني . النصف الاول من الكتاب . مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ١٩٣٢ . والنصف الثاني تحقيق د . القيسي والسامرائي بغداد ١٩٧٥ .

٦٨ ـ الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ـ ابو حاتم الرازي تحقيق حسين بن فيض الله الهاني . القاهرة ١٩٥٧ .

٦٩ ـ السراج المنير ـ العزيزي . البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٧ .

٧٠ ـ سنن الترمذي ـ الترمذي . تحقيق ابراهيم عطوة . البابي الحلبي القاهرة .

٧١ ـ سير اعلام النبلاء ـ شمس الدين الذهبي ـ دار المعارف . مصر .

٧٢ ـ السيرة النبوية . ابن هشام . شرحها السقا والاباري والشلبي ط٢ البابي الحلبي ١٩٥٥ .

٧٣ ـ شرح ادب الكاتب ـ ابو منصور الجواليقي مطبعة القدسي . القاهرة .

٧٤ ـ شرح اشعار الهذليين ـ برواية السكري . تحقيق عبدالستار فراج . مكتبة دار العروبة مصر .

٧٥ ـ شرح بانت سعاد ـ قصيدة الصحابي كعب بن زهير ـ عبداللطيف البغدادي . تحقيق هلال ناجي . مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨١ .

٧٦ ـ شرح ديوان الاخطل التغلبي ـ حققة وكتب مقدمته وشرح معانيه ايليا سليم حاوي . دار الثقافة بيروت .

٧٧ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ـ السكري الدار القومية بمصر ١٩٥٠ .

٧٨ ـ شرح شواهد المغنى ـ السيوطي . الخانجي . مصر .

٧٩ ـ شرح القصائد السبع الطوال ـ ابن الانباري . تحقيق عبدالسلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

٨٠ ـ شعر الاحوص . جمع وتحقيق عادل سليمان . الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٠ .

٨١ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد . دار الفكر . بيروت ١٩٥٦

٨٢ ـ شعراء امويون د . نوري حمودي القيسي . مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل . العراق ١٩٧٦ .

٨٣ ـ شعر الراعي النميري . تحقيق د . نوري القيسي وهلال ناجي . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠ .

٨٤ ـ شعر عبدالرحمن بن حسان بن ثابت . جمع وتحقيق . د . سامي مكي العاني . مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١ .

٨٥ ـ شعر قيس بن ذريح . تحقيق د . حسين نصار . دار مصر للطباعة .

٨٦ ـ شعر المتوكل الليثي . تحقيق د . يحيى الجبوري . بيروت ١٩٧١ .

٨٧ ـ شعر النابغة الجعدي ـ المكتب الاسلامي . دمشق ١٩٦٤ .

٨٨ ـ شعر النعمان بن بشير الانصاري . حققه وقدم له . د . يحيى الجبوري مطبعة المعارف بغداد .

٨٩ ـ شعر النمر بن تولب ـ حققه د . نوري حمودي القيسي . مطبعة المعارف . بغداد .

٩٠ ـ شعر يزيد بن الطثرية ـ صنعة حاتم الضامن . مطبعة اسعد بغداد ١٩٧٣ .

٩١ ـ شعر هدبة بن الخشرم العذري . جمعه وحققه . د . يحيى الجبوري وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق ١٩٧٦ .

٩٢ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة تحقيق . احمد محمد شاكر . مصر ١٩٦٦ .

٩٣ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية . احمد بن فارس . تحقيق مصطفى الشويمي . مؤسسة بدران للطباعة والنشر . بيروت ١٩٦٣ .

٩٤ ـ الصبح المنير في شعر ابي بعير (ديوان الاعشى) مطبعة ادلف هلز هوسن . بيانه ١٩٢٧ .

٩٥ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي ـ الالباني . منشورات المكتب الاسلامي . بيروت .

٩٦ ـ الصناعتين ـ ابو هلال العسكري . الاستانة ١٣٢٠هـ .

٩٧ ـ طبقات الشافعية ـ السبكي . المطبعة الحسينية . مصر .

٩٨ ـ طبقات الشعراء ـ ابن سلام الجمحي . تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٤ .

٩٩ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد . طبع ليدن ١٣٢١ هـ .

١٠٠ ـ العصر الاسلامي ـ د . شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

١٠١ ـ العقد الفريد ـ ابن عبدربه الاندلسي . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٦ .

١٠٢ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده ـ ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد . القاهرة ط ٢ ـ ١٩٥٥ .

١٠٣ ـ عيون الاخبار ـ ابن قتيبة ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .

١٠٤ ـ فتوح البلدان ـ البلاذري . تحقيق د . صلاح الدين المنجد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .

١٠٥ ـ فتوح الشام ـ الواقدي ـ البابي الحلبي . مصر ط ٣ ـ ١٩٥٤ .

١٠٦ ـ الفتوحات الاسلامية ـ ابن زيني دحلان . المطبعة الشرقية بمصر ١٣٢٣ .

١٠٧ ـ الفهرست ـ ابن النديم . مطبعة الرحمانية . القاهرة .

١٠٨ ـ في الشعر الاسلامي والاموي د . عبدالقادر القط . دار النهضة القومية . بيروت ١٩٧٦ .

١٠٩ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب . دار الثقافة بيروت .

١١٠ ـ قيس ولبنى ـ جمع وتحقيق د . حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة .

١١١ ـ قيم جديدة للادب العربي . د . بنت الشاطىء . دار المعرفة ١٩٦٠ .

١١٢ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير . دار بيروت للطباعة والنشر .

١١٣ ـ كتاب الاذكياء ـ ابو الفرج ابن الجوزي ـ منشورات دار الافاق الجديدة . بيروت ١٩٨٠ .

١١٤ ـ كتاب التوابين ـ ابن قدامة المقدسي . تحقيق عبدالقادر الارناؤ وط . دار البيان ط ٢ ـ ١٣٨٩ .

١١٥ ـ كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ـ العجلوني الجراحي . دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٥١ هـ .

١١٦ ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ـ المتقي الهندي . مكتبة التراث الاسلامي . حلب .

١١٧ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . جمع محمد فؤاد عبدالباقي . وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية . الكويت ١٩٧٧ .

١١٨ ـ ليلى والمجنون في الادبين العربي والفارسي . د . محمد غنيمي هلال . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة .

١١٩ ـ المحاسن والمساوىء ـ البيهقي . دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

١٢٠ ـ المدائح النبوية في الادب العربي ـ د . زكي مبارك . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٧ .

١٢١ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ مطبعة البابي الحلبي . القاهرة ١٩٥٥ .

١٢٢ ـ المزهر في علوم اللغة وانواعها ـ جلال الدين السيوطي . تحقيق جاد المولى وآخرين . البابي الحلبي . القاهرة .

١٢٣ ـ مسند احمد ـ الامام احمد بن حنبل . القاهرة ١٣٢٣ .

١٢٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر . بيروت ١٩٥٧ .

١٢٥ ـ معجم الشعراء ـ المرزباني ـ تحقيق عبدالستار احمد فراج البابي الحلبي . مصر ١٩٦٠ .

١٢٦ ـ المفصل في تاريخ العربي د . جواد علي . دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٢ .

١٢٧ ـ مقاتل الطالبيين ـ ابو الفرج الاصفهاني . المكتبة الحيدرية النجف . ط٢ ـ ١٩٦٥ والحلبي . القاهرة ١٩٤٩ .

١٢٨ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ـ السخاوي . صححه عبدالله الصديق . مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٥٦ .

١٢٩ ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن خلدون . دار الشعب . مصر .

١٣٠ ـ الممتع في علم الشعر وعمله ـ عبدالكريم النهشلي . تحقيق د . المنجي الكعبي . الدار العربية للكتاب . تونس .

١٣١ ـ مناقب عمر بن الخطاب . ابن الجوزي . تحقيق . د . زينب ابراهيم القاروط . دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٠ .

١٣٢ ـ منهج الفن الاسلامي . محمد قطب . دار القلم . القاهرة .

١٣٣ ـ الموشح في اخذ العلماء على الشعراء ـ المرزباني . القاهرة ١٣٤٣ هـ .

١٣٤ ـ نسب قريش ـ مصعب الزبيري . تحقيق بروفنال . مصر ١٩٥٣ .

١٣٥ ـ نكت الهميان في نكت العميان . الصلاح الصفدي . مصر ١٩١١ .

١٣٦ ـ الهاشميات ـ الكميت الاسدي . تحقيق جوزيف هورفتس بريل ـ ١٩٠٤ .

١٣٧ ـ الهجاء والهجاؤ ون د . محمد محمد حسين . القاهرة .

١٣٨ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ القاضي الجرجاني . تحقيق وشرح محمد ابو الفضل ابراهيم والبجاوي . البابي الحلبي . القاهرة ١٩٦٦ .

١٣٩ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان . تحقيق د . احسان عباس ـ دار الثقافة . بيروت .

١٤٠ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم . تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة ط ١ ـ ١٣٦٥ هـ .

صدر في هذه السلسلة

١ ـ الحضارة	تأليف : د. حسين مؤنس
٢ ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف : د. إحسان عباس
٣ ـ التفكير العلمي	تأليف : د. فؤاد زكريا
٤ ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
٥ ـ العلم ومشكلات الانسان المعاصر	تأليف : زهير الكرمي
٦ ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف : د. عزت حجازي
٧ ـ الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف . د. محمد عزيز شكري
٨ ـ تراث الاسلام ـ ١	ترجمة د. زهير السمهوري د. شاكر مصطفى مراجعة : د. فؤاد زكريا
٩ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف : د. نايف خرما
١٠ ـ جحا العربي	تأليف · د. محمد رجب النجار
١١ ـ تراث الاسلام ـ ٢	ترجمة : د. حسين مؤنس ـ إحسان العمد مراجعة : د. فؤاد زكريا
١٢ ـ تراث الاسلام ـ ٣	ترجمة : د. حسين مؤنس ـ إحسان العمد مراجعة د. فؤاد زكريا
١٣ ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف : د. أنور عبد العليم
١٤ ـ جمالية الفن العربي	تأليف : د. عفيف بهنسي
١٥ ـ الانسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف : د. عبدالمحسن صالح
١٦ ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف : د. محمود عبدالفضيل
١٧ ـ الكون والثقوب السوداء	اعداد : د. رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي
١٨ ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة : د. علي أحمد محمود د. علي الراعي مراجعة : د. شوقي السكري

١٩ ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : سعد أردش
٢٠ ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	تأليف : حسن سعيد الكرمي
	مراجعة : صدقي حطاب
٢١ ـ مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د. محمد علي الفرا
٢٢ ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : رشيد الحمد ـ محمد سعيد صباريني
٢٣ ـ الرق	تأليف : د. عبدالسلام الترمانيني
٢٤ ـ الابداع في الفن والعلم	تأليف : د. حسن احمد عيسى
٢٥ ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف : د. علي الراعي
٢٦ ـ مصر وفلسطين	تأليف : د. عواطف عبد الرحمن
٢٧ ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف : د. عبدالستار ابراهيم
٢٨ ـ افريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جلال
٢٩ ـ العرب والتحدي	تأليف : د. محمد عمارة
٣٠ ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف : د. عزت قرني
٣١ ـ الموشحات الاندلسية	تأليف : د. محمد زكريا عناني
٣٢ ـ تكنولوجيا السلوك الانساني	ترجمة : د. عبدالقادر يوسف
	مراجعة : د. رجا الدريني
٣٣ ـ الانسان والثروات المعدنية	تأليف : د. محمد فتحي عوض الله
٣٤ ـ قضايا افريقية	تأليف : د. محمد عبدالغني سعودي
٣٥ ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠	تأليف : د. محمد جابر الانصاري
٣٦ ـ الحب في التراث العربي	تأليف : د. محمد حسن عبدالله
٣٧ ـ المساجد	تأليف : د. حسين مؤنس
٣٨ ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : سعود يوسف عياش
٣٩ ـ ارتقاء الانسان	ترجمة : د. موفق شخاشيرو
	زهير الكرمي
	مراجعة: د.عبد العظيم أنيس
٤٠ ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د. مكارم الغمري
٤١ ـ الشعر في السودان	تأليف : د. عبده بدوي

٤٢ ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د. علي خليفة الكواري
٤٣ ـ الاسلام في الصين	تأليف : فهمي هويدي
٤٤ ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف : د. عبدالباسط عبدالمعطي
٤٥ ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف : د. محمد رجب النجار
٤٦ ـ دعوة الى الموسيقا	تأليف : مايسترو يوسف السيسي
٤٧ ـ فكرة القانون	ترجمة : سليم الصويص مراجعة : سليم بسيسو
٤٨ ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان	تأليف : د. عبدالمحسن صالح
٤٩ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي	تأليف :صلاح الدين حافظ
٥٠ ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي	تأليف : د. محمد عبد السلام
٥١ ـ السينما في الوطن العربي	تأليف : جان الكسان
٥٢ ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف : د. محمد الرميحي
٥٣ ـ البدائية	تحرير : اشلي مونتاغيو ترجمة : د. محمد عصفور
٥٤ ـ الحشرات الناقلة للامراض	تأليف : د. جليل ابو الحب
٥٥ ـ العالم بعد مائتي عام	تأليف : هيرمان كان وآخرين ترجمة : شوقي جلال
٥٦ ـ الادمان	تأليف : د. عادل الدمرداش
٥٧ ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف : د. أسامة عبدالرحمن
٥٨ ـ الوجودية	تأليف : جون ماكوري ترجمة : د. إمام عبدالفتاح
٥٩ ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف : د. انطونيوس كرم
٦٠ ـ الايديولوجية الصهيونية	تأليف : د. عبد الوهاب المسيري
٦١ ـ الايديولوجية الصهيونية (القسم الثاني)	تأليف : د. عبد الوهاب المسيري

٦٢ ـ حكمة الغرب	تاليف : برتراندرسل ترجمة : د. فؤاد زكريا
٦٣ ـ الاسلام والاقتصاد	تاليف : د. عبدالهادي علي النجار
٦٤ ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	تاليف : فرانسيس مورلابيه وجوزيف كولينز ترجمة : أحمد حسان
٦٥ ـ مدخل الى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف: عبد العزيز بن عبد الجليل

المحتوى

صفحة

المؤلف في سطور

د . سامي مكي العاني

- تخرج في جامعة بغداد قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ .
- حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٩٦٨ من جامعة القاهرة .
- يعمل حاليا استاذاً للأدب الاسلامي في جامعة المستنصرية ببغداد ومعار للتدريس بجامعة الكويت .

النشاط العلمي :

- عمل في عدة مجلات متخصصة، كما أشرف على الدراسات العليا في تحقيق المخطوطات بالجامعة المستنصرية .
- قام بتحقيق اثنى عشر كتابا .
- ألف عدة كتب ، كما نشر أبحاثا ومقالات في المجلات المتخصصة .

الاشتراك السنوي : وهو مقصور على الفئات التالية :

● المؤسسات والهيئات داخل الكويت	١٠ دنانير
● المؤسسات والهيئات في الوطن العربي	١٢ دينارا
● المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي	٨٠ دولاراً امريكياً
● الافراد خارج الوطن العربي	٤٠ دولاراً امريكياً

الاشتراكات :

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب ٢٣٩٩٦ الكويت ● برقياً ثقف ● تلكس ٤٤٥٥٤

TLX No. 44554 NCCAL

مطابع الرسالة - الكويت

سعر النسخة :

• الكويت	٥٠٠ فلس
• السعودية	١٠ ريالات
• العراق	٦٠٠ فلس
• الاردن	٥٠٠ فلس
• سوريا	٦ ليرات
• لبنان	٥ ليرات
• ليبيا	٥٠٠ قرش
• المغرب	١٠ دراهم
• تونس	دينار واحد
• الجزائر	١٠ دنانير
• مصر	٥٠٠ مليم
• السودان	٥٠٠ مليم
• عمان	ريال واحد
• اليمن الجنوبية	٨٠٠ فلس
• اليمن الشمالية	٩ ريالات
• البحرين	٨٠٠ فلس
• قطر	١٠ ريالات
• الامارات العربية	١٠ دراهم

مطابع الرسالة - الكويت